الحديث النبوي وأثره في النثر العربي

(Al Hadith al Nabavi wa Atharuhu Fi al Nathr al Arabi)

(Impact of the Ḥadīth on the Arabic Prose Writing)

رسالة قدّمت لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

تقديم

محمد فضل الرحمن ماندال

تحت إشراف

الدكتور أورنك زيب الأعظمي

قسم اللغة العربية والفارسية والأردية والدراسات الإسلامية

فيسفا-باراتي، بنغال الغربية

2015م

आचार्य
श्री नरेंद्र मोदी
ACHARYA (CHANCELLOR)
SHRI NARENDRA MODI
उपाचार्य
प्रो. सुशांत दत्तगुप्त
UPACHARYA (VICE-CHANCELLOR)
PROF. SUSHANTA DATTAGUPTA

विश्वभारती
VISVA-BHARATI

(Established by the Parliament of India under
Visva-Bharati Act XXIX of 1951
Vide Notification No. : 40-5/50 G.3 Dt. 14 May, 1951)

संस्थापक
रवीन्द्रनाथ ठाकुर
FOUNDED BY
RABINDRANATH TAGORE

शांतिनिकेतन - 731235
SANTINIKETAN - 731235
जि.बीरभूम, पश्चिम बंगाल, भारत
DIST. BIRBHUM, WEST BENGAL, INDIA
फोन Tel: +91-3463-262 451/261 531
फैक्स Fax: +91-3463-262 672
ई-मेल E-mail : visva-bharati@visva-bharati.ac.in
Website: www.visva-bharati.ac.in

सं./No._____ दिनांक/Date._____

Thesis submitted for the degree of Philosophy (Humanities) of Visva-Bharati

Name: Md. Fazlur Rahaman Mandal

Year: 2015

CERTIFICATE BY THE SUPERVISOR

This is to certify that the thesis entitled الحديث النبوي وأثره في النثر العربي (Impact of the Hadith on the Arabic Prose Writing) submitted by Md. Fazlur Rahaman Mandal for the degree of Doctor of Philosophy of Visva-Bharati has been prepared under my supervision. The thesis is bona-fide record of an original work done by the candidate and has not been submitted for a degree in this university or elsewhere. The candidate has followed rules and regulations as laid down by the university for the fulfilment of the requirements for Ph. D examination of Visva-Bharati. The thesis is worthy of consideration for the award of Doctor of Philosophy by Visva-Bharati.

This is to certify that Md. Fazlur Rahaman Mandal presented his pre-submission seminar on 24th August 2015 and all the points raised by the external experts and members of the Board of Studies have been incorporated in this thesis.

Supervisor

A.Z. Azmi

(Dr.AurangZebAzmi)

Dept. of Arabic, Persian,
Urdu & Islamic Studies

المقدّمة

الحمد لله الذي نزّل أحسن الحديث، والصلاة والسلام على من أرسله لإتمام الحجة وتمييز الطيب من الخبيث، وعلى آله وأصحابه ومن سار في معونة دينه السير الحثيث.

إن الحياة الإنسانية لها صلة قوية وعلاقة حميمة بالعلم والفن والأدب، وهذه الثلاثة عناصر أساسية في بناء حياة الإنسان، ثم الأدب هو علم وفن وتعبير عن تجارب الأقوام والأمم، وبيان لكل فرح وحزن. وبهذا فإن كل قوم ومجتمع له أدبه، الذي يمثل شخصيته وذوقه وإرادته وتقاليده.

والأدب هو ترجمان لبيئة كل قوم وخصائصه وعاداته، واقتصاده ومعاشه، ودولته وسياسته، وفكره وحاله، ودينه وثقافته، وكذلك الأدب العربي هو معبّر وترجمان، لفكر العرب وخصالهم وخصائصهم وعاداتهم، وهو بيان للثقافة والحضارة العربية.

انتقل الأدب العربي في أطوار كثيرة، وتأثر بالعوامل السياسية والظروف الاجتماعية والبيئة الفكرية، وإن أعظم مؤثر في الأدب العربي هو الإسلام.

من حيث أن الأمية كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، والكتابة لم تنتشر بعدُ بين العرب قبل الإسلام، فازداد اعتمادهم على الحفظ والذاكرة، لذا ما وصل إلينا من الأدب الجاهلي أكثره من النظم، إذ هو أقرب إلى الحفظ، ويقل فيه النثر مثل الحكم، والأمثال، والخطب، بسبب عدم انتشار الكتابة وصعوبة حفظ النثر وروايته.

وقد عالج الشاعر الجاهلي في شعره شتى الموضوعات من غزل، ولهو، ومدح، وهجاء، ورثاء، وفخر -- ولما منّ الله على خلقه بإرسال رسوله ﷺ، وبزغت شمس الإسلام ونزل الوحي كان للإسلام موقف واضح من الشعر وهو أنه يقبل كل خير ويرفض كل شر فحافظ الأدب في هذاالعصر على كثير من الخصائص التي كانت شائعة في العصر الجاهلي، وتميّز بالنفحة الدينية، فاشتهر جماعة من الشعراء الذين كانوا يدافعون عن الإسلام ويذبّون عنه. وبجانب الشعر ازدهر فن الخطابة لدعوة الناس إلى الدين والخير والأخلاق الحميدة، والجهاد في سبيل الله.

كما كثر استعمال الرسال في الاتصال بالقبائل، ودعوة الملوك إلى الإسلام ومخاطبة الزعماء، واحتلت الرسالة مكانًا رفيعًا في أدب هذا العصر، بل أصبحت من حيث الأهمية مثل الخطبة والقصيدة.

فكما أن الإسلام أدّى دوره في نشر العلم والحضارة والأخلاق الحميدة والخصال الجميلة، فكذلك تحيّز أدبه بالملامح الجمالية والفنية في النثر والشعر. وتأثير الإسلام في الأدب العربي بتأثير الكتاب والحديث فيه لكونهما مصدرين أساسيين لهذا.

والحديث عند المحدثين ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

إن للحديث النبوي ﷺ حظًا وافرًا ونصيبًا باهرًا ودورًا عظيم الأهمية، بالغ الأثر في الأدب العربي. وله مساهماته في تطوره وتطويره نثرًا ونظمًا. لأن النبي ﷺ قال: بعثت بجوامع الكلم".وقال: إن من البيان لسحرًا، إن من الشعر لحكمة". وقال: الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام.

وشجّع الشعراء الذين كانوا يدافعون عن العقيدة الإسلامية، وكتاب الله ورسوله أمثال حسّان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما؛ فقال لحسّان بن ثابت رضي الله عنه: اهج المشركين فإن جبريل معك". وكان يقول له: أجب عنّي". وكان يدعو له: اللهم أيّده بروح القدس". ثم الأدب العربي مليء بالأمثال الحديثية.

أما الخطب فنوع مستقل في الأدب العربي، وكان شائعًا بين العرب قبل الإسلام، وكان من امتنان الإسلام عليه وقوفه على قوائمه، وحيث اشتدت الحاجة إلى الخطابة في الدعوة، وكانت للخطب النبوية ملامحها الأدبية الخاصة في الاستدلال والعبر.

والقصة فن من فنون الأدب العالمي وكان هذا الفن أيضًا رائجًا في الأدب العربي قبل الإسلام ولكن القصة في الحديث النبوي ﷺ جاءت بشكل مؤثر وأدبي تستميل القارئ بصورها والمتنوعة وأحداثها المتلاحقة، والقصص الحديثية لها خزينة في الأحاديث النبوية.

ثم تزيين الأدباء والشعراء نثرهم ونظمهم بالأحاديث النبوية، وإدراج الأحاديث في النص الأدبي والبيت الشعري في محل الاستدلال والكمال والجمال معروف في الأدب العربي.

فللحدث النبوي دور أساسي مهمّ في الأدب العربي وتطوره وتطويره. ولذا أردت البحث في هذا الموضوع خدمة للحديث الشريف وبيان أهميته، ومكانته، ومنزلته، ودوره في الأدب العربي نثرًا.

أسباب اختيار الموضوع:

1. بيان أهمية الحديث النبوي ومنزلته ومكانته في الأدب العربي لاسيما النثر.
2. دور الحديث في النثر العربي وتطوره.
3. بيان تأثر النثر العربي بالإسلام وحديث الرسول ﷺ.

منهجي في البحث:

1. قمت بدراسة دور الأحاديث النبوية في الأدب العربي لاسيما النثر.
2. قمت بجمع المادة العلمية من المصادر الأصلية.
3. قمت بشرح الغريب من الألفاظ والكلمات حيثما مسّت الحاجة إليه.
4. قمت بتخريج الآيات القرآنية الكريمة.
5. قمت بتخريج الشواهد الحديثية.

وقد اشتمل هذا البحث (الحديث النبوي وأثره في النثر العربي) على خمسة أبواب غير (المقدّمة) التي بيّنت فيها:

أما الباب الأول فقد عنونته بالأدب العربي وقسمته في فصلين فالفصل الأول تحدّثت فيه عن معنى الأدب وتاريخه وأنواعه. وأما الفصل الثاني فقد حصّصته بالأدب الإسلامي فذكرت معناه وأنواعه ومصادره والواقع أن هذا الباب وما يليه من الباب الثاني مدخل لما سأذكره في الأبواب الأخرى.

والباب الثاني يتحدث عن القرآن الكريم لأن الكتاب الرباني هو الذي مهّد السبيل لقيام الحديث النبوي بدوره الريادي الفعّال فقد قسمته في فصلين كذلك ففي الفصل الأول قمت بتعريف القرآن في ضوءه حيث بيّنت تاريخ نزوله وهدفه وطريقة نزوله وميزاته وعلى من نزل وأشياء أخرى وهذه كلها في ضوء القرآن ذاته فإن القرآن الكريم هو المصدر الأولوي لما نريد البحث عنه. والفصل الثاني منه ينطق عما قام به القرآن من الأثر في الأدب العربي المنظوم والمنثور. فذكرت فيه مفردات القرآن ومصطلحاته وتعابيره وأساليبه وبما أني ذكرت الأمثال والقصص والأشياء الأخرى في غضون الحديث عن أثر الأحاديث النبوية في النثر العربي فصرفت النظر عنه.

والباب الثالث يلقي الضوء على معنى الحديث وأقسامه المختلفة وتحديد المعنى الاصطلاحي لكلمة الحديث وتاريخها فالفصل الأول سرد لكلمة الحديث وتاريخها وأما الفصل الثاني فهو بيان مختلف أقسام الحديث من المتواتر والعزيز والضعيف وما والاها.

والباب الرابع، والذي هو مركز حديثنا المراد، يتحدث عن أثر الأحاديث النبوية في النثر العربي فقسمت هذا الباب في أربعة فصول فالفصل الأول منه يتحدث عن أثر الحديث النبوي في الخطابة، والفصل الثاني في القصة العربية، والفصل الثالث في الأمثال العربية بينما الفصل الرابع ينطق عن أثر الحديث النبوي في الرسائل العربية.

والباب الخامس هو الختام لما أردنا الحدبث عنه فهو ملخص ما كتبنا في الأبواب الماضية.

ونحمد الله جل جلاله الذي وفّقنا لهذا وإلا فلم يكن بمستطاعنا أن نقوم به ونشكر كل من أعاننا في إتمام هذا البحث لاسيما مشرفي الجليل الدكتور أورنك زيب الأعظمي فلو لم يرافقنا في كل خطوة من خطوات هذا السير لأوشك أن نفشل في الوصول إلى الغاية فجزاه الله خيرًا.

العاجز

محمد فضل الرحمن ماندال

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
كلمة الشكر	2
المقدمة	4
الباب الأول: الأدب العربي	9
الفصل الأول: الأدب العربي؛ معناه وتاريخه وأنواعه	10
الفصل الثاني: الأدب الإسلامي؛ معناه وأنواعه ومصادره	35
الباب الثاني: القرآن الكريم	45
الفصل الأول: تعريف موجز للقرآن الكريم	46
الفصل الثاني: أثر القرآن الكريم في الأدب العربي	57
الباب الثالث: الحديث النبوي؛ معناه وأنواعه	88
الفصل الأول: كلمة الحديث؛ معناها وتاريخها	90
الفصل الثاني: مختلف أقسام الحديث	93
الباب الرابع: أثر الحديث النبوي في النثر العربي	109
الفصل الأول: أثر الحديث النبوي في الخطابة العربية	110
الفصل الثاني: أثر الحديث النبوي في القصة العربية	150
الفصل الثالث: أثر الحديث النبوي في الأمثال العربية	202
الفصل الرابع: أثر الحديث النبوي في الرسائل العربية	227
الباب الخامس: الختام	266
فهرس المصادر والمراجع	268

1. Majalla-tul-Hind, Arabic Qurterly Magazin – West Bengal
   ISSN No: 2321-7928

Title: Al Hadith al Nabavi wa Atharuhu Fi al Nathr al Arabi – Dirasah Tahliliyah wa Naqdiyah.

الباب الأول

الأدب العـــــربي

الفصل الأول

الأدب العربي: معناه وتاريخه وأنواعه

كان الأدب يجري في نفوس العرب مجرى الدم مع نوعيه الأساسيين: النثر والشعر. ثم لما جاء الإسلام ازداد الشعر والنثر جريانًا.

وكان للقرآن والحديث أثر شديد في هذه الزيادة، إذ هما المصدران الأساسيان للإسلام.

ثم الحديث النبوي ﷺ الذي يأتي دوره بعد القرآن، أضاف إلى اللغة العربية ثروة من المعاني، وثروة من الأساليب، وهذّبها تهذيبًا قريبًا من تهذيب القرآن، إذ سهّل ألفاظها، ورقّق أساليبها، وذهب بالحوشي منها. فكان لكل هذا أثر في جميع أنواع الأدب.

فكان العربي يرطب لسانه في شعره ونثره بشيء مما أثر عن الرسول ﷺ، وخطبته، ورسالته، وتيمّنًا بقوله، واستراوحًا للسامعين، واستشهادًا على صحة ما يدعي.

سأتكلم فيما يلي عن النثر وأثر الحديث عنه.

الأدب

مدخل:

إن أدب أيّ أمة هو حياتهم، أو مرآة تنعكس فيها حياتهم الفكرية، والعقلية، والدينية، والأخلاقية، والروحية، وهو الذي يتعيّن به صعودهم (ازدهارهم) وهبوطهم (اضمحلالهم). وإذا أراد إنسان أن يدرس حياة أي أمة بعمق فعليه بدراسة أدبهم.

وفي كلمات موجزة إن خصبة الأدب، وحيويته، وإيجابيته تعين خصبة الأمة الفكرية والعقلية، واتجاهاتهم الإيجابية، وحيويتهم الروحية.

غير أن سؤالًا يحوك في صدورنا قبل أن نبدأ دراسة الأدب، وهو: أن الأدب ما هو؟ وكيف كان بالأمس؟ وكيف وصل إلى حالته الراهنة؟

فلذا يجب أن نراجع القواميس القديمة المستندة، ومصادر الأدب المعتمدة، ونحاول معرفة معنى كلمة "الأدب" الأصلي الذي وضع لها، كما علينا دراسة معانيها التي أضيفت إليها عبر التاريخ، والتي سبّبت سعتها، حتى وصلت إلى حالتها المتداولة..

معنى كلمة "الأدب" اللغوي

أدَبَ يأدِبُ أدبًا، من باب ضرب: أدبته أدبًا علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق[1].

الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمّي أدبًا لأنه يأدب الناس الذين يتعلمونه إلى المحامد وينهاهم عن المقابح[2].

وفي المصباح: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، فالأدب اسم لذلك والجمع آداب مثل سبب وأسباب"[3].

---

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، 9/1

[2] تهذيب التهذيب، 74/1

[3] المصباح المنير، 74/1

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه: لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: (إن تتوبا إلى الله فقد ضغت قلوبكما)[4] إلى أن يرد في الحديث: (فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار ---)[5].

وفي حديث آخر: عن النبي ﷺ: (ما نحل والد من نحل أفضل من أدب حسن)[6].

وروي عن النبي أيضًا: (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)[7].

قيل: إن أصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة[8].

قال أبو عبيد عن الأصمعي: الأدب عجيب، يقال: جاء فلان بأمر أدْب، أي بأمر عجيب. وأنشد:

سمعت من صلاصل الأشكال أدبًا على لبّاتها الحوالي[9]

ويأتي "الإدْب" أيضًا للعجب.

وأدب أدبًا من باب ضرب أيضًا صنع صنيعًا ودعا الناس إليه[10]، فهو آدب، وقال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر[11]

أي لا ترى الداعي يدعو بعضًا دون بعض بل يعمّم بدعواه في زمان القلة وذلك غاية الكرم[12].

آدب (ج) أدبة: وفي حديث علي كرّم الله وجهه: --- (أما إخواننا بنو أمية فقادة أدبة)[13]، الأدبة جمع آدب مثل كتبة جمع كاتب وهو الذي يدعو الناس إلى المأدبة وهي الطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليه الناس[14].

---

[4] سورة التحريم: 4

[5] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2288

[6] سنن الترمذي، رقم الحديث: 3661

[7] اللسان، تحت نفس المادة

[8] تهذيب التهذيب، نفس المادة

[9] المصباح المنير، 9/1

[10] مقاييس اللغة، مادة: أدب

[11] شرح ديوان طرفة، ص 52

[12] المصباح المنير، مادة: أدب

[13] النهاية في غريب الحديث والأثر، 146/2

[14] اللسان، مادة: أدب

أدْبة مأدبة (ج) مآدب:

الأدبة والمأدَبة والمأدُبة كل طعام صنع لدعوة أو عرس قال صخر الغيّ يصف عقابًا:

كـــأنّ قلـــوب الطيـــر فـــي قعـــر عشّـــها نـــوى القســـب ملقًـى عنـد بعـض المـآدب[15]

والمشهور في المأدبة ضمّ الدال وأجاز بعضهم الفتح وقال هي بالفتح مفعلة من الأدب قال سيبويه قالوا المأدبة كما قالوا المدعاة وقيل المأدبة من الأدب وفي الحديث عن ابن مسعود إن هذا القرآن مأدبة (مأدبة) الله في الأرض[16] فتعلّموا من مأدبته (مأدبته)[17] يعني مدعاته قال أبو عبيد يقال مأدَبة ومأدُبة فمن قال مأدُبة أراد به الصنيع يصنعه الرجل فيدعو إليه الناس يقال منه أدبت على القوم آدب أدبًا ورجل آدب قال أبو عبيد وتأويل الحديث أنه شبّه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه ومن قال مأدَبة جعله مفعلة من الأدب وجعلهما البعض لغتين مأدُبة ومأدَبة بمعنى واحد[18].

المأدُبة وهي الطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليه الناس وفي حديث كعب رضي الله عنه (إن لله مأدُبة من لحوم الروم بمروج عكأ)[19] أراد أنهم يقتلون بها فتنتابهم[20] السباع والطير تأكل من لحومهم[21].

وكذلك ورد في حديث: إن هذا القرآن مأدَبة الله فخذوا منه ما استطعتم ---"[22].

وأيضًا في البخاري: مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدُبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ---"[23].

أدُبَ: أدُب الرجل يأدُب أدَبًا فهو أديب وأرُب يأرُب أرابة وأرَابًا في العقل فهو أريب[24].

---

[15] اللسان، المصدر نفسه، مادة: أدب

[16] النهاية في تمييز الصحابة، 58/1

[17] غريب الحديث لابن سلام، 107/4

[18] اللسان، مادة: أدب

[19] النهاية في غريب الأثر، 58/1

[20] انتابه أمر: أصابه ونزل به، انتابه صديقه: قصده مرة بعد أخرى

[21] اللسان، مادة: أدب

[22] سنن الدارمي، رقم الحديث: 3173

[23] صحيح البخاري، رقم الحديث: 6738

قيل: أدُب فلانٌ يأدُب أدَبًا: راض نفسه على المحاسن، فهو أديب[25].

أدّب (تفعيل):

أدّبه فتأدّب: علّمه فتعلّم[26].

وفي المصباح المنير: أدّبته تأديبًا مبالغة وتكثير ومنه قيل أدبته تأديبًا إذا عاقبته على إساءته لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب[27].

وفي حديث رسول الله ﷺ لأن يؤدِّب الرجلُ ولدَه خيرٌ من أن يتصدّق بصاع[28].

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود قال: (ليس من مؤدّب إلا وهو يحبّ أن يؤتى أدبُه وإنّ أدبَ الله القرآن)[29].

آدَبَ: آدب القوم إلى طعامه يؤدِبهم إيدابًا وأدب عمل مأدبة. آدبته أؤدب إيدابًا: أدب[30].

المأدوبة: المرأة التي صنع لها الصنيع[31].

وقال عدي بن زيد:

زجـــــل وبلـــــهُ، يجاوبـــــه دفٌ لخـــــون مأدوبـــــة، وزميـــــر[32]

ويقال للبعير إذا ربض وذلّل: أديب مؤدّب، وقال مزاحم العقيلي:

وهـــنّ يصـــرّفن النـــوى بـــين عـــالج ونجـــران تصـــريف الأديـــب المـــذلّل[33]

الأدب: الظرف وحسن التناول[34].

---

[24] تهذيب التهذيب، نفس المادة

[25] المعجم الوسيط، 9/1

[26] اللسان، نفس المادة

[27] المصباح المنير، نفس المادة

[28] سنن الترمذي، رقم الحديث: 1874

[29] سنن الدارمي، رقم الحديث: 3187

[30] التهذيب، مادة: أدب

[31] كتاب العين، مادة: أدب

[32] اللسان، مادة: أدب

[33] مجالس ثعلب، 50/1

الاختلاف في اشتقاق كلمة "الأدب"

عنوان الاختلاف في اشتقاق كلمة "أدب" عنوان عجيب، لأن هذا يبدو عند أوّل نظرة إلى كلمة "أدب" أن مادتها الهمزة والدال والباء. فلم إذن هذا الاختلاف؟ ألا توجد مادتها ومعناها في القواميس؟

نعم! نستطيع أن نجد معنى الأدب في القواميس تحت مادة الهمزة والدال والباء، واشتقاقاتها المختلفة مع استعمالاتها. كذلك يمكننا أن نرى في كتب الأدب العربي تطوّر هذه الكلمة- توسعها وتضيقها- في العصور المختلفة، والنصوص التي تدلّ عليها. وهكذا التعاريف التي قدّمها علماء الأدب عبر الزمن.

وإذا طالعنا هذه الكتب- أي كتب الأدب- وجدنا أن علماء الأدب القدماء اتفقوا على اشتقاق الأدب- وهو الهمزة والدال والباء- ولم يختلفوا فيه. غير أن الغرب عندما أقبلوا على اللغة العربية وعلومها، فأثرت فلسفتهم (الشكّ في كل شيء) في الأدب العربي أيضًا، ومنها إعادة دراسة كلمة أدب من زوايا مختلفة، وفي التالي تفصيلها:

1. تحقيق المستشرق الإيطالي الأستاذ نللينو: يشتقها نللينو من الدأب بمعنى العادة، ويرى أن هذه الكلمة لم تشتق من المفرد، وإنما اشتقت من الجمع، فقد جمعت "دأب" على "أدآب"

---

[34] ترتيب قاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، مادة: أدب

ثم قلب فقيل "آداب" كما جمعت "بئر" و"رئم" على "آبار" و"آرام" ثم قلبت فقيلت "آبار" و"آرام".

ويستمر الأستاذ نللينو بقوله: وكثر استعمال "الآداب" جمعًا "للدأب" حتى نسي العرب أصل هذا الجمع وما كان فيه من قلب، وخيّل إليهم أنه جمع لا قلب فيه، فأخذوا منه مفرده أدبًا لا دأبًا، وجرى استعمال هذه الكلمة بمعنى العادة، ثم انتقل من هذا المعنى الطبيعي القديم إلى معانيه الأخرى المختلفة[35].

ولقد ردّ العديد من الكتّاب والأدباء على هذا الرأي فيردّ الأستاذ أحمد محمد الحوفي عليه في كتابه "الحياة العربية من الشعر الجاهلي" ردًّا قاطعًا قائلًا: وهذا فرض، وتكلّف لا نقرّه"[36].

ثم جاء بأدلته:

أ- لأن كلمة آبار وآرام لم يشتق منهما مفرد أن تكون الصلة بينهما وبين بئر ورئم كالصلة بين أدب ودأب في الحروف والمعنى، فيقال مثلًا أبْر وأرْم.

ب- لم يذكر الباحث شبيهاً في هذا الاشتقاق في اسم معنى قدمت عينه على فائه في الجمع ثم اشتق منه فعل جديد.

ت- لم يرد في معجم أم نص جمع كلمة الدأب على أدآب، ولكن ورد في كتب اللغة جمع بئر على أبآر وآبار، وجمع رئم على أرآم وآرام.

ث- لم يرد الدأب بمعنى الأدب، لأن الدأب العادة والشأن والاستمرار حسنًا أو قبيحًا، والأدب خلق كريم في أوّل معانيه[37].

ويردّ عليه الأستاذ أحمد حسن الزيات، وإن استقل برأي له خاص سيأتي ذكره- يعترض على رأي الأستاذ نللينو بقوله:

"ولسنا ننكر مذهب العرب في القلب، ولا اشتضاقهم أفعالًا مجردة جديدة من أفعال تخذا من أخذ، وتله من يتله تلهًا أي ذهل وتحيّر من شدة الوجد من اتله يتله، وأصله وله، كأنهم توهموا أن

---

[35] في الأدب الجاهلي، ص 23

[36] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 10

[37] المصدر نفسه، ص 10-11

التاء في كل ذلك أصلية. ولكن رأي الأستاذ على رزانته ووزانته يضعفه هذه الحلقة المفقودة وهي جمع الدأب على الآداب، فإنه لم يرو في أثر ولم يرد في معجم"[38].

ويردّ عليه الأستاذ طه حسين- وإن كان قد تأثر بتحقيق الأستاذ نللينو- لكنه يعترف بأن رأي الأستاذ نللينو كرأي غيره من أصحاب اللغة، يعتمد في أصله على الفرض[39].

ونتيجة هذا الرأي أن بعضًا من دوائر المعارف ذكرت أن أصل الأدب هو "الدأب" بدون تحقيق، فمنها: دائرة المعارف الإسلامية بالأردية[40]، وهكذا موسوعة الإسلام (The Encyclopedia of Islam)[41].

2. رأي الأستاذ مصطفى جواد: ويرى الأستاذ مصطفى جواد أن كلمة "أدب" مشتقة من الهذب، وقلبت الهاء همزًا كما في هيا وأيا وهراق وأراق.

وردّ عليه الأستاذ الحوفي كما يلي:

لا يخلو هذا الرأي من الافتراض، لذا نرى الأستاذ الحوفي يردّه بقوله: ولكن يضعفه أن الكلمة لم تستعمل مرة على هذاالأصل لا فعلًا ولا اسمًا، وأن في الكلمة الواحدة وهي ثلاثية قلب الهاء همزًا والذال دالًا. وذلك غير وارد لدى العرب[42].

3. قول الأستاذ الأب أنستاس الكرملي: ثم جاء الأستاذ الأب أنستاس الكرملي فاحتال للكلمة أصلًا يونانيًا[43]. وهو يرى أن الأدب "صنعة الأديب الوارد في اللغة اليونانية باللفظ والمعنى، فمن معاني الأديب عندهم الحسن الغناء، اللذيذ المحادثة والمنادمة والمجالسة، المصير لهوى جلسائه بأنغامه المشجية وحديث الريق"[44].

---

[38] في أصول الأدب، ص 8

[39] في الأدب الجاهلي، ص 23

[40] أردو دائره معارف اسلاميه، 229/2

[41] The Encyclopedia of Islam، 122/1

[42] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 10

[43] في أصول الأدب، ص 8

[44] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 10-11

وردّ الأستاذ أحمد حسن الزيات قائلًا: ويظهر من كلام الأب الفاضل أنه يعرض هذا الرأي للبحث دون أن يقطع بصحته أو يتثبت بحجته[45].

ويردّ الأستاذ الحوفي: هذا الرأي ضعيف أيضًا، وإذا أراد واحد أن يثبت هذا فعليه أن يأتي بدليل أن هذه الكلمة جاءت إلى العربية من اليونانية[46].

4. افتراض الأستاذ أحمد حسن الزيات: يقول الأستاذ الزيات في كتابه "في أصول الأدب": إن معنى الأدب في لغة السومريين الذين عمروا جنوبي العراق في فجر التاريخ، ومما لا مساغ للشك فيه أن قبائل سامية نزحت من الجزيرة العربية إلى أرضهم حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد، فغزتهم وأخضعتهم واقتبست من لسانهم وأديانهم وعمرانهم، فلماذا لا نظن أن هذه الكلمة السومرية قد دخلت العربية بلفظها ومعناها، ثم تحوّلت إلى آدم، واستعملت كذلك في اللغات السامية، وبقيت العربية وحدها محتفظة لقدمها وعدم اختلاطها، ثم استعملت هذه الكلمة في الوصف استعمال المصادر، فأرادوا بها الرجل الذي استكمل مزايا الإنسانية من حرّ الخلال، وكرم الفعال، وحسن السيرة، كما نقول اليوم فلان آدمي وفلان إنسان، ثم قلبها الزمن على وجوه الدلالات حتى صارت إلى ما صارت إليه، ومما يساعد هذا الفرض قول التبريزي[47] في شرح الحماسة: كان الأدب اسمًا يفعله الإنسان فيتزيّن به في الناس[48].

ويردّ عليه الأستاذ الحوفي قائلًا: إن المراد من الكلمة إذا الرجل الكريم الأخلاق أو الممتاز بصفات، لا الخلق الكريم نفسه، ولا الصفات المميزة لبعض الناس، وليس في اللغة آثار تؤيد هذا المعنى أو تشير إليه، وحتى كلمة التبريزي نفسه صريحة في أن الأدب ميزة وحلية يتزين بها الرجل في الناس، على أن استعمال هذه الكلمة وصفًا كما تستعمل المصادر بعيد الاستعمال[49].

---

[45] في أصول الأدب، ص 8

[46] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 10-11

[47] في أصول الأدب، ص 8

[48] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 12

[49] في الأدب الجاهلي، ص 26-29

5. رأي الأستاذ طه حسين: لم يقبل الأستاذ طه حسين تقليد القدماء ولا افتراضات المتأخرين. وهو يعدّ هذا تلكفًا أن "الأدب" قد اشتق من الأدب بمعنى الدعوة إلى الولائم، وهناك صلة بينهما، واختلاف معانيها في عصور مختلفة، مظهرًا عدم معرفته عن نصّ جاهلي صحيح ورد في لفظ "الأدب" أو في القرآن.

وهو يقبل ورود لفظ الأدب في حديث لكنه يرى أنه لا يثبت حكمًا لغويًا إلا إذا صحّ عن النبي ﷺ بلفظه. وهكذا يردّ آراء الذين يستدلون بورود هذه الكلمة في كلام الخلفاء الراشدين بقوله: الكلام المحمول على الخلفاء الأربعة كثير، وليس هناك سبيل لتحقيق ما صحّ أو لم يصحّ من هذا الكلام"[50].

لكنه يرضى بشيوع هذه الكلمة في أيام بني أمية، إلا أنه يعتقد أن أول ما استعملت فيه هذه المادة هو التعليم- تعليم بطريق الرواية على اختلاف أنواعها: رواية الشعر، ورواية الأخبار، وأحاديث الأولين، ولم يطلق لفظ المؤدب على رواة الحديث والدين، بل أطلق على رواة الشعر والخير، وعلى الذين كانوا يحترفون تعليم الشعر والخبر، وما إلى ذلك، لأبناء الأرستقراطية.

ثم يقول: إننا إذا لم نجد هذه الكلمة في النصوص العربية الصحيحة، ولا في القرآن والحديث، ولا فيما ورد عن الخلفاء بطريقة قاطعة ولا في اللغات السامية الأخرى، فهنا نستطيع أن نفترض كما افترض الآخرون --- فمن المحتمل أنها دخلت في لغة قريش إبان العصر الأموي من إحدى اللغات العربية التي ضاعت، لأنها لم تدون منها إلا شيئًا يسيرًا بالقياس إلى ما أهمل إهمالًا.

هنا يترك الأستاذ هذا الموضوع وينتقل إلى معنى هذه الكلمة ويقول: مهما يكن أصل هذه الكلمة ومصدرها الذي اشتقت منه، فقد كانت تدل في العصر الأموي على الشعر والخبر وما يتصل بهما. وهذان المعنيان اتسعا وأضيفت إليهما علوم اللغة فتطوّرت حتى استقلت وعاد معنى الأدب إلى الضيق بعد السعة، وأصبح لا يدل إلا على ما نجد في كتب كالكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ وغيرهما. وهذا ما يدلّ عليه هذا العلم (الأدب) في حياتنا اليوم وهو مأثور الكلام نظمًا ونثرًا وما يتصل به من هذه العلوم والفنون التي تعين على فهم الأدب من ناحية وتذوقه من ناحية أخرى -

[50] في أصول الأدب، ص 11

-- وهذا الذي يدلّ عليه الأدب عند الأمم الأجنبية القديمة أو الحديثة أيضًا كإلياذة والأوديسة وتاريخ هيرودوت وتوسيديد ---[51].

هنا يشعر الإنسان كأنه قرّب "الأدب" في العربية إلى "Literature" في اللغات الغربية[52].

وهذا ما جعل الأستاذ أحمد محمد الحوفي يقول: الدكتور طه حسين كان في أول الأمر يدين برأي الأستاذ نللينو، ولكنه بعد ذلك جعل يحار في الاهتداء إلى مصدر الكلمة ولا يرتضي رأيًا من الآراء، فيفترض أنها من لغة قبيلة عربية قديمة، ولكن النصوص المثبتة لمعناها الأصيل ضاعت. وهذا رأي يعتمد على هدم البناء بمعول من الخيال والفرض لا يبنى ولا يهدم[53].

خلاصة القول:

إن ما تناولته في السطور الفوقانية يوضح أن كلمة "الأدب" اختلاف. فمن الأدباء واللغويين من ذهب إلى أن "الأدب" هو نفسه "الأدب" الذي ورد في الشعر الجاهلي بمعنى الدعوة إلى الوليمة، ثم جاء التطور فيها كما هو رأي جميع المتقدمين ومعظم الجدد سوى المستشرقين أو المتأثرين بهم --- ومنهم من ذهب إلى خلافهم كما هو رأي المستشرقين أو المتأثرين بهم مثل الأستاذ طه حسين.

لكن ما الذي سبّب هذا الاختلاف؟ وما هي النقطة الأساسية التي إذا عرفناها عرفنا القضية كلها؟

إن الذي اتفق عليه العلماء هو أن كلمة "الأدب":

1. وردت في الشعر الجاهلي بمعنى الدعوة إلى الوليمة.
2. كانت شائعة في العصر الأموي وما بعدها من العصور.

لكن المشكلة هي الفرق بين المعنيين مع اتفاقهما في المادة، بحيث إن العلماء إذا قرّروا مادة "الهمزة والدال والباء" الجاهلية أصلَ الأدب، واجهوا التفاوت في المعنى، وإذا راعوا المعنى أنكروا اصل الأدب في الجاهلية. فهنا انقسموا قسمين:

---

[51] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 11

[52] في الأدب الجاهلي، ص 23

[53] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 11

1. جماعة ترى مادة "الهمزة والدال والباء" أصل "الأدب":

فهذه الجماعة تدين ما كان يدينه القدماء والأسلاف، وهي التي توفّق بين المعنيين كي يزول التفاوت بين المعنيين المختلفين معنًى والمتفقين مادةً.

وخلاصة رأيهم:

أ- أن الكلمتين سيّان في المادة

ب- استعملت هذه الكلمة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ونستطيع أن نراها شائعة في العصر الأموي وما بعدها من العصور.

ت- وعلى ذلك، ورودت هذه المادة في الحديث النبوي، وفي كلام الخلفاء الراشدين الأربعة أيضًا.

2. وجماعة تنكر أصل الأدب في الجاهلية، وخلاصة دلائلهم:

أ- مع أن الكلمتين متفقتان في المادة، لكنهما مختلفتان في المعنى.

ب- نصوص العصر الجاهلي هي ليست قوية إسنادًا حتى تثبت حكمًا لغويًا.

أما الحديث فليس بحجة قاطعة --- أو لا يثبت حكمًا لغويًا إلا إذا ثبت ثبوتًا لا يقبل الشكّ، أو كان الراجح على أقلّ تقدير أنه صحّ بلفظه عن النبي ﷺ[54].

[54] في الأدب الجاهلي، ص 23

رأي الباحث

أفضل آراء الذين يرون كلمة "الأدب" جاهلية الأصل، وذلك لعدة أسباب:

1. إذا أردنا أن نفحّص أصالة الأدب من العربية ينبغي أن نختبرها في ضوء الدلائل اللغوية التي تثبت حكمًا لغويًا، ولا في ضوء الدلائل التي تثبت حكمًا علميًا أو دينيًا.
   وهذا ما فعل اللغوين القدماء بغير أي ضغط أجنبي، وكلهم اتفقوا على ذلك، ولم يشك أحدٌ في أصالته طوال القرون، بينما إذا سلكنا مسلك المستشرقين أو المتأثرين بهم فمن المحتمل أن نشكّ في أصالة معظم العربية.
2. والأحاديث التي وردت فيها هذه الكلمة هي أقوى إسنادًا وأكثر اعتمادًا من الشواهد التي تثبت حكمًا لغويًا.
3. قد لا يكون الخيار لدى الإنسان بين الدليل القوي والدليل الضعيف، وإنما يكون بين الدليل الضعيف والأضعف. فالذين يرون أصل "الأدب" من غير العربية هم عندي أضعف رأيًا، وذلك لأنهم بنوا عمارة رأيهم على شكوك وافتراضات لا أساس لها. أما الذين يرون أصل "الأدب" من العربية، فبنوا رأيهم على أسس ثابتة، وهي أن ورود مادة "الهمزة والدال والباء" في العصر الجاهلي والإسلامي وما بعدها، وكذلك وردت هذه الكلمة في أحاديث عديدة بطرق مختلفة- منها ما ذكرتها ومنها ما سأذكرها في الصفحات التالية- ما يجعلها تاريخًا لا ينكر.

تطوّر كلمة "الأدب"

1. دلّت كلمة "أدب" في العصر الجاهلي على الدعوة للمأدبة، فالآدب هو الداعي إلى المآدب، قال طرفة:

نحـن في المشـتاة نـدعو الجفلـى لا تـــرى الآدب فينـــا ينتفـــر[55]

2. ثم توسّع العرب في معناها فاشتقوا منها الآدب بمعنى الأخلاق الكريمة والسجايا النبيلة لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح[56].

وبين المعنيين صلة وثيقة، لأن العرب يحيون في بادية مقفرة شحيحة بالزاد، فتمدحوا بالقرى، وبالغوا في الحفاوة حتى تخرّق فيها بعضهم، فكان من الطبيعي أن ينتقلوا من معنى الآدب الحسي إلى ذلك المعنى الخلقي[57].

ولا يعرف بالتحديد حدوث هذا التجوز، لكن هناك نصوص في العصر الجاهلي تدل عليه، ومنها قول بلعاء بن قيس الكناني- الذي شهد حرب الفجار الثاني:

أصـبحت آتـي الـذي آتـي وأتركـه وبـــات أكثـــر رأي النـــاس مرتابـــا

وإن أمـت والفتى رهـن بمصـرعه فقـد قضـيت مـن الآداب آرابـا[58]

ومنها قول عتبة بن ربيعة لابنته هند يصف لها خاطبها- أبا سفيان- ولم يذكر اسمه: يؤدّب أهله ولا يؤدبونه". وردّها عليه: وإني لآخذه بأدب البعل، مع لزوم قبتي، وقلة تلفتي"[59].

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات:

---

[55] شرح ديوان طرفة، ص 52

[56] تهذيب اللغة، مادة: أدب

[57] الحياة العربية، المصدر نفسه، ص 8

[58] المؤتلف والمختلف، ص 106

[59] الأمالي، 104/2

"عرف الجاهليون- ولا ريب- هذه الكلمة واستعملوها على التعاقب في معانٍ ثلاثة- على ما استقرأه الأستاذ نللينو، استعملوها أولًا في معنى الطريقة المحمودة والعادة الحسنة، ثم استعملوها في الأخلاق الكريمة والشمائل الموروثة، ثم توسّعوا فيها فأطلقوها على تهذيب النفس وتعليم المرء ما أثر من المحامد والمعارف"[60].

وفي الحديث النبوي: أدّبني ربّي فأحسن تأديبي"[61].

وقوله ﷺ في الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين: ورجل كانت عنده أمة فأدّبها فأحسن تأديبها"[62].

وقول عليّ رضي الله عنه: وأدّبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا"[63].

وقوله: وقد لبس للحكمة جنتها، وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها، والمعرفة بها والتفرغ لها"[64].

وقول حجر بن عدي للإمام علي: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك"[65].

وقول سيدنا عمر لابنه: يا بني انسب تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك"[66].

وجاء في رثاء كعب بن سعد الغنوي- وهو شاعر إسلامي يرجح أنه تابعي- لأخيه قوله:

حبيب إلى الزوّار غشيان بيته جميل المحيا شبّ وهو أديب

إذاما تراءاه الرجال تحفظوا فلم تنطق العوراء وهو قريب[67]

والذي يفهم من الكلمة هنا أنه ذو أخلاق عالية، حتى أن الرجال يتحفظون بمجلسه فلا ينطقون بفاحش من القول[68].

---

[60] في أصول الأدب، ص 7

[61] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، 1534/11

[62] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2404

[63] نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب، 536/2

[64] المصدر نفسه، ص 535

[65] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 9

[66] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[67] البيان والتبيين، 168/1

[68] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 9

وفي أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي الأول نشأت علوم اللغة العربية --- واتسع نطاق كلمة أدب فشملت الشعر والنثر وما يتصل بهما من شرح وأخبار وأنساب ومسائل من النحو والصرف واللغة والنقد، وألّفت كتب بهذا المعنى مثل طبقات الشعراء لابن سلام، والبيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، والشعر والشعراء وعيون الأخبار وأدب الكاتب لابن قتيبة، لأنهم فهموا الأدب على أنه ثقافة عربية لغوية جامعة.

ولم يكن الأدب ثقافة المسلمين فقط، بل اتسعت دائرتها عما كانت عليه في القرن الأول، فتفرعت إلى القرآن الكريم وتفسيره وقراءاته ورسمه، وإلى الحديث الشريف وعلومه، وإلى الفقه وأصوله، والكلام ومذاهبه، كما ازدهرت ثقافتهم الدخيلة من منطق وفلسفة وطب وفلك ---[69].

وفي العصر العباسي تطور لفظ الأدب، فتولد من معانيه الأصلية معانٍ أخرى اقتضتها الحال. فتولد من المعنى الأول- العادة الحسنة- إطلاق على السنة النبوية- والجاحظ هو أوّل من فعل ذلك، فقد قال: فالذي لم يأخذ فينا بعلم القرآن ولا بأدب الرسول ﷺ ولم يفرغ إلى ما في السنن الصحيحة أولى بالإساءة وأحقّ باللائمة"[70].

وفي أواخر القرن الثالث عبروا بالأدب عن المنهج الواجب سلوكه في تلقي علم من العلوم أو مزاولة عمل من الأعمال، فأرادوا مثلًا بآداب الدرس طريقة التعليم والتعلم.

وربما رادف الأدبُ الواجبَ، فقد قال الإمام الغزالي، في كتاب إحياء علوم الدين: آداب المتعلم والمعلّم، وآداب النكاح والمعاشرة، وآداب الأكل والضيافة، وآداب الصحبة والعزلة، وآداب الجمعة، وآداب الفقر، وغيرها[71].

وقيل للحسن البصري: قد أكثر الناس في تعلم الآداب، فما أنفعها عاجلًا وأوصلها عاجلًا؟ فقال: التفقه في الدين (فإنه يصرف إليه قلوب المتعلمين) والزهد في الدنيا (فإنه يقربك من رب العالمين) والمعرفة بما لله تعالى عليك (يحويها كمال الإيمان)[72].

---

[69] المصدر نفسه، ص 14

[70] كتاب الحيوان، 8/1

[71] إحياء علوم الدين، 48/1-261

[72] اللمع، ص 143

ولما رقّت العيش في مدن العراق والجزيرة في القرن الثالث، وتقلب العرب في أعطاف النعيم أولعوا بالمنادمة والتأنق، فأطلقوا الأدب على الأناقة باللباس، واللباقة في الحديث والكلام فكان الأديب والظريف بمعنى واحد[73].

وبعد أواسط القرن الثاني، أطلق الأدب على جميع ما ترجم من العلوم ونقل من الألعاب والفنون[74]، وما يدلنا على ذلك ما روي عن الوزير الحسن بن سهل: الآداب عشرة: ثلاثة شهرجانية، وثلاثة أنوشروانية، وثلاثة عربية، وواحدة أربت عليهن. فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج، وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية، وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس، وأما الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر، وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس"[75].

وأدخل إخوان الصفا في عداد العلوم الرياضة التي سمّيت الأدب أحيانًا السحر والكهانة والكيمياء وغيرها إلى جانب اللغة والشعر والرياضة[76].

وكان الغناء أيضاً يعتبر من فنون الأدب، ولذلك نرى ابن خلدون يقول: وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن (الأدب) لما هو تابع للشعر، إذ الغناء إنما هو تلحينه، وكان الكتاب والفضلاء، من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به، حرصًا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه"[77].

لكن إطلاق الأدب على الفنون والصناعات، وجميع العلوم غير الشرعية لم يدم. وبعد إنشاء المدرسة النظامية ببغداد، قصر الأدب على ثمانية علوم: وهي النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، والقوافي، والشعر، وأخبار العرب وأنسابهم.

---

[73] في أصول الأدب، ص 10

[74] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[75] زهر الآداب، 146/1

[76] الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص 17

[77] مقدمة ابن خلدون، ص 554

ثم جاء الزمخشري فعرّف علوم الأدب بأنها علوم يحترز بها من الخلل في كلام العرب لفظًا وكتابة، وجعلها اثني عشر علمًا بإضافة المعاني والبيان، والإملاء، والإنشاء، والحو، والتصريف، واللغة، والعروض، والقوافي، وصفة الشعر، وأخبار العرب وأنسابهم.

وظل هذا التقسيم متبعًا حتى طال علينا الأمد، ودارت علينا الدوائر، وبدأنا نأخذ (المسلمون) من تلاميذنا (الإنجليز)، فوضع الأدب مقابلًا لكلمة (Literature) في الأدب الأوربي[78].

تعريف الأدب الاصطلاحي

لقد عرّف الأدب بتعريفات عديدة، وأحسن تعريف عندي ما قدّمه سيد قطب، وهو أن الأدب هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية"[79].

ثم يوضح تعريفه هذا قائلًا بأنه: تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل به ضمير الفنان. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق عن تصور معيّن للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان وبعض"[80].

حسب هذا التعريف، يعتمد العمل الأدبي على جزئيتين اثنتين، هما:

1. التجربة الشعورية، ثم
2. التعبير عنها تعبيرًا موحيًا جميلًا[81].

---

[78] في أصول الأدب، ص 11

[79] النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 11

[80] في التاريخ فكرة ومنهاج، ص 11

[81] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 52

والمراد من (التجربة الشعورية) هو تأثر الأديب أو الشاعر بمؤثرات داخلية أو خارجية، ما يحرّك وجدانه، ويثير عواطفه، ويدفعه إلى التعبير عنه خلال أدوات التعبير اللغوي في قالب أدبي محدّد[82].

إذن يتبادر الأديب أو الشاعر إلى التعبير عما وجد في نفسه تعبيرًا جميلًا موثرًا في نفوس الآخرين، ليتأثروا به كما تأثر هو[83].

فطبيعي أن يمرّ الفنان بـ(تجربة شعورية) قبل أن يولّد نصًّا أدبيًا، إذ الإبداع هو التعبير عن هذه (التجربة الشعورية)[84].

ثم إذا كان هذا التعبير عن هذه التجربة في أسلوب شعري سمّيت تجربة شعرية، وإذا كان نثرًا سمّيت تجربة نثرية[85].

ولا تكون التجربة ناجحة منتجة ما لم تتوافر لها الشروط المهمة التالية:

1. نضج عناصرها في نفس صاحبها، واتضاح وتبلور أبعادها في ذهنه.
2. تعاون فكره وخياله في ترتيب وتنسيق عناصرها.
3. ظهور عنصر الصدق واقتناع النفس في التجربة، ولا يعني الصدق هنا مطابقة التجربة للحقيقة والواقع، وإنما المراد به المطابقة لوجدان الأديب ومشاعره، حتى لا تعتبر ساقطة القيمة، عديمة الجدوى.
4. كون هذه التجربة ذات مغزى يفيد الحياة.
5. أن يرسم التعبير الصورة الجميلة الموحية المؤثرة، المثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين[86].

هذه العناصر الخمسة السالفة الذكر لن تكون لها قيمة مهمّة متكاملة التجربة، ما لم يعبّر عنها في صورة موحية مثيرة تنقلها إلى القلوب[87]، لأنها ما دامت مضمرة في النفس، لم تظهر في صورة لفظية معينة، فهي إحساس أو انفعال، لا يتحقق به وجود العمل الأدبي[88].

---

[82] نظرية الأدب الإسلامي، ص 115

[83] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 52

[84] نظرية الأدب الإسلامي، ص 15

[85] المصدر نفسه

[86] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 52-54

تاريخ الأدب

الشرق أسبق إلى تدوين العلم من الغرب. فقد نظم الشعر، وعالج الأمراض، ووضع الشرائع، ورصد الكواكب، والغرب في غفلة وظلام.

أما السؤال عمن سبق إلى العلم من أمم الشرق، فلا يمكن الجواب عن هذا السؤال جوابًا حاسمًا، إذ معظم آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال. وما تبيّن حتى الآن من قراءة الآثار، أن وادي النيل والفرات هما أسبق بلاد الشرق إلى الاشتغال بالعلم والأدب.

منذ ستة آلاف سنة تقريبًا برز العلماء والأدباء والشعراء بمصر في عهد الأسرة الثالثة من الدولة المصرية الأولى قبل بناء أهرام الجيزة. كما وجدت آثار تدل على وجود الكتب آنذاك. وأهمّ ما وصل إلينا منها (كتاب الموتى) وهو كتاب الطقوس، وفيه شعر وأدب وتاريخ وعقود وعهود وأغانٍ.

من ملوك الفراعنة من وضع كتابًا في علم الطب تداوله الناس إلى القرن الأول للميلاد. كما نبغ الشعراء بمصر منذ أقدم عصورها، وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون حول ملوكها، وينظمون القصائد في كل نصر أو فتح، يمتدحون ملوكهم ويسمّونهم أبناء الشمس، وأصحاب التاجين.

وقد تعاصر المصريون والبابليون، وتبادلوا العلم والمعارف, لكن الاكتشافات الأثرية تشير إلى وجود أمتين سبقتا البابليين إلى أسباب المدنية والعلم، وهما: الأكاديون، والسامريون. نزلوا وادي الفرات نحو القرن الخامس والأربعين قبل الميلاد، وما زالوا مشعلًا إلى أوائل القرن العشرين قبل الميلاد.

فاقتبس البابليون من الأكاديين حروفهم المسمارية وطبعوا بها أخبارهم على آثارهم، كما كان السومريون أهل شريعة ودين وصناعة عند قدومهم الفرات.

واقتبس أهل الشام والعراق عن الأكديين والسومريين كثيرًا من أسباب العلم والمعرفة.

---

[87] المصدر نفسه، ص 54

[88] النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 11

ويكتشف التنقيب الآثاري عن أول مكتبة بناها أحد ملوك العراق في (وركاء) وسمّاها مدينة الكتب، واستعان بالعلماء من سائر الأقطار في نقل العلوم الآخرين إلى لسانهم وتدوين علومهم.

وأقدم أثر علمي بقي سالمًا إلى هذا العهد، فهو شريعة حمورابي وهي أوّل دولة عربية، وأقدم الآثار العلمية الباقية العربية الفكر.

ثم سلكت شمس العلم غير مسلكها، وجعلت الغربَ مطلعها، فانتقلت رياسة العلم من الشرق إلى الغرب. وأسبق الأمم إلى ذلك أقربها إلى الشرق أي اليونان. وعنهم أخذ الرومان وأنشأوا التمدن الروماني.

ولكل من هاتين الأمتين كتب خاصة في تاريخ آدابها، والمرجع في ذلك إلى تاريخ آداب اللغة اليونانية، إذ هو أساس سائر لغات أوربا حتى اليوم. ثم بعد نشأة الدول الحديثة، استقلت كل أمة بلغتها وآدابها، وصار لكل منها تاريخ خاص لآداب لسانها.

فالآداب العربية التي كانت ذات يوم أساسًا لآداب كل أمة ظهرت في أثناء التمدن الإسلامي أو بعده حتى في أوربا، فهي الآن مدينة لآداب اليونان، وبدأت تأخذ من آداب تلاميذهم[89].

[89] تاريخ آداب اللغة العربية، ص 15-20

أقسام الأدب

ينقسم الأدب باتعبارات إلى عدة أقسام:

- فباعتبار التاريخ، ينقسم الأدب العربي إلى عصور تاريخية خمسة، وهي:

1. العصر الجاهلي: ويبتدئ في منتصف القرن الخامس للميلاد، وينتهي بظهور الإسلام عام 622م.
2. عصر صدر الإسلام والدولة الأموية: ويبتدئ مع الإسلام، وينتهي بقيام الدولة العباسية عام 132هـ.
3. العصر العباسي: ويبتدئ مع قيام الدولة العباسية وينتهي بسقوط بغداد في يد التتار عام 656هـ.
4. العصر التركي: ويبتدئ هذا العصر بسقوط بغداد في يد التتار، يونتهي عند عصر النهضة الحديثة عام 1220ث.
5. العصر الحديث: ويبتدئ باستيلاء محمد علي باشا على مصر ولا يزال[90].

- وباعتبار الأسلوب، ينقسم الأدب العربي إلى النثر والشعر[91].
- وباعتبار التزامه بقيم الإسلام وعدم الالتزام بها، ينقسم إلى أدب إسلامي وغير إسلامي[92].

الفصل الثاني

---

[90] المصدر نفسه، ص 3

[91] نقد النثر، ص 73

[92] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 56

الأدب الإسلامي: معناه وأنواعه ومصادره

إن أدب أي أمة هو تعبير عن وجودها وحياتها، ونشاطها، وبيئتها وكونها، وواقعها وعالمها، وعاطفتها وشعورها، وفكرها وتصوّرها. إنه يصف فكرتها وعقيدتها، وظنها وإيمانها. فهو يصوّر لنا حالة الأمة، ينمو مع نموّ الأمة، ويضعف مع ضعفها وانهيارها.

لكن الأدب لا يستطيع أن يبلغ المنزلة العالية- منزلة الفطرة السليمة، والإنسانية السوية، ومكارم الأخلاق، والصراط المستقيم- لأن أوهام البشر تحصره، وأهواؤهم تخنقه، وشهواتهم تهبط به، وآثامهم تلوّثه.

فلا يستطيع الأدب إذًا أن يبلغ منزلة عظيمة إلا إذا كان إسلاميًا، أدبًا مرتبطًا بالإيمان، ملتزمًا منهجه (منهج القرآن والحديث)، ناميًا في ظلاله وعلى قواعده.

ففيما يلي أذكر تعريف الأدب الإسلامي ومنهجه باختصار.

الأدب الإسلامي

لقد تناولت مفهوم الأدب، فلنر الآن مفهوم الأدب الإسلامي.

كما مرّ في أحد تعريفي سيد قطب للعمل الأدبي أنه: تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل به ضمير الفنان. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق عن تصوّر معيّن للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان والبعض"[93].

فكلّ تصوّر خاص للحياة، وللارتباطات فيها بين الإنسان والكون، من شأنه أن ينشئ قيمًا تتأثر بها الآداب والفنون، سواء شعر أصحابها أنهم تأثروا بهذه القيم أم لم يشعروا[94].

كذلك للإسلام موقف وتصوّر معيّن للحياة، تنشأ عنه قيم خاصة بها. فمن الطبيعي إذًا أن يكون التعبير عن هذه القيم ذا صبغة خاصة[95].

فيقتضي ذلك أن يكون هذا التعبير المنبعث عن القيم الإسلامية مختلفًا تمام الاختلاف عن التعبير الذي يصدر عن تصوّر غير إسلامي[96].

وبه يتعيّن مفهوم الأدب الإسلامي، وهو الأدب الذي يكون خاليًا مما نهى الله عنه ورسوله، ويتقيّد بحدود الإسلام النابعة من القرآن والسنة وأدب الصحابة[97].

لذا سُمّي الأدب الذي اتفق مع التصوّر الإسلامي للحياة، أدبًا إسلاميًا، لكنه إذا تخلّف عن كونه تعبيرًا عن ذلك التصور، عاجزًا عن التوافق والانسجام معه كان غير إسلامي، مهما ادّعى الأديب بكونه مشبّع الضمير والوجدان بالتصور الإسلامي[98].

ومن هنا نرى سيد قطب يعرّف الأدب الإسلامي- مع ملاحظة تعريفه السابق للأدب عمومًا- "ليس الأدب الإسلامي هو وحده يتحدّث عن الإسلام أو عن حقبة من تاريخه، أو عن شخص من أشخاصه، وإنما هو التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية"[99].

---

[93] في التاريخ فكرة ومنهاج، ص 11

[94] المصدر نفسه، ص 14

[95] المصدر نفسه، ص 15

[96] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 56

[97] تاريخ الأدب العربي، 22/2

[98] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 56

[99] في التاريخ فكرة ومنهاج، ص 28

ثم يأتي الأستاذ محمد قطب ويعرّف الفن الإسلامي- والأدب من أبوابه- فيقول: إنه التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصوّر الإسلام للكون والحياة والإنسان"[100].

ويكاد الكاتبون والباحثون الذين خاضوا في هذا الموضوع للوصول إلى تعريف موحّد للأدب الإسلامي، لا يخرجون عن ذلك إلا في بعض الألفاظ والعبارات[101].

مجالات الأدب والإسلامي

إن مجالات الأدب الإسلامي أوسع بكثير مما يظنه من نظر إلى تعريفه أوّل الأمر، إذ يشمل:

- الكون كله وما فيه من الأراضي والسماوات، وما بينهما من الشموس والأقمار، والأبحر والأنهار، والسهول والجبال، والزروع والأشجار، والصبح والمساء، والنور والظلام ---
- فيتدبر الفنّان هذه الطبيعة ويجد يد الله وقدرته وراء كل شيء، فيفكّر فيها ويعثر على آياته التي تدلّ على وحدانيته وربوبيته عزّ وجلّ.
- المخلوقات الحية من الحيوان والنبات، والطير والحشرات، أشكالها مختلفة، وألوانها متنوعة، وأنواعها متعددة فينظر فيها الفنان بنظرة عبرة، فيربط صلة بينها وبين بارئها، وبينها وبين بني آدم، ما يمنحه علمًا بربه ومعرفة به، ويملؤه إيمانًا ونورًا ----
- الإنسان، ومقامه في هذا الكون، ونوعية اختلافه عن المخلوقات، إذ أنه خليفة الله في الأرض، وليس كمثل المخلوقات الأخرى، خلقه الله معرّضًا لوساوس الشيطان، عاقلًا يفرّق بين حق الله وباطل الشيطان، ثم أرسل إليه الأنبياء والرسل، يهدونهم إلى الصراط المستقيم. فالإنسان إما يؤمن بهم ويتبعهم فيستحق الجنة، أو يكفر بهم ويكفّرهم ويستحق النار.
- وللأديب في كل هذا مجال واسع للإبداع، إذ مجالات ذلك منفسحة لا تقتصر على زمان ولا مكان[102].

---

[100] منهج الفن الإسلامي، ص 6

[101] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 57

[102] من قضايا الأدب الإسبلامي، ص 57-64

- "الحب" حبّ الله ورسوله، وحبّ القيم والمبادئ العليا، وكذلك حبّ أفراد المجتمع الذين يحملون هذه القيم الثمينة والمبادئ العليا، ويعلون راياتها، ويجتهدون في نشرها في كل أنحاء العالم.
- ويمكن للأديب أن يتخذ من كل هذه المجالات الخصبة موضوعًا مبتكرًا لأدبه وفنّه الإبداعي، ما دام يلتزم بالشرطين الأساسيين، هما التصوّر الإسلامي، ثم التعبير عن أدبه بصورة ملائمة[103].

خصائص الأدب الإسلامي

للأدب الإسلامي خصائص يتصف بها، وميزات يتميّز بها عن الأدب غير الإسلامي، أهمّها ما يلي:

1- <u>الالتزام:</u>

"الالتزام منهج وأسلوب عمل وفق تصوّر معيّن" وهو شيء معروف لدى كثير من الآداب العالمية، وعند كل مذهب من مذاهب الفن[104]، إلى أن الذين يزعمون أنهم يرفضون الالتزام، ويعدّونه منافيًا للقيم الفنية والجمالية، وقيدًا على حرية الأديب، يلتزمون بقواعد ومبادئ، سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا، واعترفوا أم لم يعترفوا[105].

وكذلك للإسلام وجهة نظر معينة في قضية ما من القضايا تكون ملتزمة لمن آمن به[106]، فينبغي للأديب المسلم أن يكون على علم بها.

كما للإسلام عقائد وأخلاق، وقيم ومبادئ يفترضها على المجتمع[107]، مرجعها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[108].

فالأدب الإسلامي، هو أدب يلتزم بهذه القيم الربانية، ويدعو إليها ويبشّر بها[109]. وعلى الأديب المسلم أن يبرز هذه القيم العقدية والخلفقية المنبعثة من القرآن، والسائدة في مجتمعه المؤمن، ويحبّب الإيمان ويدعو إلى صحة المعتقد، وأن ينفّر عمّا يناقضها، ويبغّضها فيما هو بضدّها[110].

---

[103] المصدر نفسه، ص 58-64
[104] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 65
[105] المدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 76
[106] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 69
[107] المصدر نفسه، ص 66
[108] المدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 79

فينبغي أن يكون الأديب المسلم أكثر المسلمين التزامًا بما يعتقد فكرًا واعتقادًا وسلوكًا، حتى يستطيع أن يعطي الصورة الحقيقية عن الحياة والإنسان وعند المجتمع خلال تصوّره الإسلامي[111].

2- أدب هادف:

إن الأديب المسلم إذا لا يمكن له أن يقضي حياة عبثًا، فكيف يمكن له أن يأتي بأدب ليس من ورائه فائدة، إذ هو يعتقد أن الله لم يخلقه عبثًا[112]، وأن الإعراض عن اللغو من واجباته الدينية[113]، وأن من القول عيالًا[114]، وأن كلّ كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله[115].

فهدف الأدب الإسلامي هو ترسيخ الإيمان بالله عزّ وجلّ في الصدور، وتأصيل قيم الفضيلة في القلوب[116]، وغرس مبادئ الخير والجمال في النفوس، والتباعد عن الرذيلة والقبح والشين، حتى ترتقي الحياة إلى المستوى الأصلح والأجمل[117].

3- الشمول والتكامل:

ليس الإنسان مخلوقًا مشتملًا على عناصر مادية فحسب، وإنما نفخ فيه الله الروح[118]، بعد أن خلقه من طين لازب[119]. وهذا يعني أنه ليس مثل الحيوانات الأخرى، بل يرتفع عنها لهذه النفخة الإلهية.

---

[109] نحو مذهب إسلامي، ص 41
[110] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 66-67
[111] في الأدب الإسلامي المعاصر، ص 39
[112] سورة النور: 115
[113] سورة الفرقان: 72، والقصص: 55 والمؤمنون: 3
[114] سنن أبي داؤد، رقم الحديث: 5012
[115] سنن الترمذي، رقم الحديث: 2412
[116] نحو مذهب إسلامي، ص 116
[117] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 71-73
[118] سورة السجدة: 9
[119] سورة الصافات: 11

لذا نرى أن الإسلام لم ينظر إلى جانب الإنسان المادي بمعزل عن روحه، ولم يتناول حياته المادية كأنها هي جوهر حياته وحقيقتها، مهملًا القيم المعنوية والأشواق العليا، إذ يؤدي ذلك انحرافه عن الصراط المستقيم وسقوطه عن كرامته.

والأدب الإسلامي أدب شامل يتناول كلا جانبي حياة الإنسان غير منقوصة ولا مشوّهة، يعرض صورته بكل قيمها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية ممتزجة متداخلة، إذن يخرجه من الظلمات إلى النور، ويرفعه من السقوط الخلقي إلى ذروة كريم الأخلاق، ويجنّب وساوس الشيطان، ويهديه إلى هداية الرحمن[120].

4- الواقعية:

يختلف مفهوم الواقعية في الأدب الإسلامي عن مفهومها في المذاهب الفنية الغربية. هذه المذاهب تحدّد واقع الإنسان ولا يتناول إلا جانبًا ماديًا حيوانيًا من حياته دون نظر إلى الجوانب الروحية المعنوية. وهي تمثّل جانبًا فرديًا، أو حياة قطاع معين من قطاعات المجتمع، أو طبقة من طبقاته في لحظة معينة دون واقع المجتمع كله، وتعبّر عن لحظات الضعف والسقوط والهوان، دون اعتبار للقوة والسموّ والارتفاع[121].

والواقع في الأدب الإسلامي يحمل مفهومًا أعمّ وأشمل، وهو الواقع البشري. فالأدب الإسلامي يتناول، في الواقع البشري، كل ما يحدث في حياة الإنسان من تطوّرات اجتماعية واقتصادية وسياسية، فكرية وروحية --- وتصوّر هذا الواقع مراعيًا مكانة الفرد في حياة البشرية، ولا يهمل واقع الجماعة، كما لا تهمل القوة والارتفاع عند تعبيره عن لحظات الضعف والسقوط.

وكذلك لا يرسم الأدب الإسلامي الشرّ بحيث يجعل منه فضيلة، ولا يصوّر الضعف جاعلًا منه بطولة[122].

5- الإيجابية والحيوية المتطوّرة:

إن الأدب الإسلامي أدب إيجابي وذو حيوية نامية، وليس بأدب سلبي جامد.

---

[120] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 74-75

[121] المصدر نفسه، ص 75

[122] المصدر نفسه، ص 75-76

فالإسلام يعترف بأن الإنسان ضعيف، ويدفعه ضعفه هذا إلى الانحطاط والسقوط، ويحول بينه وبين العظائم والمكارم. فنجد الكثير من الآيات القرآنية تشير إلى هذه الحقيقة، منها "--- وخلق الإنسان ضعيفًا"[123] و"إن الإنسان خلق هلوعًا، إذا مسّه الشرّ جزوعًا، وإذا مسّه الخير منوعًا"[124] و"وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشر كان يؤوسًا"[125] و"وإذا مسّ الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه كذلك زيّن للمسرفين ما كانوا يعملون"[126].

غير أن الإسلام يرى الإنسان صاحب استعداد وقدرة على الارتفاع عن السقطة بعد السقوط، والتغلّب على عيوبه ومواطن ضعفه، وهو حتى يشجّعه على ترك المعاصي والآثام، ويحمله على مقاومة وساوس الشيطان. وهناك آيات وأحاديث كثيرة تدلّ على هذا: "إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم"[127] و"--- والله يحبّ المحسنين، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصبروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العالمين"[128] و"من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[129].

وانطلاقًا من هذه النقطة --- فالأدب الإسلامي يرسم الإنسان وقد أصابه الضعف والهبوط، فلا يرسمه باعتبار لحظة قهر واضطرار دفع إليها المجرم المسكين دفعًا ليقع فيها، بل بهدف أن يعطف عليه، وبغاية أن يبحث له عن المعاذير، لأن الظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية من حوله هي التي ألجأته لارتكاب ما ارتكب من إثم، فهي – إذن- المجرم الحقيقي، أما هذا الفرد فإنما هو ضحية.

---

[123] سورة النساء: 28

[124] سورة المعارج: 19-21

[125] سورة الإسراء: 83

[126] سورة يونس: 12

[127] سورة الرعد: 11

[128] سورة آل عمران: 134-136

[129] صحيح مسلم، رقم الحديث: 78

فالأدب الإسلامي أدب موجّه لا يرضى بالواقع، وإنما يهتم بتغيير وتحسينه. فهو يصوّر الإنسان كما يريده الإسلام، لأنه جاء لتطوير حياة الإنسان وترقيتها[130].

مصادر الأدب الإسلامي

القرآن الكريم والحديث النبوي هما المصدران الرئيسيان للأدب الإسلامي[131]، لأنهما يؤسّسان للإسلام فكره وروحه ومنهجه، إذ الإسلام هو كل ما وصل إلينا عن طريق القرآن الكريم والحديث النبوي، ولا وجود للإسلام- لا لعقائده، ولا لأوامره ونواهيه- بدونهما.

والمصدر الثالث للأدب الإسلامي- بعد القرآن والحديث- هو كل ما وصل إلينا من الأدب موافقًا للقرآن والحديث أو على الأقل لا يكون معارضًا لهما، شعرًا كان أو نثرًا، ومن أي عصر من العصور الأدبية يتعلق هذا الأدب.

فنجد الأدب الإسلامي في كثير من الشعر العربي منذ فجر الدعوة وحتى يومنا هذا، وفي النثر أيضًا ففي كتابات الوعاظ وقصصهم، وفي السير الشعبية، وطرائف الجاحظ، وتصانيف الصالحين وغيرهم، نرى الالتزام والارتباط بقيم الإسلام الخالدة[132].

إن الأدب الإسلامي متّسع جدًا، ولا يقتصر على الأدب العربي فقط، لما يدخل فيه آداب اللغات الأخرى غير العربية، بشرط أن تكون ملتزمة بقيم الإسلام، ولا تكون متعارضة معها.

لذا عدّ الأستاذ نجيب الكيلاني الأدب العربي جزءًا من الأدب الإسلامي[133]، وأدخل في نطاق الأدب الإسلامي آداب اللغات الأخرى، مثل الفارسية والأردية والتركية والإنجليزية والفرنسية وغيرها[134].

فيتضح مما تقدّم أهمية القرآن الكريم والحديث النبوي، في الأدب العربي عامة وفي الأدب الإسلامي خاصة، لا لأنهما من أدب لا يقلّد، بل لأنهما مقياس دخول أي أدب في نطاق الأدب الإسلامي وخروجه.

---

[130] من قضايا الأدب الإسلامي، ص 76-78

[131] المدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 79

[132] آفاق الأدب الإسلامي، ص 38

[133] المصدر نفسه، ص 34

[134] المدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 43

الباب الثاني

القـــــرآن الكـــــريم

الفصل الأول

تعريف موجز للقرآن الكريم

الله سبحانه وتعالى بعدما أهبط آدم وحواء على الأرض وانتشر فيها أولادهما وأولاد أولادهما لم يقعد فارغًا بل لم يزل يرسل إرشادات لعبادته إما عن طريق الوحي أو عن طريق الأنبياء والرسل الذين بعثهم إما بالهدى أو أمرهم باتباع الرسل الذين أوحى إليهم. فقال في كتابه العزيز:

"وإن من أمة إلا خلا فيها نذير".[1]

وقال أيضًا: "ما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم".[2]

ولكن الذين أرسل فيهم الأنبياء والرسل قاموا بتكذيبهم فقال تعالى مشيرًا إلى هذا الواقع المر:

"فإن كذبك فقد كذّب رسل من قبلك".[3]

وقال أيضًا:

"يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا يستهزءون".[4]

ولكن الله لا يصفح عمن يكذّبه ولا يؤمن به ويعكف على تكذيبه وعلى هذا فهو يعاقبهم عقابًا نكرًا فيقول:

"ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط"[5]

فالقول "بالقسط" يعني أن الله لا يظلم أحدًا بل يعاقبه على ما فعل المرء بذاته:

"ما كنّا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون".[6]

---

[1] سورة فاطر: 24

[2] سورة الحجر: 4

[3] سورة آل عمران: 184

[4] سورة يس: 30

[5] سورة يونس: 47

ولكن الله بعدما أهلك الظالمين لم يرغب عمن بقي بل لم يزل يهديهم عن طريق الرسل والأنبياء حتى أرسل آخر رسول ونبي وهو خاتم المرسلين محمد ﷺ فقال كما يلي:

"ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين".[7]

وقال كذلك: "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا".[8]

فالكتاب الذي نزّله عليه عُدّ كتابًا نهائيًا لهداية رب العالمين فقال:

"وما هو إلا ذكر للعالمين".[9]

فالقرآن كتاب سماوي نزل بيدي جبريل على محمد وباللغة العربية الفصحى:

"وإنه تنزيل من رب العالمين نزّل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين".[10]

وقال أيضًا: "تنزيلًا ممن خلق الأرض والسماوات العلى".[11]

وقال كذلك: "تنزيل من الرحمن الرحيم".[12]

ويفصّل القول المذكور أعلاه شيئًا فيقول: "إنه لفي زبر الأولين".[13]

وقال أيضًا:

"والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدّقًا لما بين يديه".[14]

وله ما يأتي:

"الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم"[15]

وأيضًا: "والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق".[16]

---

[6] سورة القصص: 59
[7] سورة الأحزاب: 48
[8] سورة سبأ: 28
[9] سورة القلم: 52
[10] سورة الشعراء: 192-195
[11] السورة نفسها: 196
[12] سورة فاطر: 31
[13] سورة الأنعام: 20
[14] السورة نفسها: 115
[15] سورة طه: 4

وآيات أخرى تفصّل القول فنختم على ما يلي من الآيات:

"وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين. أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين".[17]

"لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا".[18]

"ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان".[19]

وليس هذا فحسب بل تحدّى من اتهم بالافتراء أن يأتي بسورة من مثله أو قرآن كهذا فقال:

"إن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبد فأتوا بسورة من مثله وادعو شهداءكم إن كنتم صادقين".[20]

وقال:

"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا".[21]

ومن معجزاته أنه يبقى إلى يوم القيامة بدون أي تغيير فيه من قبل الإنس أو الجن فقال تعالى:

"إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون".[22]

"ما يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه".[23]

وعلى ما سلف يشهد التاريخ البشري منذ نزوله إلى يومنا هذا.

---

[16] سورة حم السجدة: 2

[17] سورة يونس: 37-38

[18] سورة النساء: 82

[19] سورة الشورى: 52

[20] سورة العنكبوت: 48

[21] سورة البقرة: 23

[22] سورة الإسراء: 88

[23] سورة الحجر: 9

متانة وسيلة نزول القرآن الكريم: ولقد اختار الله تعالى لتنزيل هذا الكتاب العزيز ملكًا من ملائكته مقربًا لديه والذي كان يقوم بإبلاغ وحيه العزيز إلى رسله الكرام وهو جبريل عليه السلام فقال تعالى: "نزّل به الروح الأمين".[24]

وقال تعالى في مكان آخر من كتابه العزيز:

"قل نزّله روح القدس من ربك بالحق".[25]

ولقد بيّن القرآن في آياته الشريفة صفات عديدة لهذا الملك الكريم فقال إنه قوي وأمين ومطاع ولا يَضِلُّ ولا يُضَلُّ فقال جلّ مجده:

"إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين".[26]

وقال في مكان آخر: "علّمه شديد القوى ذو مرة فاستوى".[27]

فقد بيّن في هذه الآية طريقة نزول الملك بالوحي الرباني.

نزول القرآن الكريم على محمد العربي ﷺ: أنزل هذا الكتاب العزيز على الرسول العربي محمد ﷺ والذي كان صادقًا وموثوقًا به حتى لدى أعدائه اللدّ فقد جاء في القرآن الكريم:

"نزّل به الروح الأمين على قلبك".[28]

وقال في مكان آخر: "فإنه نزّله على قلبك بإذن الله".[29]

ولقد نبّئ عن بعثته ونزول الوحي عليه في الصحف السماوية القديمة فقال القرآن بصراحة في آياته فجاء فيها:

"الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل".[30]

---

[24] سورة حم السجدة: 42

[25] سورة الشعراء: 193

[26] سورة النحل: 102

[27] سورة التكوير: 19-21

[28] سورة النجم: 5-6

[29] سورة الشعراء: 193-194

[30] سورة البقرة: 97

ونقل قول عيسى عليه السلام حيث اعترف بهذه الحقيقة:

"وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدّقًا لما بين يديّ من التوراة ومبشّرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد".[31]

ولمن قرأ الكتب السماوية الأولى وجد براهين على هذا القول، وبناءً على هذا فقد دعا ورقة بن نوفل أن يؤيده حينما يعلن عن نبوته وحينما ينكره وينفيه قومه فقال:

"يا ليتني فيها جذعًا يا ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي".[32]

ولقد نقل ردّ هرقل حينما سمع ما بيّن له سفيان العدّو لهذا الرسول العربي ﷺ:

"قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنّ أنه منكم".[33]

ولقد بيّن القرآن الكريم ذاته في غير موضع منه أنه رسول مبعوث فقال:

"وما محمّد إلا رسول".[34]

وقال في مكان آخر: "محمد رسول الله".[35]

ولقد اتبع الرسول ﷺ قول الله تعالى فلم يتحدث عن شيء لم يكن يأتيه بدون الوحي فجاء في الكتاب العزيز:

"ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى".[36]

وأيضًا قال:

"لو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين".[37]

---

[31] سورة الأعراف: 157

[32] صحيح البخاري، 2/1 (كيف كان بدء الوحي)

[33] المصدر نفسه، 4/1 (الباب ذاته)

[34] سورة آل عمران: 143

[35] سورة الفتح: 29

[36] سورة النجم: 3-4

[37] سورة الحاقة: 44-45

وقت نزول القرآن: وبما أن القرآن الكريم كتاب رباني مبارك فقد تم نزوله في شهر كان مباركًا فقال تعالى:

"شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن".[38]

وقال أيضًا: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة".[39]

ويوضّح هذه الليلة المباركة ويحدّدها فقال:

"إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر".[40]

جمع وتفسير القرآن من مسؤوليات الله تعالى: وليس هذا فحسب بل وعد الله تعالى أنه سيقوم ببيانه وتوضيحه وليست هذه المسؤولية لأحد غيره جلّ جلاله فقال:

"لا تحرّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ثم إن علينا بيانه".[41]

ومن أسباب هذا البيان أنه أنزله بلسان العرب المبين فقال تعالى: "إنا جعلناه قرآنًا عربيًا".[42]

وقال في مكان آخر:

"نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين".[43]

عظمة القرآن الكريم: ولقد ذكرت عظمة القرآن وكبرياؤه في مختلف مواضع القرآن وعن مختلف الجهات فالجانب الأول من عظمته أنه كلام رباني وليس كلامًا بشريًا فقال تعالى:

"تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم".[44]

وبما أنه كلام رباني فهو أحسن الحديث وخال من أي نوع من أنواع المناقص البشرية في الكلام فقال جل جلاله: "الله نزّل أحسن الحديث".[45]

---

[38] سورة البقرة: 185

[39] سورة الدخان: 3

[40] سورة القدر: 1-3

[41] سورة القيامة: 16-19

[42] سورة يوسف: 4

[43] سورة الشعراء: 193-195

[44] سورة المؤمن: 2

وقال في موضع آخر:

"كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرّمة مرفوعة مطهّرة بأيدي سفرة كرام بررة".[46]

والجانب الآخر من محاسنه أنه يهدي البشر ولا يضلّهم فقال:

"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم".[47]

والجانب الثالث أن محتوياته مما لو نزّل على جبل لانشق الجبل فقال:

"لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدّعًا من خشية الله".[48]

طريقة تلاوته: وأما طريقة تلاوة هذا الكتاب المبارك فقد أشار القرآن إليها في غير ما آية منه فقال:

"لا يمسّه إلا المطهّرون".[49]

وأوصى بأن يتعوّذ البشر قبل تلاوته:

"فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم".[50]

وقال أن يبدأها باسم الله الرحمن الرحيم:

"اقرأ باسم ربك الذي خلق".[51]

وأن يقرأه ببطء ولا يسرع فقال: "ورتّل القرآن ترتيلًا".[52]

وأن يستمع إليه الناس حين تلاوته:

"فإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون".[53]

---

[45] سورة الزمر: 32

[46] سورة عبس: 11-16

[47] سورة الإسراء: 9

[48] سورة الحشر: 21

[49] سورة الواقعة: 79

[50] سورة النحل: 98

[51] سورة العلق: 1

[52] سورة المزمل: 4

[53] سورة الأعراف: 204

وأن يقوم القارئ بتدبره والتفكير فيه فقال:

"كتابًا أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب".[54]

الاعتراضات والردود عليها: ومن خصائص القرآن الكريم أن يذكر كافة اعتراضات المعارضين ثم يقوم بالرد عليها ونذكر فيما يلي بعضًا منها:

قال الله تعالى:

"وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه".[55]

فردّ عليه كما يلي:

"وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله".[56]

ويشير إلى الاعتراض بأنه لم ينزل مرة واحدة فقال:

"وقال الذين كفروا لو لا نزّل عليه القرآن جملة واحدة".[57]

فأجيب على هذا الاعتراض كما يلي:

"كذلك لتثبت به فؤادك ورتّلناه ترتيلًا".[58]

وكذا اعترضوا عليه بأنه لم ينزل على غني أو ثري من أغنياء وأثرياء مكة والطائف:

"لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم".[59]

فردّ عليه القرآن كما يلي: "أهم يقسمون رحمت ربك".[60]

وكذا جعلوه مفترًى وكلام شاعر فقالوا:

"قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر".[61]

---

[54] سورة ص: 29

[55] سورة الفرقان: 4

[56] سورة يونس: 37

[57] سورة الفرقان: 32

[58] السورة نفسها: 32

[59] سورة الزخرف: 31

[60] السورة نفسها: 32

فجاء الردّ كما يلي: "إنه لقول فصل وما هو بالهزل".[62]

وقال: "وما علّمناه الشعر وما ينبغي له".[63]

وكذا اتهموه بالسحر فقالوا:

"قال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين".[64]

فردّ عليه بما يلي: "وما هو بقول شيطان رجيم".[65]

وكذا اعتبروه كتابًا للأساطير:

"قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا".[66]

فردّ على هذا الاتهام بما يلي:

"قل أنزله الذي يعلم السرّ في السماوات والأرض".[67]

وليس هذا فحسب بل عدّوه كلامًا للبشر فقالوا: "إن هذا إلا قول البشر".[68]

فأجيب على هذا الاتهام كذلك فقيل: "إنه لتنزيل رب العالمين".[69]

وأما السبب وراء هذه الاعتراضات فقد أشار إليه القرآن ذاته:

"وكذّبوا واتبعوا أهواءهم".[70]

وكذا قال: "قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا".[71]

وقال أيضًا:

---

[61] سورة الأنبياء: 5
[62] سورة طارق: 13-14
[63] سورة يس: 69
[64] سورة سبأ: 43
[65] سورة التكوير: 25
[66] سورة الفرقان: 5
[67] السورة نفسها: 6
[68] سورة المدثر: 25
[69] سورة الشعراء: 192
[70] سورة القمر: 3
[71] سورة القصص: 57

"إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون".[72]

هدف نزول القرآن الكريم: وليس هذا فحسب بل أشار القرآن الكريم إلى الهدف الذي يكمن في نزوله فقال:

"الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور".[73]

وكذا وعد أن من يؤمن به ويعمل صالحًا فهو يدخل الجنة:

"فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في ياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم".[74]

الفصل الثاني

أثر القرآن الكريم في الأدب العربي

أثر القرآن الكريم كثيرًا في كلا النوعين من الأدب العربي؛ النثر والشعر ففي النثر قام بتزويده بالمفردات والمصطلحات والأمثال والأساليب الجديدة كما قام بتزويده بأنواع من النثر من النثر الفني والقصص والخطابة وغيرها من الأنواع كما قام بتوجيه الأثر الشديد على الشعر العربي فأخرجه من التعقيد إلى السهولة، ومن الترفيه إلى الاستهداف، ومن وحدة النوع إلى تنوّعه فقد زوّده كذلك من المفردات والمصطلحات والأمثال والأساليب الجديدة كما زاده أنواعًا من المحتويات حتى أصبح الشعر شيئًا جديدًا كأنه ولد من جديد. ونودّ في الأسطر التالية أن نشير إلى بعض من هذه الآثار متناولًا كل نوع من الأدب العربي كنوع واحد.

---

[72] سورة الزخرف: 32

[73] سورة إبراهيم: 1

[74] سورة الحج: 50

مفردات القرآن ومصطلحاته: ولقد زوّد القرآن الكريم اللغة العربية بالمفردات والكلمات ومن أبرزها ما يلي:

1. **الآلاء:** جاءت هذه الكلمة 34 مرة في القرآن ودراسة هذه المواضع كلها تدل على أنها تعني: الفعل العجيب والنعمة والعذاب وإذا أمعنا النظر في استخداماتها وجدنا أن هذه كلها تتعلق بأمر عجيب فالنعم التي ذكرها القرآن هي من نوع الفعال الصعبة وكذلك العذاب واقرأ الآيات التالية لكي يتضح لك ما أقول:

"خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"[75]

"وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"[76]

"وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكَ تَتَمَارَى"[77]

2. **مبصرة:** جاء مثل هذا أي اسم الفاعل عن أبصر يبصر إبصارًا سبع مرات في القرآن- ثلاث مرات في شأن النهار[78] وثلاث مرات في شأن الآية[79] ومرة في شأن المؤمنين.[80]

وإذا تفكرنا في سياق الآيات وجدنا أنه يعني كون الشيء جليًا واضحًا ولكن ينشأ هنا سؤال: كيف لمصدر الإفعال أن يكون مجردًا عن معناه الأصلي ومبالغة في المصدر الثلاثي المجرد. وللإجابة على هذا نقول:

إن للإفعال خصائص ومميزات منها:

1- التعدية: مثلًا أخرج زيدٌ عمرًا وأحفرت زيدًا نهرًا وأعلمت زيدًا عمرًا فاضلًا.

2- التصيير: مثلًا أقبلت النعل وأتمرت زيدًا وأقبرته.

3- النسبة: مثلًا أكفرت الملحد وسألته فما أبخلته.

---

[75] سورة الرحمن: 10-13

[76] نفس السورة: 15-16

[77] سوره النجم: 50

[78] سورة يونس: 67 و سورة النمل: 86 وسورة غافر: 61

[79] سورة الإسراء: 12 ونفس السورة: 59 وسورة النمل: 13

[80] سورة الأعراف: 201

4- سلب المأخذ: مثلًا أشكيت زيدًا وأعجمت الكتاب وأعتبت صاحبي.

5- التوجه: مثلًا أحجز خالدٌ وأعرق صدامٌ.

6- الصيرورة: مثلًا أطفلت الظبية وأثمرت الشجرة وأحصد الزرع وأفطر الصائم.

7- التقديم: مثلًا أباع العبد وأقتل اللصَّ.

8- ومنها المبالغة: مثلًا أسفر الصبح وأبان الأمر وأبصرت الآية.

فيبدو من هذا أن "الإبصار" كذلك يعني كون الشيء بيِّنًا واضحًا جليًا فالمعنى هو أن هذه الآية بينة واضحة لمن يستخدم عينيه وإن غطّاهما فلا رؤية ولا عبرة وصدق الشيخ سعدي:

گرنبيند بروز شپره چشم چشمه آفتاب راچه گناه

ترجمة: إذا لم ير الخفاش في النهار فلا إثم على قرص الشمس.

3. **السمع:** جاء ذكر هذه الكلمة مع الأبصار والقلوب في أكثر من عشرين موضعًا في القرآن وإذا تتبعنا مواضع استخدامها في القرآن فنجد أنها جاءت واحدة لا جمعًا مثل القلوب والأبصار فيتخيل أنها مصدر ولكن مجيء جموع الكلمتين الأخريين: الكلب والبصر يرفض هذا الخيال ولكن ينشأ هنا سؤال: لماذا استخدمها الله جل مجده واحدة لا جمعًا.

4. **مصدقًا لما بين يديه:** جاءت هذه الكلمة (تصديق) بخصوص تصديق ما نزل قبل القرآن من الكتب والصحف السماوية فيقول جل مجده:

"وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ"[81]

وترى مثل هذا الإستعمال في سور آل عمران والنساء والمائدة والأنعام ويونس ويوسف وفاطر والأحقاف والصف.

5. **الظن:** جاءت هذه الكلمة في غير موضع من القرآن لمعنيين: للمعنى الشائع وللإيقان. يقول الله جل مجده:

"وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ"[82]

وأيضًا قال:

"وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا

---

[81] سورة آل عمران: 41

[82] سورة البقرة: 78

يَظُنُّونَ"[83]

وأما معنى الإيقان فهو ما قاله تعالى في المؤمنين:

"وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"[84]

6. **القوم:** قال تعالى:

"وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"[85]

كلمة "القوم" تختلف معانيها باختلاف السياق فهي تارة تعني قوم القائل أي أصحابه وتارة أخرى عامة الناس وتارة ثالثة الجماعة المعترضة أي الأعداء.

7. **ذو مرة:** جاءت هذه الكلمة عند ذكر صفات جبريل عليه السلام فيقول جل مجده: "عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى "[86]

يبدو من التفكر في هاتين الآيتين أن "ذو مرة" تعني "ذو عقل ورأي سديد" وإلا فيكون تأكيدًا وذلك لأن "مرة" تعني "قوة في البدن" و"قوة في العقل" معًا.

8. **نُزُل:** قال تعالى"أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا"[87]

هذه الكلمة تم استخدامها في القرآن ثماني مرات. يبدو من تتبعها في هذه المواضع أنها تعني ما يقدَّم للضيف عند نزوله لدى أحد فهي تشابه "welcome" بالإنجليزية.[88] لنقرأ بعض الآيات بهذا الشأن. قال الله تعالى بعد ذكر الفواكه والكؤوس والسرر والجنات: "أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ"[89]

---

[83] سورة الجاثية: 24

[84] سورة البقرة: 45-46

[85] سورة النساء: 104

[86] سورة النجم: 5-6

[87] سورة الكهف: 102

[88] ذهب إليه الشوكاني، أنظر فتح القدير 314/3 والزمخشري، أنظر: الكشاف 500/2 و أبو حيان، أنظر: البحر المحيط 230/7 وأبو السعود العمادي، أنظر: تفسير أبي السعود 248/5

[89] سورة الصافات: 62

وقال بعد ذكر الزقوم والحميم: "هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ"[90]

وقال في تضييف المكذبين الضالين: "فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ"[91]

وقال في المؤمنين الصالحين:

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا"[92]

فثبت من هذا أن "نُزُل" تعني ما يقدَّم من أسباب التضييف لمن ينزل عند قدومه فورًا.

9. **خليفة:** قال الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"[93]

هو فعيلة من خلف فلان فلانًا: قام بعده بأمر كما قال سعد بن مالك الحماسي:

بئس الخلائف بعدنا أولاد يشكر واللقاح[94]

وكما قال الله تعالى: "وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي"[95]

وأيضًا قال: "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"[96]

وأيضًا:

"فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا"[97]

فالإنسان خليفة من الرب تعالى بمعنى النائب الحاكم ويؤيده أن الله تعالى خلق ما في الأرض جميعًا لبني آدم ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم تعظيمًا له وصار الإنسان حاملًا لأمانة الرب التي لم تحملها السماوات والأرض ونرى أن الله تعالى جعل الإنسان حاكمًا على الأرض فلا استبعاد في أنه تعالى جعله خليفته.

10. **خاتم النبيين:** قال الله تعالى: "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

---

[90] سورة الواقعة: 56

[91] نفس السورة: 93-94

[92] سورة الكهف: 107

[93] سورة البقرة: 30

[94] شرح ديوان الحماسة للتبريزي 193/1

[95] سورة الأعراف: 142

[96] سورة يونس: 13-14

[97] نفس السورة: 73

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[98]

هذه الآية الأربعون من سورة الأحزاب. إنها جاءت كردٍّ على ما ثار عن النبي عند طلاق زيد زينبَ ثم زواج النبي إياها ولكن هذا من عادة القرآن أنه يعطي معلومات وحقائق جمة لدى الحديث أو الرد على الشيء فهذه الآية، كعادته، تعطي حقيقة مهمة وهي نهاية سلسلة الرسالة والنبوة على النبي العربي محمد ﷺ. الحقيقة التي ذكرها القرآن شيء لا ينكر ولكن فهم منها جماعة ما لا يريد القرآن أن يقول ولا يثبت من القرآن والسنة والجماعةُ هي جماعة القاديانيين وفكرتهم هي أن النبي ﷺ خاتم النبيين لا خاتم الرسل فان الأخير غير مذكور هنا حتى لم يذكره الله تعالى في باقي القرآن بصراحة ولو أن الأحاديث تنطق عنها بوضوح.

11. **أهل البيت:** وقال تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"[99]

هذه الآية الثالثة والثلاثون من سورة الأحزاب آية مهمة بحيث إنها تشتمل على كلمة ضلّ في تأويلها أهل التشيع فذهبوا مذهبًا لم يؤيده القرآن ولا السنة والكلمة هي "أهل البيت" والفكرة هي اشتمالها على بنات النبي ﷺ وأولادهن مع أزواجه رضي الله عنهن ولنتفكر فيها في ضوء سياق الآيات.

تعابير القرآن الكريم: وكذا زوّد القرآن الكريم اللغة العربية بالتعابير العديدة الجديدة التي لم يكن للعربية عهد بها أو كثير استعمالها فنذكر فيما يلي بعضًا منها:

1. **بلغ أشدّه:** هذه العبارة مثل عبارة "بلغ الحلم" ولكن بينهما فرق لطيف فيبدو من تتبع آيات القرآن عن العبارة "بلغ أشدّه" أنها منزلة وسط من منازل حياة الإنسان الثلاث- الطفولة والكهولة والشيب. فلا يكفي فيها أن يكون الرجل بالغًا فقط بل يشترط فيها أن يكون قادرًا على التمييز بين الخير والشر، النافع والضار فلا بد فيها من أن يكون متصفًا بصلاحية الحكم وهذه الصلاحية يمكن أن تزوره في حين بلوغه الحلم وبعد تجاوز تلك المدة حتى تمتد إلى مدة أربعين سنة، مدة الكهولة. لنقرأ الآيات التالية:

يقول الله تعالى في اليتامى: "وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

---

[98] سورة الأحزاب: 40

[99] سورة الأحزاب: 33

حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ"[100]

ويحدِّد مفهوم الرشد هذا في موضع آخر من سورة النساء فيقول: "وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ"[101]

فكان مدة الرشد هي مدة بلوغه النكاحَ. ويقول في موضع من كتابه العزيز:

"ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ"[102]

وأيضًا قال: "ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا"[103]

فكأن مدة البلوغ هي المرحلة ما بعد الطفولة والمرحلة ما قبل الشيب.

ويقول في موضع وهو يعيّن هذه المدة عند صلاحية الاستواء فيقول: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا"[104]

وفي موضع آخر من كتابه الحكيم يحدِّد هذه المدة في أربعين سنة فيقول: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً"[105]

فيبدو من هذه الاستعمالات أن مدة بلوغ الأشد هي التي توجب صلاحية التمييز بين النافع والضار مع بلوغ الحلم وهي يمكن أن تكون 20 سنة كما يمكن أن تكون ثلاثين سنة. فالأصل فيها اتصاف البالغ بصلاحية التمييز بين الخير والشر.

2. **أحصن فرجه:** يقول عن هذه العبارة المعلِّم عبد الحميد الفراهي في حواشيه على القرآن الكريم:

"أحصن فرجه: تحصن من السوء، كما يقال: سد الثلمة، ورتق الفتق، وجبر الكسر، وحمى البيضة. فما يراد منه حقيقة أفراد الألفاظ والفرج ههنا بعينه لا يدل إلى على مظنة السوء مثل الخلل وقد استعمل للرجال والنساء ولفرجة رجلي الفرس"[106]

نفس العبارة جاء استخدامها في القرآن الكريم فهو يقول في مريم بنت عمران:

---

[100] سورة الأنعام: 152

[101] سورة النساء: 6

[102] سورة الحج: 5

[103] سورة غافر: 67

[104] سورة القصص: 14

[105] سورة الأحقاف: 15

[106] حواشي الإمام الفراهي على القرآن الكريم، حاشيته على سورتي الانبياء والتحريم و مفردات القرآن (2) ص334

"وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ"[107]

فـ "أحصنت فرجها" تعني "سدت مواقع المخافة عليها"[108]

3. **خرّ له ساجدًا:** هذه عبارة خاصة فلا تعمل فيها "خرّ" حسب معناها الأصلي بل هي تميل حيث تميل الصفة التي تأتي بعدها فمعنى "خرّ ساجدًا": والدليل على ما قلت استعمالات القرآن فقد جاء فيه: "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"[109]

وقال أيضًا: "إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا"[110]

وأيضًا: "وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا"[111]

وأيضًا: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا"[112]

فثبت من هذا العرض السريع للآيات أن "خرّ" كلمة تتم إضافته إلى صفة فتعني معنى الفعل فـ "راكعًا" و"سجّدًا وبكيًّا" و"صمًّا وعميانًا" و"سجّدًا" كلها صفات لموصوف مفهوم من الفعل "خرّ".

4. **دلّاهما بغرور:** أصل هذه العبارة "أدلى بدلو" من هنا "أدلى بغرور" و"أدلى" أصبحت "دلّى" فهي ليست بـ "دلّ يدلّ دلالة" فإن صلتها "على".

قال أبو جندب الهذلي.

أحصّ فلا أجير ومن أجره فليس كمن يدلَّى بالغرور[113]

استخدمها القرآن فقال تعالى في تغرير الشيطان آدم وحواء عليهما السلام:

"وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا"[114]

5. **سقط في أيديهم:** هذه عبارة تشير إلى ندامة الرجل وتأسفه على شيء. أما أصلها فقد اختلفوا فيه. يقول ابن منظور:

---

[107] سورة الأنبياء: 91

[108] حواشي الإمام الفراهي على القرآن الكريم، حاشيته على سورتي الأنبياء والتحريم ومفردات القرآن (2) ص335

[109] سورة ص: 24

[110] سورة مريم: 58

[111] سورة الفرقان: 73

[112] سورة يوسف: 100

[113] اللسان، مادة: د ل و

[114] سورة الأعراف: 21-22

"سقط من يدي وسقط في يد الرجل: زلّ وأخطأ

قيل سقط في يد الرجل: ندم

- الفارسي: ضربوا بأكفهم علم أكفهم من الندم
- الفراء: سقط في يده وأسقط من الندامة
- الزجاج: يقال للرجل النادم على ما فعل الحرّ على ما فرط منه: قد سقط في يده وأسقط"[115]

وعندي أن الرجل يرى العاقبة أو عائدة الشيء بعيني رأسه إذا وجد الشيء في يديه فهي عبارة عن وضع الشيء أو عائدته أمام عيني الرجل ويدل على هذا المفهوم ماجاء بعدها من الكلام في القرآن الكريم فهو يقول:

"وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[116]

ولو تفكرنا في هذه الآية مرة أخرى وجدنا شيئًا آخر أقرب من العقل وهو أن نعيّن معنى "سقط في اليد" بالتنبه ثم نرى مفهوم الآية فالجملة التي تأتي بعدها من "ورأوا أنهم قد ضلوا" ستكون نتيجة لهذا العمل.[117] هذا عندي والله أعلم بالصواب.

6. **ضرب طريقًا:** هذه العبارة تعني جعل السبيل فيقول الزمخشري: "فاجعل لهم من قولهم: ضرب له في ماله سهمًا وضرب اللبن عمله"[118]

استخدمها القرآن في قصة موسى الذي جعل بأمر الله طريقًا يبسا في البحر ضاربًا بعصاه فيقول:

"ولقد أوحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى"[119]

---

[115] اللسان، مادة: س ق ط

[116] سورة الأعراف: 148-149

[117] تفسير تدبر قرآن 366/3

[118] الكشاف 30/2

[119] سورة طه: 77

ولو أن هذه عبارة خاصة ولا يعتنى فيها بالألفاظ ولكن كلمة "ضرب" تشير إلى حقيقة وهي أن موسى عليه السلام ضرب البحر بعصاه[120] فقال تعالى في ذلك:

"فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ"[121]

7. **ضربت عليهم الذلة:** هذه عبارة خاصة مأخوذة من ضرب الطين اللازب على الجدار أو ضرب القبة على الأرض. استخدمها القرآن في بني إسرائيل فقال:

"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ"[122]

يقول الزمخشري في شرحها:

"جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه"[123]

وعندي أنها من ضرب الطين اللازب على الجدار فانه أبلغ من ضرب القبة واختاره الإمام الفراهي[124] وتلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.[125]

8. **فار التنور:** هذه أيضًا عبارة خاصة يقول الشيخ أمين أحسن الإصلاحي:

"فار التنور عبارة مثل "حمي الوطيس" وغيرها من العبارات. لا يعتنى فيها بالكلمات بل بالمفهوم الذي تؤديه الكلمات بأجمعها فهي تعني ثوران الطوفان".[126]

وأما تفصيل عذاب قوم نوح فهو مذكور في تفسير سورة "الذاريات" للفراهي فهو يقول:

"...ولكن النظر فيما ذكر منها في التوراة والقرآن يدل تصريحًا وإشارة على أنهم أهلكوا بالريح الشديدة وذلك بأنه جاء في سورة العنكبوت "ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة

---

[120] تفسير تدبر قرآن، 70/5

[121] سورة الشعراء: 63

[122] سورة البقرة، 61

[123] الكشاف 145/1

[124] تفسير سورة البقرة، ص254-255 ومفردات القرآن (2) ص365-366

[125] تفسير تدبر قرآن، 225/1

[126] تفسير تدبر قرآن 315/5-315

إلا خمسين عامًا فأخذهم الطرفان وهم ظالمون" ولا شك أن الطوفان مصدر بمعنى الدوران ويستعمله العرب لما يطوف من الريح الشديدة. قال الراعي يصف الناقة:

تمسي إذا لريح أدركنا نكائثها خرقاء يعتادها الطوفان والزؤد

وهكذا تجد أسماءها في ألسنة أخر مثلًا في الفارسية گِردباد (الريح المدورة) وفي الإنجليزي سائكلون (الدوارة) وفي الهندية بگولا (دائرة الريح) وكان المصريون يزعمون بإله للريح الشديدة يسمونه طائفون ومن خاصة هذه الريح شدة المطر وفوران الماء من البحر وقد شاهدنا ذلك من طوفان جاء من مشرق بحر الهند إلى مغربه وحينئذ كنت في مدينة كراچي فأنزل مطرًا شديدًا وقذف السفن على الجبال وفعل ما فعل. ويطابق بذلك ما جاء في تصوير طوفان نوح في القرآن والتوراة. قال تعالى في سورة القمر "ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر" وفي سفر التكوين "في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانقتمت طاقات السماء" وفي سورة هود "وهي تجري بهم في موج كالجبال" ومن ركب البحر علم أن الأمواج كالجبال لا تنشأ إلا بريح شديدة وفي ذكر الأثر دلالة على المؤثر وقد صرح القرآن في غير ما آية بما بين نشأة الأمواج والريح من الملازمة كما قال تعالى "هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان" وفي قوله تعالى "وهي تجري بهم—الآية" دلالة على الريح كما يؤيده قوله تعالى "ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام. إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره" وقوله تعالى "ومن آياته أن يرسل الريح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره" وهذا القدر يبين أن الله تعالى أرسل على قوم نوح ريحاً شديدة دوارة معصرة أنزلت مطرًا شديدًا وهيجت الماء من بحور حول أرضهم وأنشأت الأمواج العظيمة وأجرت سفينة نوح إلى جبل الجودي ثم سكنت"[127]

استخدمها القرآن في موضعين من سوره، سورتي " هود" و"المؤمنون"[128] وفي كليهما جاءت في قوم نوح فيقول الله تعالى:

"حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ

[127] تفسير سورة الذاريات، ص33-35

[128] سورة المؤمنون: 27

الْقَوْلُ"[129]

9. **قطع دابر القوم:** هذه العبارة الخاصة تعني القضاء على أحد وذلك أن "دابر" تعني ما بقي من الشيء والقطع هو القطع فقطع دابر أحد يعني القضاء عليه وتدميره من أصله واستئصاله.

استخدمها الله تعالى في أربعة مواضع من كتابه العزيز فيقول: "فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[130]

وأيضًا: "وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ"[131]

وأيضًا: "وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ"[132]

وأيضًا: "وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ"[133]

10. **مكّن له في الأرض:** تم استخدام هذه العبارة كثيرًا في القرآن ودراسة هذه المواضع تثبت أنها تعني إعطاء السيطرة والشوكة في بلد. قال تعالى في يوسف عليه السلام بعد مروره بمختلف مراحل الامتحان.

"وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ"[134]

وقال في المؤمنين المظلومين الذين سيقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة إذا أعطوا السيطرة والشوكة في مكة وما حولها:

"أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ"[135]

وقال فيمن تم تدميرهم حينما كذبوا بالرسل بعد أن حصلوا على كافة أسباب الحياة:

---

[129] سورة هود: 40
[130] سورة الأنعام: 45
[131] سورة الأعراف: 72
[132] سورة الأنفال: 7
[133] سورة الحجر: 66
[134] سورة يوسف: 21
[135] سورة الحج: 39-41

"أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ"[136]

فهذه العبارة تعني السيطرة في البلد كما هي تعني الشوكة والحصول على كافة أسباب المعاش.

11. **تولّى كبرَه:** هذه عبارة تعني الابتداء بشيء أو قيادة قضية ولا يدخل فيها أخذ الجزء الأكبر من القضية ولو كان كذلك لجاء تعبير آخر.

جاءت هذه العبارة ضمن بيان إثارة الإفك ضد عائشة رضي الله عنها من قبل المنافقين فقال تعالى إن المرتكب يعاني من العذاب حسب قدر جريمته ومن أثارها وقادها فهو يواجه عذابًا عظيمًا وفيه الإشارة إلى عبد الله بن أبي الذي كان يبغض المؤمنين لا سيما رسولهم صلى الله عليه وسلم وكان يتجسس لهتك عزتهم ولغرس الفساد والبغضاء فيهم. قال تعالى:

"إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[137]

ويؤيد ما ذهبنا إليه رواية هذه القضية ونصرف عنها النظر لطولها ونشير على القارئ أن يراجع كتب الأحاديث والتفاسير[138] فهي مذكورة تحت هذه الآية.

أساليب القرآن الكريم: وكذا زوّد الكتاب العزيز اللغة العربية بأساليب عديدة لم تكن توجد فيها أوكانت هي قليلة الاستعمال فأحياها، نذكر البعض منها:

1. **حذف الماضي المركب بالمضارع:** في القرآن كثير من الحذف فهو يحذف الفعل مرة والسؤال أخرى وجواب الشرط ثالثة وحذفُ الفعل الماضي المركب بالمضارع أحد هذه الأساليب قال الله جل مجده في محمد ﷺ الذي كان يكثر النظر إلى السماء رجاء أن يغير الله قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة:

"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ

---

[136] سورة الأنعام: 6

[137] سورة النور: 11

[138] تفسير القرآن العظيم 3/279-284

وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ"[139]

فهنا "قد نرى" يعني "قد كنا نرى" ليس "نرى" فقط كما ظنه بعض المفسرين.

2. **حذف المعطوف عليه:** حذف المعطوف عليه أسلوب عام في القرآن فقال الله تعالى: "انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاس"[140]

فحذف هنا "كيف نحييه لتؤمن بالبعث" وهذا ظاهر مما سبق.

وقال تعالى: "وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء"[141]

فهنا حذف "لنبتليكم" وهو باد من الآية السابقة.

وقال تعالى: "وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[142]

فهنا حذف "ولتتم الحجة عليهم". وقال تعالى:

"وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ"[143]

فهنا حذف "لنجتبيه". وقال تعالى:

"وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[144]

فهنا حذف "لتركبوها" قبل "ولتبتغوا".

وقال تعالى: "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي"[145]

فحذف "وليحبك عدوك" قبل "ولتصنع...".

وهذا كثير.

3. **حذف الجانبين من المتقابلين لما دلّ عليه مقابله:** ومن أساليب الحذف في العربية والقرآن

---

[139] سورة البقرة: 144-145

[140] سورة البقرة: 259

[141] سورة آل عمران: 140

[142] سورة الأنعام: 105

[143] سورة يوسف: 21

[144] سورة النحل: 14

[145] سورة طه: 38-39

حذف بعض الأشياء من الجانبين المتقابلين لما أن الأشياء الأخرى تدل عليه من المقابل فمثلًا يقول تعالى: "فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ"[146] أي أذاقها الله طعم الجوع وألبسها لباس الخوف.

وكما قال: "جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا"[147] أي جعلنا الليل لباسًا وسكونًا وجعلنا النهار ضياءً ومعاشًا.

4. **مبالغة النفي إذا دخل على المبالغة:** وفي هذا الأسلوب يتم نفي الشيء الذي يدخل عليه النفي المبالغ فيه فمثلًا نقول: لن تدخل البيت أبدًا فنعبر عن هذا بـ"لست بدخّال في البيت" فاستخدام الصفة المبالغة يفيد المبالغة في تلك الصفة. وهذا عام في القرآن فنذكر آية واحدة ونرى ترجمتها عند المترجمين وهي:

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ"[148]

5. **نفى الشيء بإيجابه:** من أساليب القرآن أن القائل ينفي اللازم دالًا على نفي الملزوم وقال الله تعالى:

"وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ"[149]

وأيضًا: "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"[150]

وأيضًا: "أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ"[151]

وأيضًا: "رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا

---

[146] سورن النمل: 112

[147] سورة النبأ: 10-11

[148] سورة الحج: 8-10

[149] سورة البقرة: 48

[150] سورة يونس: 18

[151] سورة الرعد: 33

تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ"[152]

6. **تكرار الفاء:** تكرار مجئ الفاء على الصفات وغيرها كثير في القرآن كما قال الله تعالى: "وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا"[153]

وأيضًا قال: "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا"[154]

وأيضًا: "وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا"[155]

وأيضًا: "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا"[156]

7. **الالتفات من الغائب إلى الحاضر:** الالتفات في القرآن كثير جدًا وهكذا في كلام العرب ومن فائدته العامة انتباه السامع فإن الإنسان من غفلته وتبلده يرى أمورًا كثيرة ولا يلتفت إلى ما هو متصل به وإنما يلتفت إلى ما يلتفت إليه لغرضه وحاجته وذلك يرسخ فيه ويصير عادته فإكثار الالتفات يزيل جموده ويعدّه للنظر والفكر فإن الفكر والنظر ليس إلا نوع من الالتفات.[157] وله دلالات على أمور أذكر واحدًا منها وهو إحضار البعيد فقال الله تعالى:

"وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيم رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً"[158]

ثم التفت مخاطبًا وقال: "وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إبراهيم مُصَلًّى"[159]

وقال أيضًا: "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء"[160]

---

[152] سورة النور: 37

[153] سورة الذاريات: 1-4

[154] سورة المرسلات: 1-5

[155] سورة النازعات: 1-5

[156] سورة العاديات: 1-5

[157] رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، ص168

[158] سورة البقرة: 124-125

[159] نفس السورة: 125

[160] سورة المائدة: 44

ثم التفت وقال مخاطبًا: "فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً"[161]

وقال تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ"[162]

ثم التفت مخاطبًا: "وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ"[163]

وقال تعالى: "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً"[164]

ثم التفت مخاطبًا: "فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ"[165]

أسماء ومعارف القرآن الكريم: أسماء المعارف شيء لا يترجم عند أي عالم وكاتب وذلك لأن له جوانب وجهات لن تمكن الإحاطة بها بكلمة واحدة وزد على ذلك وجود القلق الناجم عن هذه العملية عند ندائه وأما أمر المصطح فقد اختلف فيها العلماء وعندي هذا أيضًا لا يترجم وذلك لأنه يضمن شتى المعاني والجوانب، وفيما يلي بعض مصطلحات ومعارف القرآن:

1. **مالك:** ومن الأسماء التي أخطأوا في ترجمتها "مالك"[166] فظنوه لفظًا لا اسمًا والحال أنه اسم

---

[161] نفس السورة: 44

[162] سورة الأنعام: 93

[163] السورة نفسها: 94

[164] سورة الأنفال: 30-35

[165] السورة نفسها: 35

[166] سورة الزخرف: 77

للقائم على جهنم وعندي ترجمة اسم خاص لا تصح للأبد.

فترجمة إرونغ وبيكثال وظفر الله خان والمولوي شير علي وعبد الماجد الدريا بادي لهذه الكلمة بـ"Master/Keepr" لا تصح لأنه اسم لرجل خاص ولأن "مالك" لا تعني "Keeper" ولم يذكر لها معنى مثله فما وضعه آربيري وعبد الله يوسف علي وتقي الدين الهلالي وصاحبه من "Malik" وشرحوه في القوسين صحيح على الأسس العلمية.

2. **الله:** هذا اسم خاص لله جل مجده ولا يراد به غيره. قال الإمام الفراهي في شرحه:

"الألف واللام للتعريف فلا يسمّى بهذا الإسم إلا الله تعالى الواحد خالق السماوات والأرض وجميع الخلق وهذا المعنى هو المعلوم عند العرب قبل الإسلام فإنهم مع شركهم لم يجعلوا أحدًا من آلهتهم مساويًا بالله تعالى وأقروا بأن الله تعالى هو خالق السماء والأرض. وإنما عبدوا آلهة أخرى لظنهم بأن هؤلاء مقرَّبون فيشفعون لهم، كما جاء في القرآن "قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله" وأيضًا "قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" وأيضًا "ولئن سألتهم من خلق السموت والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون... ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون"[167]

3. **الصلاة:** هي الأعمال المنصوصة التي وردت عن الشارع فهي قيام وركوع وقعود وما إليها وهي مختلفة من صلوات الأديان الأخرى لأنها فيها إما دعاء في قعود أو دعاء في قيام أو أعمال أخرى فصلوات الأديان الأخرى تفقد ما تتصف صلوة الإسلام به فإن قمنا بترجمتها بكلمات أو مصطلحات يتداولها عباد الأديان الأخرى فلا تصح ولا تحيط بتلك الجوانب والصفات التي توجد فيها بل يظنها عابد دين غير دين الإسلام مثلما يفعله في أول وهلة فالأجدر بنا ألا نترجمها بل نضعها كما هي مع شرحها وتفسيرها بين القوسين أو في الهامش ولنفهم هذا بالأمثلة.

4. **الظهار:** هذا مصطلح جاهلي يعني أن رجلًا إذا قال لزوجته "أنتِ عليّ كظهر أمي"[168] حرمت عليه تلك الزوجة ووقع عليها الطلاق المغلظ الذي لا سبيل إلى رجوعها بعده. ليس هذا فقط بل لو شبه أي جزء من أجزاء بدنها أو أخذ تعبيرًا آخر يدل على هذا فهي تكون محرمة عليه"[169]

---

[167] فاتحة نظام القرآن وتأويل القرآن بالفرقان، ص28 وللرد على دعوى المستشرقين بأن هذه الكلمة عبرانية إقرأ صفحاتها 38-40

[168] بداية المجتهد ونهاية المقتصد 105/2

[169] راجع لمزيد البحث عنه، المصدر نفسه والصفحة ذاتها

فنّده الإسلام واعتبره عملًا غير جدي وأرشد إلى عدم كونها أماً له. يشير إلى هذا المصطلح الله جل مجده قائلًا:

"مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ"[170]

هذا ما لخّصته من معنى ذلك المصطلح.

5. **النسيء:** هذا اسم من "نسأ البعير" أي دفعه عن الحوض و"نسأ الراعي في ظمء الإبل" أي أخّر مدة سقي الإبل[171] ومن هنا اصطلحوا على تأخير أو تقديم شهر أو شهور في التقويم القمري لكي يعادلوه من التقويم الشمسي لإقامة التعديل بينهما أو لتسهيل أمور التجارة التي كانت هي المورد الأهم لمعاشهم.[172]

ومن الأضرار الخطرة التي كانت تلحق بهذا التقويم، التقويم القمري هو تأخير الأشهر الحرم من مناسباتها الحقيقية ومن ثم انتهاك حرمتها التي كانت هي الهدف الأصلي منها وليس هذا فقط بل اختلف موسم العبادات لاسيما الحج.

نظرًا لهذه الجريمة الشرعية انتقد القرآن عادتهم هذه وكشف عن الغرض المخفي وراءه وأمر النبي الكريم ﷺ أن يدير التقويم القمري حسب الأصل ففعله النبي وأعاد حرمة هذه الشهور.[173]

يشير القرآن إلى هذا الجانب الممقوت من النسيء ومن أبدعه قائلًا: "إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ

---

[170] سورة الأحزاب: 4

[171] اللسان، مادة: ن س ء

[172] المصدر نفسه والمادة نفسها

[173] قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع:

"أيها الناس: إنما النسىء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرّم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموت والأرض، إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله، يوم خلق السموت والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان..."

جمهرة خطب العرب 1/156-157

وأما كيفية دوران الزمان كهيئته يوم خلق السموت والأرض فهي مذكورة في تفسير الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ومن يرد بيانها فليراجع تفسير تدبر قرآن: 572/3

اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"[174]

6. **أصحاب الحجر:** ما هو الحجر؟ يجيب عنه الأستاذ عبد الماجد الدريابادي ناقلًا عن كتاب "Travel in Arabia Deserta":

"Hijr stands about 150 miles on the rocky tract of land known by this name in the north of Arabia on the highway to Syria. It was inhabited by the tribe of Thamud, 'Hijra, in Ptolenmy and Pliny, is an oasis staple town of the gold and frankincense carvan road from Arabia the Happy."[175]

وجاء في موسوعة الإسلام لهاوتسما (Houtsma) وونسينك (Wensink):

"In ancient times here lived a godless and arrogant cave-dwelling people, the Thamud, of which it is related in the Kuran that they hewed their houses out of rock..."[176]

فثبت من هذا أن "الحجر" علم واسم لموضع خاص والعلم لا يترجم.

7. **البحيرة و...:** قال الله تعالى:

"مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ"[177]

فما هي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام؟ اختلف المفسرون في تعيين المراد منها.

فقال سعيد بن المسيب في البحيرة:

"البحيرة التي يمنع درّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس"[178]

وقال عنها ابن عباس:

"هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكرًا ذبحوه فأكله الرجال دون

---

[174] سورة التوبة: 37

[175] تفسير القرآن (الإنجليزي) 452/2

[176] Encyclopedia of Islam 301/2

[177] سورة المائدة: 103

[178] تفسير القرآن العظيم 110/1

النساء وإن كان أنثى جدعوا آذانها فقالوا: هذه بحيرة"[179]

وقال ابن كثير:

"هي التي يجدعون آذانها فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها فإذا ماتت اشتركوا فيها"[180]

وقال سعيد بن المسيب في السائبة:

"والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء"[181]

وقال مجاهد فيها:

"هي من الغنم نحو ما فسر من البحيرة إلا أنها ما ولدت من ولد كان بينها وبينه ستة أولاد كانت على هيئتها فإذا ولدت السابع ذكرًا أو ذكرين ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم"[182]

وقال محمد بن اسحاق:

"هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر سيبت فلم تركب ولم يجز وبرها ولم يحلب لبنها إلا للضيف"[183]

وقال أبو روق:

"السائبة كان الرجل إذا خرج فقضيت حاجته سيب من ماله ناقة أو غيرها فجعلها للطواغيت فما ولدت من شيء كان لها"[184]

وقال السدي:

"كان الرجل منهم إذا قضيت حاجته أو عوفي من مرض أو كثر ماله سيب شيئًا من ماله للأوثان فمن عرض له من الناس عوقب بعقوبة في الدنيا"[185]

وقال ابن كثير:

---

[179] المصدر نفسه، ص111

[180] المصدر نفسه، ص112

[181] المصدر نفسه، ص110

[182] المصدر نفسه، ص111

[183] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[184] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[185] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

"وأما السائبة فهي التي يسيبون لآلهتهم ويذهبون إلى آلهتهم فيسيبونها"[186]

وقال سعيد بن المسيب في الوصيلة:

"والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر"[187]

وكذلك يروى:

"الوصيلة من الإبل كانت الناقة تبتكر من الأنثى ثم ثنت بأنثى فسموها الوصيلة ويقولون وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدعونها لطواغيتهم"[188]

وقال ابن عباس فيها:

"هي الشاة إذا نتجت سبعة نظروا إلى السابع فإن كان ذكرًا وهو ميت اشترك فيه الرجال دون النساء وإن كان أنثى استحيوها وإن كان ذكرًا وأنثى في بطن واحد استحيوهما وقالوا: وصلت أخته فحرمته علينا"[189]

وقال محمد بن اسحاق:

"الوصيلة من الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن توأمين توأمين في كل بطن سمِّيت الوصيلة وتركت فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعلت للذكور دون الإناث وإن كانت ميتة اشتركوا فيها"[190]

وقال ابن كثير:

"وأما الوصيلة فالشاة تلد ستة أبطن فإذا ولدت السابع جدعت وقطع قرنها فيقولون قد وصلت فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض"[191]

وأما الحام فقال فيه سعيد بن المسيب:

"والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه عن

---

[186] المصدر نفسه، ص112

[187] المصدر نفسه، ص110

[188] المصدر نفسه، ص111

[189] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[190] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[191] المصدر نفسه، ص112

الحمل فلم يحمل عليه شيء وسمَّوه الحامي"[192]

وقال فيه ابن عباس:

"كان الرجل إذا لقح فحله عشرًا قيل حام فاتركوه"[193]

وكذلك يُروى:

"وأما الحام فالفحل من الإبل إذا ولد لولده قالوا حمي هذا ظهره فلا يحملون عليه شيئاً ولا يجزون له وبرًا ولا يمنعونه من حمى رعى ومن حوض يشرب منه وإن كان الحوض لغير صاحبه"[194]

وقال فيه مالك:

"وأما الحام فمن الإبل كان يضرب في الإبل فإذا انقضى ضرابه جعلوا عليه ريش الطواويس وسيبوه"[195]

فظهر هذا أن الصحابة والتابعين يختلفون في التعريف بالمصطلح حتى أن بعضهم يضاد البعض الآخر.

8. **الطاغوت:** قال تعالى:

"لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[196]

الطاغوت مصطلح خاص يعني كل ما يعبد دون الله وكل ما هو يضاد الشريعة الإسلامية ولعلم مفاهيمه المختلفة نتتبع استخدامات القرآن الكريم فقال تعالى في سورة النحل:

"وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"[197]

فهنا أريدت آلهة أخرى باطلة دون الله.

وقال تعالى في سورة النساء:

---

[192] المصدر نفسه، ص110

[193] المصدر نفسه، ص111

[194] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[195] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[196] سورة البقرة: 256

[197] سورة النحل: 36

"الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا"[198]

فهنا المراد من الطاغوت هو الشيطان.

وقال في نفس السورة:

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا"[199]

فهنا أريد به ما يخالف القرآن والأحاديث.

فثبت من هذا أن الطاغوت مصطلح يستخدم لكل معبود دون الله ومعترف به دون القرآن والسنة

مولى: قال تعالى:

"ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"[200]

المولى مصطلح جاهلي خاص يعني رجلًا من قبيلة يريد انضمامه إلى قبيلة أخرى فيتمتع بكافة الحقوق والميزات التي يحظى بها فرد القبيلة ذاتها فقد قالوا: مولى القوم منهم".

9. **السائحات:** جاءت هذه الكلمة ثلاث مرات في القرآن، مرتين في سورة التوبة مرة لمعناها اللغوي وأخرى لمعناها الاصطلاحي ومرة في سورة التحريم وهو لمعناها الاصطلاحي ونذكر هنا ما جاء في سورة التوبة في معناها الاصطلاحي:

"التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"[201]

لنعلم مفهوم هذه الكلمة في ضوء ما كتبه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي:

"إنها ليست بمعناها اللغوي بل تتعلق بمعناها الاصطلاحي فإن "السياحة" مصطلح ديني قديم

---

[198] سورة النساء: 76

[199] السورة نفسها: 60-61

[200] سورة الأحزاب: 5

[201] سورة التوبة: 112

وضّح معناه ابن منظور بحيث إنه "الذهاب في الأرض للعبادة والترهب" وقد اهتم العباد في قديم الزمان بأن غادروا ممتلكاتهم وأقربائهم وساحوا في الغابات واستقروا في الجبال قانعين بما وفر لهم الله جل مجده من أطعمة وأشربة فطرية، فواكه الغابات ومياه الحوض والأنهر. نشهد مثل هذه الأوضاع لدى الرهبان النصارى والنسّاك البوذيين والهندوس. لم يكن هؤلاء يرجعون إلى القرى إلا لتبليغ تعاليم الأخلاق الحسنى وذلك لمدة غير طويلة بمناسبات قصيرة شتى.

حرّم الإسلام جانبها الرهباني فإن الإسلام دين الفطرة والرهبانية خلافها وأما جانبها الذي يتعلق بالزهد والتوكل والذكر والتفكير والخلاء والتبتل إلى الله ومجاهدة النفس والبحث عن الحق وطلب العلم والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله فقد أجازه الإسلام وشمله الصيام والاعتكاف والعمرة والحج والجهاد في سبيل الله. وبناءً على هذا فقد حرمها الإسلام كما أجازها فقال النبي ﷺ "لا سياحة في الإسلام" كما قال "سياحة هذه الأمة الصيام ولزوم المساجد" و"سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله" يبدو من هذه الأقوال النبوية أن الإسلام قد منع الجانب الرهباني عن السياحة كما أجاز جانبه الذي يتعلق بالصيام والاعتكاف والهجرة والجهاد والدعوة إلى الإسلام ونيل التربية وهذا يحيط بالنساء كما بالرجال إلا أن النسوة يتوقفن عما أوقفهن الإسلام من مثل القتال"[202]

يبدو من هذا أن السياحة مصطلح ديني

10. البرّ: جاءت هذه الكلمة ومشتقاتها أكثر من عشرين مرة في القرآن ولو تتبعنا استعمالاتها في القرآن وجدنا أنها:

1- إيفاء الحق فقال تعالى:

"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"[203]

2- التقوى فقال تعالى:

"لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى"[204]

3- الإخلاص فقال تعالى:

---

[202] تفسير تدبر قرآن: 3/646-647

[203] سورة البقرة: 44

[204] السورة نفسها: 189

"لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ"[205]

4- محاسن الأخلاق فقال تعالى:

"وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[206]

5- إيفاء الحق: فقال تعالى:

"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"[207]

6- التقوى فقال تعالى:

"لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى"[208]

7- الإخلاص فقال تعالى:

"لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ"[209]

8- محاسن الأخلاق فقال تعالى:

"وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[210]

يبدو من دراسة هذه المعاني أن كلها يرجع إلى إيفاء الحقوق من الطاعة للرب والأبوين والمواساة بالناس ومن ثم هو إيفاء للحقوق الناشئة بالاختيار من العهود والأيمان فالبر خلاف العدوان والإثم والعقوق والغدر والظلم.

11. **ابتهال:** قال تعالى: "فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ"[211]

المباهلة أو الابتهال مصطلح خاص بدعوة الرجل على أقربائه في قضية وهو نوع من اللعنة عليهم كما تدل عليه الفقرة التابعة له "فنجعل لعنة الله على الكاذبين" فإن "الفاء" هنا لنتيجة

---

[205] سورة آل عمران: 92

[206] سورة المائدة: 2

[207] سورة البقرة: 44

[208] السورة نفسها: 189

[209] سورة آل عمران: 92

[210] سورة المائدة: 2

[211] سورة آل عمران: 61

الدعوة: المباهلة.

أما عن الأنواع الأخرى مثل الخطابة والقصص وغيرهما من الأنواع فقد أشرنا إليها في غضون حديثنا عن تأثير الحديث النبوي في الأدب العربي.

الباب الثالث

الحديث النبوي؛ معناه وأنواعه

مدخل:

الأحاديث النبوية هي مفسّرة للقرآن الكريم وشارحة لما فيه من الأحكام الشرعية والأمور الدينية لهداية البشرية جمعاء، وأنه لا كمال للإسلام إلا بها ولا يمكن العمل بكثير من الأحكام الواردة في القرآن الكريم إلا إذا اجتمع إليها بيان الرسول ﷺ فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد قيّض الله من عباده في كل عصر من العصور من تناقلها من صدر إلى آخر وسجلات إلى أخرى تواترًا وآحادًا ابتداء بصحابة النبي ﷺ الذين أخذوا معهم هدي النبي ﷺ علمًا وعملًا وتوزّعوا في أصقاع الأرض مبلغين ما تناولوه من هذا المصباح المنير فأناروا به أرجائها، ثم بالتابعين بعد الصحابة فحملوا هذه الأمانة العظيمة على كواهلهم وأحسنوا الأداء، ثم بالسلف الصالح من بعدهم، الذين سلكوا في الحفاظ على السنة النبوية المشرفة كل السبل الممكنة وبذلوا فيها جهودًا مضنية حتى أن وصلت هذه السنة نقية صافية من كل الشوائب إلى الأجيال المسلمة بعدهم.

يستهدف هذا الفصل من ناحية تعريف الحديث وأقسامه وسعته، ومن ناحية أخرى يكشف لنا عن المصطلحات التي دخلت نطاق الأدب العربي عن طريق الأدب الإسلامي من أجل الحديث النبوي ﷺ.

وهذه المصطلحات نموذج لكثير من المصطلحات الأخرى، التي دخلت إطار الأدب الإسلامي من أجل الحديث النبوي ﷺ، والتي لا يمكن لي أن أذكرها في هذا البحث.

الفصل الأول

كلمة الحديث: معناها وأنواعها

الوحي ينقسم- من الله عزّ وجل إلى رسول الله ﷺ- إلى قسمين:

أحدهما: وحي متلوّ مؤلف تألفًا معجز النظام، وهو القرآن.

والثاني: وحي مروي منقول غير مؤلف، ولا معجز النظام، ولا متلو، لكنه مقروء، وهو حديث الرسول ﷺ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا[1].

وعلى هذا فإن "القرآن والخبر الصحيح بعضهما مضاف إلى بعض وهما شيء واحد في أنهما من عند الله تعالى وحكمهما حكم واحد في باب وجوب الطاعة لهما"[2].

فالقرآن والحديث- إذن- اتفقا في الوحي والمعنى، ولكنهما افترقا في اللفظ والنظم، وذلك فرق ما بين الكلام المعجز وغير المعجز.

ومن علماء الحديث والأصول من أدخل في تعريف الحديث ما كان من أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم[3]، لكن الغالب أن يقيد إذا ما أريد به غير النبي ﷺ[4].

الحديث لغة: الجديد من الأشياء، والحديث أيضًا الخبر يأتي على القليل والكثير، والجمع أحاديث، كقطيع وأقاطيع، وهو شاذ على غير القياس[5].

ويأتي لفظ الحديث بمعنى القرآن كقول الله تعالى: "إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا"[6]، ويأتي بمعنى التبليغ كما في قوله تعالى "وأما بنعمة ربك فحدّث"[7] أي بلّغ ما أرسلت به.

وكذلك ورد لفظ (الحديث) في الأحاديث النبوية يدلّ على كلام النبي ﷺ كما في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة ألّا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوّل منك، لما رأيت من حرصك على الحديث"[8].

---

[1] الأحكام في أصول الأحكام، 97/1
[2] تدريب الراوي، ص 6
[3] المصدر نفسه
[4] السنة قبل التدوين، ص 22
[5] تاج العروس، مادة: حدث
[6] سورة الكهف: 60
[7] سورة الضحى: 11
[8] صحيح البخاري، رقم الحديث: 99

تعريف الحديث اصطلاحًا:

"كل ما صدر عن رسول الله ﷺ- غير القرآن- من فعل أو قول أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي"[9].

وحسب هذا التعريف لا يدخل الحديث الموقوف (أي الوقوف عن الصحابي) ولا المقطوع (الموقوف على التابعي) في تعريف الحديث.

لكن الجمهور يدخلونهما في الحديث أيضًا، ويسوّون في الدلالة بين الحديث والخبر، فلا فرق عندهم بينهما[10].

والتعريف المختار للحديث:

"ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي"[11].

وقول الرسول ﷺ: مثل (إنما الأعمال بالنيات)[12].

وفعله عليه السلام: مثل ما رواه البخاري عن أنس قال: (إن خياطًا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه قال أنس ابن مالك فذهبت مع رسول الله إلى ذلك الطعام فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزًا ومرقًا فيه دباء وقديد فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة قال فلم أزل أحبّ الدباء من يومئذ)[13].

والتقرير: مثاله ما ورد في البخاري: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب (لا يصلين أحد العصر إلا في بني ضريظة) فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلّي ثم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدًا منهم[14].

أي فمنهم من صلّى العصر في بني قريظة بعد غروب الشمس ملتزمًا ظاهر النص، ومنهم من صلّى العصر في الطريق خشية فوات الوقت متناولًا أن الرسول ﷺ إنما أراد بما قاله في أن يسرعوا في سيرهم. فأقرّ النبي ﷺ عمل الفريقين.

---

[9] الكواكب الدراري، 12/1

[10] شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ص 3

[11] منهج النقد في علوم الحديث، ص 19

[12] صحيح البخاري، رقم الحديث: 1

[13] المصدر نفسه، رقم الحديث: 1986

[14] المصدر نفسه، رقم الحديث: 3893

ومثال الوصف الخلقي حديث: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[15]، أو كحديث أم المؤمنين عائشة: (كان خلقه القرآن ---)[16].

الفصل الثاني

مختلف أقسام الحديث

ينقسم الحديث باعتبار وصوله إلينا أو باعتبار عدد الرواة إلى قسمين:

1- المتواتر
2- خبر الآحاد

1- **المتواتر:** المتواتر لغة اسم فاعل من التواتر وهو التتابع، كقولنا: تواترت الأشياء إذا تتابعت مع فترات، وجاءت بعضها في إثر بعض وترًا وترًا من غير أن تنقطع[17].

واصطلاحًا: هو ما رواه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه، على ألا يختل هذا الجمع في أي طبقة من طبقات السند، وكان مستندهم الحسّ)[18].

ومعنى (جمع كثير) أي من غير تقييد بعدد، إنما المقصود العدد الذي يحصل به إحالة العقل تواطؤهم أي اتفاقهم على الكذب.

---

[15] المصدر نفسه، رقم الحديث: 4711

[16] مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث: 24645

[17] اللسان، مادة: وتر

[18] مقدمة ابن الصلاح، ص 9-10

والقول (وكان مستندهم الحسّ) أخرج القضايا الاعتقادية التي تستند إلى العقل، مثل وحدانية الله وأخرج القضايا العقلية الصفة مثل كون الواحد نصف الاثنين، فإن العبرة فيها للعقل لا للأخبار[19].

شروط الحديث المتواتر:

يتبيّن لنا من خلال هذا التعريف أن المتواتر هو ما توافرت فيه أمور أربعة:

1- أن يكون عدد الرواة كثيرًا.

2- أن تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

3- أن توجد هذه الكثرة في جميع طبقات السند

4- أن يكون مستند خيرهم الحس، كقولهم: سمعنا أو رأينا أو لمسنا، أو نحو ذلك[20].

وهذا النوع قطعي الثبوت، وهو بمنزلة العيان، يجب العمل به، ويكفر جاحده، والتواتر أعلى مراتب النقل[21].

وينقسم المتواتر إلى قسمين:

1. **متواتر لفظي:** ما اتفق رواته المذكورون في لفظه وفي معناه[22].

كحديث (من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده في النار)[23] رواه عن النبي ﷺ بهذا اللفظ بضع وسبعون صحابيًا[24]، وحديث (نزل القرآن على سبعة أحرف)[25] رواه سبع وعشرون صحابيًا[26].

---

[19] منهج النقد في أصول الحديث، ص 380-381

[20] نزهة النظر شرح نخبة الفكر، ص 11

[21] أصول الحديث علومه ومصطلحه، ص 301

[22] رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، ص 49

[23] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3

[24] مقدمة ابن الصلاح، ص 135

[25] صحيح البخاري، رقم الحديث: 818

[26] منهج النقد في أصول الحديث، ص 381

2. **متواتر معنوي:** هو ما اختلفنا في لفظه ومعناه مع رجوعه لمعنى كلي[27]، أو هو ما اتفق نقلته على معناه من غير مطابقة في اللفظ، ومثال ذلك أحاديث الشفاعة، وأحاديث الرؤية، وأحاديث نبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وغير ذلك[28].

وشروط المتواتر المعنوي هي عين شروط المتواتر اللفظي، إنما يختلفان في أن المتن المنقول يتطابق لفظه في المتواتر اللفظي، ويتوافق في معنى معين تشتمل عليه المتون الكثيرة في المتواتر المعنوي[29].

وجود المتواتر:

وقد اختلف العلماء في وجود الحديث المتواتر، فمن العلماء من يرى عدم وجوده أصلًا، فهو مذهب ابن حبان والحازمي.[30]

وقد ادعى ابن الصلاح ندرة الحديث المتواتر وبالغ غيره فنفى وجود المتواتر وتبعه النووي في ذلك.

لكن العلماء رفضوا ذلك وردّوه بأنه ناشئ من قلة الاطلاع على كثرة الطرق، وهم يركدون أن المتواتر في الحديث غير قليل. فالحافظ ابن حجر أثبت كثرة وجود المتواتر بطريقة واضحة ميسّرة.

ويمكن أن نوفق بينهما بحيث ما قاله ابن الصلاح إنما أراد به المتواتر اللفظي، وظاهر أنه قليل الوجود، وما قاله الحافظ ابن حجر فأراد به المتواتر الذي يشمل المعنوي وهو كثير.

وأما القول بعدم وجود المتواتر فهو ناشئ عن قلة الاطلاع كما قال الحافظ ابن حجر[31].

والحديث المتواتر كثير الوجود، وحسبنا في ذلك أن ننظر إلى شعائر الإسلام وفرائضه كالصلاة والوضوء والصوم فقد نقل صفات ذلك عن النبي ﷺ عدد التواتر من الصحابة، ونقله عن الصحابة عدد التواتر عن التابعين وهكذا، وغير ذلك كثير نقلته الأمة وأجمعت عليه من الأقوال والأفعال[32].

---

[27] رفع الأستار، ص 49-50

[28] مجموع فتاوى ابن تيمية، 16/18

[29] منهج النقد في أصول الحديث، ص 382

[30] توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، 404/2

[31] منهج النقد في أصول الحديث، ص 383-384

[32] المصدر نفسه والصفحتان ذواتهما

المؤلفات في الحديث المتواتر اللفظي والمعنوي كثيرة، ومن أجمع هذه الكتب كتاب السيوطي (الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة) ورتّبه على الأبواب أوردت فيه كل حديث بأسانيد من خرجه وطرقه. ثم لخّصه في كتاب سمّاه (قطف الأزهار)[33].

ومن هذه الكتب كتاب أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني (نظم المتناثر من الحديث المتواتر)، وكذلك كتاب الشيخ عبد العزيز الغماري (إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة على الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة)[34].

والنوع الثاني للحديث هو

2. خبر الآحاد: خبر الآحاد مركب إضافي، يتركب من (الخبر) فهو مضاف، و(الآحاد) وهو مضاف إليه.

فالخبر لغة: ما ينقل ويحدث به قولًا أو كتابة، ويطلق على قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، يقال: خبّره بكذا وأخبره نبأه واستخبره سأله عن الخبر وطلب أن يخبره، والجمع أخبار[35].

والآحاد في اللغة: جمع الواحد، والواحد أوّل عدد الحساب، ويجمع على وحدان، أو هو جمع الأحد بمعنى الواحد[36].

فـ(خبر الواحد) في اللغة: يطلق على ما رواه الواحد فقط[37].

(خبر الآحاد) اصطلاحًا:

فقد اختلف في تعريفه، فالذين قسموا الخبر إلى قسمين (متواتر وآحاد)- وهم المحدثون وجمهور الأصوليين- قالوا في تعريفه: (هو ما لم يجمع شروط التواتر)[38].

أما الذين قسموا الخبر إلى ثلاثة أقسام (متواتر ومشهور وآحاد)- وهم طائفة من الحنفية- وجعلوا المشهور قسمًا مستقلًا بنفسه ولم يدخلوه في المتواتر كالجصاص ولا في خبر الآحاد كما فعل غيرهم

---

[33] تدريب الراوي، ص 373-374

[34] منهج النقد في أصول الحديث، ص 385

[35] اللسان، مادة: خبر

[36] المصدر نفسه، مادة: وحد

[37] نزهة النظر، ص 21

[38] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

قالوا في تعريفه: (هو كل خبر يرويه الواحد أو الاثنان فصاعدًا عن الرسول ﷺ ولا يتوفر فيه شروط المتواتر)[39].

وقولهم (ولا يتوفر فيه شروط المتواتر) أي كثرة الرواة لا يتكون بالغة، أو هي كثرة يؤمن تواطؤها على الكذب في بعض الطبقات، دون البعض من حيث العدد[40].

ينقسم خبر الآحاد إلى أقسام تالية:

الحديث المشهور

لغة:

المشهور في اللغة اسم مفعول من الشهرة بمعنى ظهور الشيء في شنعة حتى يشهره الناس، والشهرة وضوح الأمر وظهور الشيء، والمشهور المعروف. يقال شهره شهرًا وشهرة: أي أعلنه وأذاعه، وشهر السيف: أي سلّه من غمده ورفعه[41].

واصطلاحًا:

لقد اختلفت آراء المحدثين والفقهاء في تعريف الحديث المشهور كاختلافهم في تعريف الخبر الواحد.

فمن الفقهاء من قسم الخبر إلى ثلاثة أقسام وجعل الخبر المشهور قسمًا مستقلًا عرفوا الخبر المشهور بأنه:

(ما كان من الآحاد في الأصل ثم انتشر فصار ينقله قوم لا يتوهم تواطؤهم على الكذب)[42].

أما الذين قسموا الخبر إلى قسمين وجعلوا المشهور قسمًا من خبر الآحاد قالوا في تعريفه: (هو كل حديث له طرق محصورة بأكثر من اثنين ولم يبلغ حدّ التواتر)[43].

وقد يطلق اسم المشهور على الأحاديث التي اشتهرت على ألسنة الناس العوام أو الفقهاء أو الوعاظ أو النحاة أو المحدثين.

---

[39] المنار شرح كشف الأسرار، 13/2

[40] حجة السنة ومصطلحات المحدثين وأعلامهم، ص 85

[41] اللسان، مادة: شهر

[42] أصول البزودي، ص 152

[43] شرح نخبة الفكر، ص 5

فالمشهور عند أهل الحديث (أنّ رسول الله ﷺ قنت شهراً بعد الركوع يدعو على رعل وذكوان)[44]، والمشهور عند المحدثين والعلماء والعوام: (المسلم أخو المسلم)[45]، والمشهور عند الفقهاء (لا ضرر ولا ضرار)[46]، والمشهور عند الأصوليين (إذا حكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)[47]، والمشهور عند علماء العربية (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) ليس له إسناد[48]، و(أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش) معناه حق لكن ليس لهذا اللفظ إسناد إلى النبي ﷺ[49]، والمشهور بين العامة (السفر قطعة من العذاب)[50].[51]

وينقسم الحديث المشهور باعتبار قبوله وردّه إلى: الصحيح، والحسن، والضعيف، تبعًا لحال رواته[52].

فمثال المشهور الصحيح (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)[53] ومثال المشهور الحسن (لا ضرر ولا ضرار)[54] ومثال المشهور الضعيف (اطلبوا العلم ولو كان بالصين)[55].

الحديث المستفيض

المستفيض لغة:

المستفيض مأخوذ في اللغة من (فاض الماء) إذا سال وانتشر[56].

واصطلاحًا:

---

[44] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2999

[45] المصدر نفسه، رقم الحديث: 6551

[46] موطأ الإمام مالك، رقم الحديث: 2867

[47] صحيح البخاري، رقم الحديث: 6919

[48] كشف الخفاء، 1892/2

[49] المصدر نفسه، 231/1

[50] صحيح البخاري، رقم الحديث: 1710

[51] حجية الحديث، ص 93

[52] تدريب الراوي، ص 368-369

[53] صحيح البخاري، رقم الحديث: 837

[54] الموطأ، رقم الحديث: 1429

[55] لسان الميزان، 192/1

[56] اللسان، مادة: فيض

وأما في الاصطلاح فاختلف فيه؛ وأكثر ما يستعمل عند الأصوليين.

وهو الحديث المشهور عند جماعة من العلماء. وقيل بأن ثمة فرقًا بينهما، وأصحاب هذا الرأي اختلفوا في التفرقة بينهما: فمنهم من قال: المشهور أعمّ من المستفيض لأن المستفيض في ابتدائه وانتهائه وأثنائه سواء، والمشهور ليس كذلك. ومنهم من عكس وجعل المشهور أعمّ من المستفيض[57].

وقيل: إنه ما تلقته الأمة بالقبول، من غير اعتبار عدد، فهو والمتواتر بمعنى واحد على هذا القول[58].

إن المستفيض كالمشهور ليس دائمًا صحيحًا، فمنه: الصحيح، والحسن، والضعيف، تبعًا لحال الرواة[59].

الحديث العزيز

تعريفه لغة:

العزيز في اللغة صفة مشبهة من عزّ يعزّ عزًّا وعزة وعزازة. والعزّ في الأصل القوة والشدة والغلبة[60]، قال تعالى: فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب"[61] أي غلبني، ويقال عزّ يعزّ بالفتح إذا اشتدّ.

وعزّ الشيء يعزّ عزة وعزازة وهو عزيز أي: قلّ حتى كاد لا يوجد. والعزيز هو القليل النادر يكاد لا يوجد أو القوي الشريف المكرم أو الملك وذلك لغلبته على أهل مملكته أو المنيع، الذي لا ينال ولا يغلب ولا يعجزه شيء ولا مثل له[62].

تعريفه اصطلاحًا:

لقد اختلف في تعريف الحديث العزيز الاصطلاحي:

قال الحافظ ابن حجر: (هو ما لا يرويه أقلّ من اثنين عن اثنين)[63].

---

[57] شرح نخبة الفكر، ص 5
[58] منهج النقد، ص 392
[59] تدريب الراوي، 174/2
[60] مختار الصحاح، ص 467
[61] سورة ص: 23
[62] اللسان، مادة: عزز
[63] نزهة النظر، ص 18

فمراده من هذا أن يتحقق في روايته اثنان ولو في طبقة واحدة وأن لا تقل الرواة عن اثنين في كل طبقة والزيادة في بعض الأحيان على اثنين لا تضرّ إذ الحكم للأقلّ.

والحديث إذا رواه في بعض الطبقات راويان فقط، ثم رواه أكثر من ذلك لم يخرج عن كونه عزيزًا، لأن الأقل يقضي على الأكثر[64].

ومثال العزيز، ما رواه الشيخان من حديث أنس، والبخاري من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده)[65].

ورواه عن أنس قتادة وعبد العزيز بن صهيب، ورواه عن قتادة شعبة وسعيد، ورواه عن عبد العزيز إسماعيل بن علية وعبد الوراث، ورواه عن كل جماعة[66].

وقد يكون العزيز صحيحًا، أو حسنًا، أو ضعيفًا تبعًا لأحوال رواته[67].

الغريب

الغريب لغة: المنفرد البعيد عن الأهل[68].

واصطلاحًا: (هو ما ينفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند)[69].

والشرط في الغريب تفرّد الراوي بالحديث في طبقة من طبقات السند وإن زاد في بعض الطبقات على الواحد فلا يخلّ إذا الحكم للأقل.

والغريب إما مطلق وإما نسبي:

الغريب المطلق: هو الذي يرويه عن الصحابي راوٍ واحد فقط كحديث: (الولاء لحمة كلحمة النسب، لا يباع ولا يوهب) تفرّد بروايته عبد الله بن دينار، عن الصحابي عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ[70].

---

[64] منهج النقد في أصول الحديث، ص 393
[65] صحيح البخاري، رقم الحديث: 14
[66] تدريب الراوي، 181/2
[67] شرح نخبة الفكر، ص 5
[68] اللسان، مادة: غرب
[69] شرح النخبة، ص 21
[70] سنن الدارمي، رقم الحديث: 3159

والغريب النسبي: هو ما تفرّد به راوٍ واحد في أثناء التحمل، يعني رواه واحد في طبقة من طبقات السند، بعد أن يرويه عن الصحابي أكثر من راو واحد، وسمّي غريبًا نسبيًا، لأن التفرد وقع في راوٍ واحد في طبقة واحدة بينما روى عن أكثر من واحد في طبقات أخرى، وهو أحسن درجة من الغريب المطلق إذا كان الرواة ثقات[71].

أقسام الحديث باعتبار القبول والرد

ينقسم الحديث باعتبار القبول والرد إلى قسمين: (مقبول ومردود)[72].

1- الحديث المقبول: (هو ما رجح صدق المخبر به).
2- الحديث المردود: (والمردود وهو ما يرجح كذب المخبر به)[73].

ثم ينقسم الحديث المقبول باعتبار القوة والضعف إلى قسمين:

1- الصحيح.
2- حسن

1- الصحيح: الصحيح في اللغة خلاف السقيم، بريء من كل عيب أو ريب[74].

وفي الاصطلاح: (فهو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذًا ولا معلّلًا)[75].

ويوجب هذا التعريف وجود خمسة شروط في الحديث الصحيح:

1. اتصال السند: وبهذا يخرج المنقطع، والمعضل، والمعلق، والمدلس وغيرها مما لم يتوفر فيه شرط الاتصال.
2. أن يكون رواته عدولًا، والعدل من استقام دينه، وحسن خلقه، وسلم من الفسق وخوارم المروءة.

---

[71] حجية السنة، ص 94-95
[72] تيسير علوم الحديث، ص 31
[73] منهج النقد، ص 48
[74] اللسان، مادة: صحح
[75] مقدمة ابن الصلاح، ص 9

3. أن يكون رواته ضابطين، والضبط هو تيقظ الراوي حين تحمله وفهمه لما سمعه، وحفظه لذلك من وقت التحمل إلى وقت الأداء.
4. أن لا يكون المروي شاذًا، والشذوذ هو مخالفة الثقة من هو أرجح منه.
5. أن يسلم المروي من علة قادحة كإرسال موصول، أو وصل منقطع، أو رفع موقوف[76].

ومثاله ما ورد في صحيح البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: (سمعت الرسول ﷺ قرأ في المغرب بالطور)[77].

وهذا الحديث صحيح لاجتماع الشروط الخمسة فيه حيث إنه روي متصل السند بواسطة العدول الضابطين ولم يعارض ما هو أقوى منه وليس فيه علة من العلل[78].

ينقسم الصحيح إلى قسمين:

أ- **الصحيح لذاته:** وهو الذي اشتمل على أعلى صفات القبول التي أسلفناها.
ب- **الصحيح لغيره:** (وهو الحديث الذي يكون راويه متأخرًا عن درجة أهل الحفظ والإتقان غير أنه من المشهورين بالصدق والستر وروي مع ذلك حديثه من غير وجه)[79].

وسمّي صحيحًا لغيره لأنه لم تتوفر فيه أعلى صفات القبول، كأن يكون راويه العدل غير تام الضبط، فهذا الحديث دون الحديث السابق، فلو عضد هذا الحديثَ طريقٌ آخر مثله يكون صحيحًا لغيره، فالصحيح لغيره صحّح لأمر أجنبي عنه، إذ لم يشتمل على صفات القبول على أعلاها[80].

ومثاله: حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: (لو لا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)[81].

---

[76] أصول الحديث، ص 305
[77] صحيح البخاري، رقم الحديث: 731
[78] توضيح الأفكار، 294/2
[79] مقدمة ابن الصلاح، 20/1
[80] أصول الحديث، ص 306
[81] سنن الترمذي، رقم الحديث: 22

فمحمد بن عمرو بن علقمة: من المشهورين بالصدق والصيانة لكنه لم يكن من أهل الإتقان حتى ضعّفه بعضهم من جهة سوء حفظه ووثّقه بعضهم لصدقه وجلالته فحديثه من هذه الجهة حسن. فلما انضمّ إلى ذلك كونه روي من أوجه أخر زال بذلك ما كنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه وانجبر به ذلك النقص اليسير فصحّ هذا الإسناد والتحق بدرجة الصحيح[82].

وحكمه: قيل: إن ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم يوجب العلم اليقيني، وقيل: يوجب العلم الظني، ومن ثم فهو- على هذا القول- غير ملزم في الاعتقاد، وملزم في الفروع، وهي الأحكام العملية كأحكام العبادات والمعاملات، وذلك أن حياة الناس العامة إنما تبنى على الرأي الارجح، وهو ما يفيده حديث الآحاد الصحيح والحسن[83].

2- **الحسن:** الحسن لغة ضدّ القبيح.

واصطلاحًا: (ما رواه عدل خفيف الضبط متصل الإسناد من غير شذوذ ولا علة)[84].

وللحديث الحسن نوعان: (حسن لذاته، وحسن لغيره).

أ- **الحسن لذاته:** هو الذي ذكرناه آنفًا. وسمّي (حسنًا لذاته) لأن حسنه ناشيء عن توفّر شروط فيه، لا نتيجة شيء خارج عنه[85].

ب- **الحسن لغيره:** وهو ما كان في إسناده مستور لم تتحقق أهليته، غير أنه ليس مغفّلًا كثير الخطأ فيما يرويه، ولا هو متهم بالكذب في الحديث ولا بسبب آخر مفسق، على أن يعضد براوٍ معتبر من متابع أو شاهد[86].

الاحتجاج الحسن:

يحتجّ بالحديث الحسن بنوعيه كما يحتج بالحديث الصحيح، ويعمل به، وإن كان الحسن دون الصحيح في القوة، ولهذا أدرجه بعض العلماء في طائفة الصحيح، منهم الحاكم وابن حبان وابن خزيمة، مع اعترافهم بأنه دون الصحيح في القوة بدليل ترجيح الصحيح عليه عند التعارض[87].

---

[82] مقدمة ابن الصلاح، 1/21-22

[83] حجية السنة، ص 85

[84] ألفية الحديث، ص 40

[85] شرح نخبة الفكر، ص 11

[86] مقدمة ابن الصلاح، ص 13

ارتقاء الحسن إلى الصحيح بتعدّد طرقه:

إذا روي الحديث الحسن لذاته من وجه آخر قوي وارتقى من الحسن إلى الصحيح، لأن راوي الحديث الحسن متأخر عن درجة الحافظ التام الضبط، مع كونه عدلًا، فما كان يخشى عليه من جهة سوء حفظه زال بوجود الطريق الآخر، أو الطرق الأخرى، التي تجبر ذلك القصور، وارتفع من الحسن إلى الصحيح، لاعتضاد أحدهما بالآخر[88].

وقد أخذنا مثاله وتكلمنا عنه تحت حديث (لو لا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)[89].

والكتب التي يكثر فيها الحسن:

- الجامع الصغير للإمام السيوطي، سنن الترمذي، مصابيح السنة، سنن ابن ماجه، سنن النسائي[90].

أنواع المقبول باعتبار العمل به

ينقسم الحديث المقبول باعتبار العمل به إلى قسمين:

1- المحكم ومختلف الحديث

2- الناسخ والمنسوخ

1- المحكم ومختلف الحديث:

أ- المحكم:

المحكم لغة المتقن، والذي لا اختلاف فيه ولا تناقض[91].

وفي الاصطلاح: (ما سلم عن المعارضة)[92].

---

[87] أصول الحديث، ص 333

[88] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[89] سنن الترمذي، رقم الحديث: 22

[90] حجية السنة، ص 113

[91] اللسان، مادة: حكم

[92] نخبة الفكر، ص 15

وهذا هو الغالب في أحاديث الرسول ﷺ لأن الأحاديث المتعارضة قليلة جدًا بالنسبة لمجموع الأحاديث[93].

ب- مختلف الحديث:

المختلف لغة: من الاختلاف، يقال: اختلف الشيئان إذا لم يتفقا ولم يتساويا[94].

وفي الاصطلاح: إن عورض (الحديث المقبول) بمثله، فإن أمكن الجمع فهو مختلف الحديث)[95].

ومثاله حديث (لا عدوى ولا طيرة)[96] مع حديث (لا يورد ممرض على مصح)[97] وحديث (فرّ من المخذوم فرارك من الأسد)[98]. ووجه الجمع بينهما: أن هذه الأمراض لا تعدى بطبعها ولكن الله تبارك وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سببًا لإعدائه مرضه. ثم قد يتخلف ذلك عن سببه كما في سائر الأسباب: ففي الحديث الأول: نفى ﷺ ما كان يعتقده الجاهلي من أن ذلك يعدي بطبعه ولهذا قال: (فمن أعدى الأوّل؟). وفي الثاني: اعلم بأن الله سبحانه جعل ذلك سببًا لذلك وحذر من الضرر الذي يلب وجوده عند وجوده بفعل الله سبحانه وتعالى[99].

2- ناسخ الحديث ومنسوخه:

النسخ لغة: الإزالة أو النقل[100].

واصطلاحًا: هو رفع الشارع حكمًا شرعيًا بدليل شرعي متأخر عنه"[101].

ومثال النسخ قوله ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ---)[102].

هذا من أهمّ العلوم في فنون مصطلح الحديث وأصعبها.

---

[93] تيسير مصطلح الحديث، ص 55
[94] تاج العروس، مادة: خلف
[95] نخبة الفكر، ص 15
[96] صحيح مسلم، رقم الحديث: 2220
[97] المصدر نفسه
[98] صحيح البخاري، رقم الحديث: 5437
[99] مقدمة ابن الصلاح، ص 170-171
[100] اللسان، مادة: نسخ
[101] أصول الحديث، ص 287-288
[102] صحيح مسلم، رقم الحديث: 1623

الحديث المردود

المردود: اسم مفعول من (ردّ يردّ ردًّا ومردًّا أي صرفه، وردّ عليه أي لم يقبله وخطّأه[103])

وفي الاصطلاح: (هو ما يرجح كذب الكخبر به)[104].

وذلك بفقد شرط من شروط الحديث المقبول، وشروطها (العدالة، والضبط (ولو لم يكن تامًا)، والاتصال، وفقد الشذوذ، وفقد العلة القادحة، والعاضد عند الاحتياج إليه)[105]. ويشتهر هذا القسم أيضًا باسم الضعيف[106].

وفي حكم الضعيف ثلاثة مذاهب:

1- لا يعمل به مطلقًا في الفضائل كان أو غيرها.

2- يعمل به مطلقًا سواء كان في الأحكام أو في الفضائل أو غيرها.

3- يعمل به في الفضائل والمواعظ فقط، وذلك بعد توفر شروط فيه، وهي:

أ- ألا يكون الضعف شديدًا.

ب- ألا يندرج تحت أصل معمول به.

ت- ألا يعتقد عن العمل به ثبوته بل يعتقد الاحتياط[107].

والمذهب الثالث هو الذي أخذ به جمهور العلماء.

هذه كانت أقسام الحديث الأساسية. وللحديث أقسام أخرى فروعية تنشأ عن فقدان شروط الحديث الصحيح السالفة الذكر. نكتفي على الإشارة إليها، لأن الكلام حولها يخرج عن نطاق هذا البحث.

---

[103] القاموس المحيط، مادة: ردد

[104] قفو الأثر، ص 48

[105] منهج النقد، ص 267

[106] حجية السنة، ص 97

[107] فتح المغيث شرح ألفية الحديث، 289/1

الباب الرابع

أثر الحديث النبوي في النثر العربي

الفصل الأول

أثر الحديث النبوي في الخطابة العربية

مدخل:

إن الخطابة والشعر جنسان أدبيان مهمّان. ومن الصعب أن يفضّل أحدهما على الآخر، إذ في فضيلة كل منهما دلائل تغلب دلائل الجنس الآخر.

قيل: إن العرب كانوا يفضلون الشعر على الخطابة قبل الإسلام، لأنهم كانوا يعتقدون أن للشعر أثرًا في النفوس، يهزّه هزًّا عنيفًا، ويدفعها إلى ما يرمي إليه دفعًا قويًا دون النثر. فلما كثر الشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة، ورحلوا إلى السوقة، وتسرعوا إلى أغراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر[1].

وهكذا يكاد النقد العربي يجمع على أن الخطابة أرقى الفنون الأدبية مكانة[2].

مع الاعتراف لأهمية الشعر، لا يخفى ازدهار الخطابة بعد مجيء الإسلام حتى صارت الخطابة في المرتبة الأولى من الفنون النثرية، بل كانت من الناحية العملية مقدمة على الشعر[3].

ولما اتخذ الإسلام الخطابة وسيلة لنشر الدين، فمن الضروري أن يكون لبطل الإسلام ﷺ، ولكلامه تأثير عميف في هذا الفن المهمّ من الفنون الأدبية.

ففيما يلي سأتكلم عن الخطابة وتاريخها وأنواعها وأثر الحديث عليها.

الخطابة

قبل أن أبدأ بالحديث عن (الخطابة) لا بدّ أن نتعرف على المعنى اللغوي لـ(الخطابة) أو مشتقاتها:

الخطابة لغة:

---

[1] البيان والتبيين، 170/1

[2] أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 24

[3] أدب الخلفاء الراشدين، ص 17

الخطابة: من الخطب، وهو سبب الأمر[4]، أو أمر شديد ينزل[5]، أو هو أمر جليل[6]، أو هو أمر وشأن صغر أو عظم[7].

وخطب الخاطب على المنبر خطابة وخطبة، وذلك الكلام خطبة أيضًا، أو هي الكلام المنثور المسجّع[8].

وقيل: (الخطبة) الواحدة من المصدر، القومة من القيام، والجمع (الخُطُب)[9]. وخاطب مخاطبة وخطابًا: وهو الكلام بين متكلم وسامع، وهو مراجعة الكلام[10].

والاسم منها (الخاطب)، وإذا جُعِلَ وصفًا لازمًا قيل (خطيب)، كما قيل (راحم) و(رحيم). وجعل (رحيم) أبلغ في الوصف وأبين في الرحمة، وكذلك لا يسمّى (خطيبًا) إلا من غلب ذلك عليه وعلى وصفه، وصار صناعة له[11].

سبب تسمية الخطابة بهذا الاسم:

سمّيت الخطبة بهذا الاسم لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجلّ وتعظم[12].

الخطابة اصطلاحًا:

لقد قدّمت للخطابة تعريفات عديدة، فمنها ما يبتعد بعضها عن بعض كثيرًا، ولكن منها ما ليس جامعًا لكل أنواع الخطابة وجزئياتها، ومنها ما ليس مانعًا لدخول أشياء أخرى، فبعضها ما يلي:

فابن خلدون عرّف الخطابة أثناء تعريفه بكتاب أرسطو "المخصوص في المنطق": الخطابة: القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات[13].

---

[4] كتاب العين، 222/4

[5] المصباح المنير، مادة: خطب

[6] نقد النثر، ص 94

[7] اللسان، مادة: خطب

[8] القاموس المحيط، مادة: خطب

[9] المصباح المنير، مادة: خطب

[10] المحيط في اللغة، مادة: خطب

[11] نقد النثر، ص 94-95

[12] المصدر نفسه، ص 94

[13] مقدمة ابن خلدون، ص 491

وكذلك عرّفت الخطابة بأنها: صفة راسخة في نفس المنكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم، بترغيبهم، وإقناعهم[14].

فمن أوضح ما قيل في تعريف الخطابة أنها عرّفت بـ"فن مخاطبة الجماهير بطريق إلقائي يشتمل على الإقناع والاستمالة"[15].

وهذا التعريف ينبني على عناصر، وهي:

1- أن يكون الحديث مخاطبة إلى جمهور من الناس، فإذا كان الإنسان يتكلم مع شخص أو شخصين فإنه ليس بحاجة إلى أسلوب خطابي عادة، ويكفيه شرح المعنى المراد في صوت هاديء وطريقة ألّفها الناس في أحاديثهم، فهذا ليس خطبة.
2- أن يكون بطريقة إلقائية، وهذا يعني جهارة الصوت وتكييفه باختلاف نبراته وتجسيم المعاني التي تتضمنها الخطبة، وإبداء التأثر بها، ومكمّلات هذه الطريقة التي تصحبها إشارات باليد أو بغير اليد، كما بيدي الخطيب انفعالاته بما يقول، فكل ذلك يثير السامعين ويوجه عواطفهم نحوه ويجعلهم أكثر استجابة لرأيه.
3- أن تكون الخطبة مقنعة بحيث يتضمن أدلة وبراهين تثبت صحة فكرة الخطبة. فإذا كانت الخطبة خالية من مثل هذه الأدلة فإنها ستكون تعبيرًا عن رأي الخطيب فقط، وتكون راسبة فاشلة لأنها عجزت عن أداء الغرض المقصود.
والخطيب الناجح هو الذي يوضّح الأدلة التي يسوقها توضيحًا كافيًا شافيًا، يأتي فيه بكثرة المترادفات، ويكرّر فيه بعض الجمل، ويصرّ عليها لتقرير معانٍ خاصة وجزئيات وأمثلة تبين الفكرة وتثبتها في أذهان سامعيه.
4- أن يتوافر في الخطبة عنصر الاستمالة أي تقدر الخطبة على أن توجه عواطف الناس وتحملهم على العمل حتى يستجيبوا للرأي الذي تدعو إليها الخطبة. وذلك لأن المخاطب قد يدين لرأي أو يؤمن بفكرة لكن إيمانه هذا لا يدفعه إلى أن يسعى إلى تحقيق تلك الفكرة.

---

[14] الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص 19

[15] مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية، ص 7

فعنصر الاستمالة من أهمّ عناصر الخطبة، لأنه هو الذي يلبّي الغرض المقصود[16]. ومثاله رجل يدمن المخدرات ويشرب الخمر، فهو يوقن بعواقب ما يفعله، ومآله السوء في الدنيا والآخرة، ولكن يقينه هذا لا يدفعه إلى ترك ما يفعل.

فالخطيب يكون بحاجة إلى التمتع بموهبة قوة التأثير في مخاطبيهم ليحملهم على الإقدام، والصمود، ومغالبة العادة.

تاريخ الخطابة

إن تاريخ الخطابة قديم جدًا، بقدم الإنسان، لأنها تقتضي الاجتماع البشري للتوجيه والإرشاد، وقيادة الناس في هذه الحياة.

لقد بعث الله عزّ وجلّ الرسل والأنبياء منذ بدء التاريخ الإنساني في أقوامهم يدعونهم إلى عبادة الله ويحذرونهم من الشيطان وكيده، يقول الله تعالى: (رسلًا مبشّرين ومنذرين لئلّا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا)[17].

وكان هناك أيضًا أعداء هؤلاء الأنبياء والرسل، أصحاب البيان واللسن، استطاعوا بقوة خطابتهم أن يستميلوا الشعوب، ويؤثروا في أفكارهم، ويستولوا على عقولهم.

ومن هؤلاء المعاندين فرعون يستخف قومه، ويسفه موسى عليه السلام، فالتفت الناس إلى شخصيته ومنزلته، فيقول الله عزّ وجلّ عنه: (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أ ليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون. أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين. فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين. فاستخفّ قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين)[18].

الخطابة عند اليونانيين:

---

[16] المصدر نفسه، ص 7-8

[17] سورة النساء: 51-54

[18] مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية، ص 27

يؤكد بعض الباحثين أن الخطابة كعلم له أصول ومناهج، ويقولون إن اليونانيين هم أول من دوّنوا علم الخطابة. وذلك لأن أسبابها في عصرهم، ودواعيها اشتدّت، والرغبة إلى القول فيهم قويت. فلرقي الخطابة في اليونان عدة أسباب، منها:

1- استمرار الحروب واتصال المشاجرات، وهذه الأحوال تقتضي تأييد ودحض رأي آخر، وتميس المقاتلين وتشجيع المحاربين، وتحريك العوام وإثارة الجماهير.
2- ولما كانت أثينة تستعدّ استعدادًا عسكريًا كانت إسبرطة مركز الفن في العالم، وازدهرت فيها التمثيلات والفنون والخطابة والأدب.
3- كان النظام اليوناني أيضًا يشجّع على الخطابة، وتكثر فيه فرصها، فكانوا إذا أدلي أمامهم برأي من الآراء قم صاحبه أو مريدوه إلى تأييده أو معارضته. فإذا بلغ الخطباء المؤيدون والمعارضون إلى نهاية خطبهم طلب من حضر إعلان رأيه، والجماهير عادة ينفعلون بفصاحة الخطيب وبلاغته أكثر مما ينفعلون بدلائلهم العقلية والمنطقية.
4- كان النظام القضائي في اليونان أيضًا يساعد انتشار الخطابة وازدهارها. فقد كان مجلس القضاء يشتمل على عدد كبير من القضاء يتجاوز المائة. وهذا العدد كافٍ أن يجعل القضاء جمهورًا. والمحامون هنا كانوا يسلكون سبيل التأثير في عواطف القضاء ويحتفلون ببلاغة الخطبة وبيانها أكثر من كونها مدلّلة بحججج متصلة بالروح القانوني، فكان ذلك مدعاة إلى نهضة الخطابة لأنها هي التي تحقق للمتقاضين ما يريدونز
5- اضطرّ النظام اليوناني جمهور الشعب أن يتعلموا الخطابة ويتدربوا عليها، وذلك لأن على كل شخص الدفاع عن نفسه حسب النظام الرائج في ذلك الوقت، ولم يكن لديهم نظام توكيل محامٍ بمهمة المرافعة. فتطلّب ذلك وجود المعلّمين هناك يعلّمون الناس الخطابة وسبل النفود في مشاعر السامعين والسيطرة على عواطفهم. لذلك كان الشبان يتعلمون الخطابة ويتدربون عليها استعدادًا لما عسى أن يواجههم من مواقف سياسية وقضائية[19].

[19] الخطابة (أبو زهرة)، ص 12-18

لذا نرى أن الناس في اليونان كانوا مولعين بالفصاحة والبلاغة وحسن الإلقاء، حتى كان الخطيب يتقلّد الوظائف العالية، ويشغل الأعمال الراقية، وهكذا كانت المناصبة العالية خاصة للذي كان له نبوغ في الخطابة وعبقرية في البلاغة[20].

الخطابة عند الرومانيين

من أهمّ شروط الخطابة الحرية، لأن الخطابة لا تنمو إلا في بيئة تتمتع بحرية إظهار الرأي. لكن الروم لم تكن فيها حرية كافية. مع ذلك برز فيها خطباء ممتازون بين حين وآخر وبرزت مواقف خطابية عظيمة من مواقف بروتوس وأنطونيو، ذلك أن الشدائد وأزمات الحياة تدعو إلى الخطابة وتظهر الخطباء.

وفي العصر المسيحي بانت الخطابة الدينية واقتضت الأحوال ظهور خطباء ممتازين، لكن المسيحية بقيت محبوسة. ولما صارت المسيحية دينًا رسميًا واعتنقت الحكومة المذهب الكاثوليكي[21]، وأراد هرقل التوفيق بين المذاهب المتضاربة، فلم يحقق شيئًا إلا أن زاد هذه المذاهب مذهبًا آخر. فسبّب بطشُه موتَ الخطابة وتكميم أفواه الخطباء[22].

فاستمرّ فن الخطابة وأسهم في تطوّره ورقيّه كل قوم وأمة، إلى أن بلغ ذروته لما بلغ العربَ هذا الفنُّ. فكان نصيبهم في ذلك أوفر، لأجل اهتمامهم باللسان، وعنايتهم بفصاحته. وذلك لأن فرص تطوّر الخطابة كانت عندهم أكثر، لما كانوا يقدمون الخطباء بين يدي كل شأن من شؤون الحياة، بين يدي الحروب، وعند قدوم الوفود، وفي الاحتفالات والمناسبات، وللإرشاد والإصلاح، وللرثاء والعزاء، وعند طلب النكاح[23].

ثم جاء الإسلام فكان اهتمامه بالخطبة وطريقة إلقائها أشدّ، وعنايته بها أقوى، فصارت من الدين في بعض المواضع والحالات. وسنتكلم عن الخطابة في هذا العصر بالتفصيل.

أنواع الخطب

---

[20] المصدر نفسه

[21] الكاثوليكية هي الجماعة التي أسّسها السيد المسيح ورتّب مؤمنيها تحت سلطان الرسل والأساقة من بعدهم.

[22] مرشد الخطيب، المصدر نفسه، ص 27-28

[23] الخطابة لأبي زهرة، ص 11-15

في الحقيقة لا تنحصر أنواع أو فنون الخطبة في عدد، وإنما هي تتبع حاجبات الأمة. وفي الماضي حصر أرسطو الخطابة إلى ثلاثة أقسام:

1- الخطب التثبيتية: هي التي تتعلق بالمدح أو التأبين أو التعزية وغيرها من الأمور التي تتعلق بحادث ثابت أو حال قائمة، زمنها الحاضر.
2- الخطب القضائية: وهي تتعلق بأمور حدثت فيما مضى، ويتناقش الخصمان في تبعاتها، زمنها الماضي، إذ أكثر معانيها يتعلق به.
3- خطب الشورى: وهي تتعلق بأخذ الأهبة للمستقبل، وإعداد العدة لما يكون فيه، كان أكثر معانيها يتعلق بالمستقبل، وهو زمن وقوعها[24].

وفي عصرنا الحاضر شاعت الخطابة في فنون وموضوعات، ولكل منها طرائق خاصة. وقد حصرت على تباين موضوعاتها في أقسام جامعة لها، وهي:

4- الخطب السياسية: هذا النوع من الخطب يبين سياسة الدولة تقريرًا، أو نقدًا، ببيان ما يجب أن تكون الحكومة عليه في إدارتها لجميع جوانب الحياة المختلفة، وهي تنمو تحت ظل الرحية وتستمد غذاءها في جوّ حرّ طليق.

وتتشعب الخطابة السياسية إلى شعب، وانقسمت إلى أقسام:

أ- الخطب النيابية.

ب- الخطب الانتخابية.

ت- خطب النوادي.

ث- خطب المؤتمرات السياسية[25].

5- الخطب القضائية: وهي التي تلقى في ساحة المحاكم، طلبًا للحكم في أمر ما. وهي تختلف باختلاف المحاكم التي تلقى بها، فقد تكون في أمر جناية أو أمر مدني أو حالة من الأحوال الشخصية[26].
6- الخطب الدينية: هي التي تعتمد على تعاليم الدين أو تلقى لغرض من أغراضه، فهي تشتمل على الخطبة المنبرية التي تلقى في الجمع والأعياد ويوم الحج الأكبر وعند صلاة الاستسقاء[27].

---

[24] الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص 153
[25] المصدر نفسه والصفحة ذاتها
[26] الخطابة وإعداد الخطيب، ص 112

7- الخطب العسكرية: وهي التي يلقيها قادة الجيوش والأمراء في ميادين القتال، يشجّعون الجنود على القتال، ويحمسون عواطفهم للقتال والنزال، ويثيرونهم على نيل فضيلة الشهادة.

8- الخطب العلمية: وهي الإلقاء الذي يكون في جامعات البلاد الراقية لتنوير أذهان المتعلمين، وتثقيفهم، وترقية للرأي العام ونشرًا للثقافة في ربوع البلاد.

9- خطب التأبين: وهي التي تقال في مناقب الرجال عند وفاتهم وفاءً لهم على ما أسندوا من جميل وحسن صنيع، وحثًّا للسامعين على اقتفاء آثارهم، عزاء للمالومين بهم.

10-خطب المدح: وهي نوعان:

أ- قسم تاريخي تقريري: وفي هذا النوع يمدح عظماء الرجال لا للتقرب منهم بل لدراسة أحوالهم وتقريرًا لمذاهبهم. وهذه إما علمية إذا كان الغرض منها البحث والتحليل، وإما سياسية إذا كانت للدعوة لمذهب العظيم السياسي.

ب- النوع الثاني يكون بذكر المناقب والصفات إعلاء لشأن الممدوح، لابتغاء منفعة منه.

ت- خطب الشكر وهي التي يذكر فيها الخطيب النعمة التي أسداها إليه الممدوح[28].

11-الخطب الاجتماعية: هذا النوع من الخطب يتناول المشاكل الاجتماعية التي يكون المجتمع في حاجة ماسّة إلى حلّها. ومن أمثلة ذلك: دعوة خطيب القرية لإنشاء مدرسة أو نادٍ بها أو يقترح شقّ الترعة أو إقامة جسر أو يدعو شخص في مجتمع لإنشاء دار أمومة تساعد المرأة المظفة[29].

12-خطب المحافل: وهي ما تلقى في حفلات التكريم لبعض الأشخاص، وقد تكون بسبب انتقال موظف كبير من عمل إلى آخر أو من بلد إلى آخر أو بسبب تقاعده، أو قيامه بعمل خطير أو استقباله قادمًا من السفر[30].

---

[27] المصدر نفسه

[28] الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص 153-216

[29] مرشد الخطيب، المصدر نفسه، ص 23

[30] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

13-خطب النكاح: كانت العادة عند العرب إذا أراد الرجل الزواج من امرأة أن يتقدّم عنه رجل من عشيرته يعبّر عن رغبته في طلب يدها، فهو يلقي الخطبة أمام عشيرة المرأة، يذكر فيها مناقب الرجل الراغب بابنتهم وصفاته التي يتصف بها، ومنزلته في قومه.

وبعد أن ينهي خطبته يقوم رجل من أهل الفتاة، فيخطب خطبة قصيرة يجيبه فيها قبولًا أو رفضًا[31].

ومن أمثلة هذا النوع من الخطب خطبة ألقاها عم النبي ﷺ أبو طالب أمام قوم السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها طالبًا يدها لسيدنا الرسول محمد ﷺ[32].

أركان الخطابة

إن للخطابة من حيث هيكلها ثلاثة أركان يعتمد عليها بناؤها ويتمّ بها بنيانها، وهذه الأركان الثلاثة هي:

1- خطيب: مؤدي الخطبة
2- الخطبة التي تلقى أمام المستمعين
3- والمخاطبون الذين يستمعون إلى الخطبة المؤداة

ولا شكّ أن الخطابة التي تفتقد أحد هذه الأركان الثلاثة فلا قيمة لها مطلقًا، لأن كل ركن من هذه الأركان لا فائدة له دون الآخر، لذا يجب أن تتوافر هذه الأركان الثلاثة مجتمعة في الخطبة.

وفي التالي أتناول كل ركن من هذه الأركان:

الركن الأول: الخطيب

الخطيب هو الشخص الذي يقتدر على التصرف في فنون القول حين يخاطب جمهوراً من الناس لمحاولة إقناعهم بما يجول في خاطره من أفكار والتأثير في نفوسهم بما يستعر في أعماقه من عواطف[33].

---

[31] خصائص الخطبة والخطيب، ص 23
[32] جمهرة خطب العرب، ص 77/1
[33] خصائص الخطبة والخطيب، ص 241

إن الخطيب هو أهمّ أركان الخطابة لأنه العامل الرئيسي في هذه الأركان، لذا يجب عليه أن يتصف ببعض الصفات والآداب، حتى يستميل إليه القلوب، ويؤثر فيها، ويقنعها بقوله.

لقد كتب النقاد عدة صفات للخطيب المثالي، فيمكن حصرها- على تباينها- في ثلاثة أنواع جامعة لها:

أ- الصفات التي تتعلق بذهن الخطيب أو عقله:

1- فأول صفات الخطيب أن يكون رابط الجأش، ساكن الجوارح[34]؛ ومعنى رابط الجاش: هو من يربط نفسه يكفّها عن الفرار لجرأته وشجاعته[35]، والمراد منه هنا هدوء الخطيب في كلامه، وتمهّله في منطقه[36]، وأن يضبط نفسه، ولا ينفعل إذا تعلّقت به العيون، ويمضي في خطبته على تمهّل ورسل.

فالخطيب الذي يتمتع برباطة الجأش يلقي خطبته بقوة وثبات، أما إذا أصابه الروع، أو طرأه ارتباك، أو اعترته الدهشة، فهي أسباب تؤدي إلى الارتجاج والحصر[37]، ولن يصيب الخطيب إذن هدفه الذي يرميه بخطبته، ولن يخلص إلى حبات القلوب[38].

2- أن يكون ذكيًا: من أهمّ أسباب نجاح الخطيب كونه ذكياً، يدرك مواطن القول، وأثره في قلوب المخاطبين كما عليه أن يعرف مدى تحمّل سامعين. فإذا رأى من القوم الرغبة إلى كلامه، والاهتمام بما يقول، واستزادوا، فزادهم على مقدار رغبتهمز وإذا رأى منهم الإعراض عن الاستماع، اختصر خطابه[39].

فالخطيب البارع هو الذي يقدر على تصرف الكلام، ويمهر بإطالة خطبته وإيجازها على السواء. يستطيع أن يطيل خطبته إذا احتاج، وأن يجيزها إذا لم ير مواضع القول. وذلك لأن الإيجاز في موضع الإكثار، والإكثار في موضع الإيجاز ضعف وتقصير[40].

---

[34] عيون الأخبار، 173/2

[35] اللسان، مادة: جأش

[36] الصناعتين في الكتابة والشعر، ص 21

[37] أسس النقد عند العرب، ص 632

[38] البيان والتبيين، 96/1

[39] نقد النثر، ص 96

[40] المصدر نفسه، ص 96-97

وجرأة الخطيب أيضًا يقتضي عدم اكتراثه بما يحدث في المجلس مما يضعف قوته أثناء الخطابة، كقيام وخروج بعض الناس من الصفوف الأمامية أو نظر بعض الآخرين في صحيفة أو كتاب. وما ينفع الخطيب في هذه الحالة أن لا يبالي بما يحدث ويتنبه إلى الآخرين[41].

3- الرفق: من أهمّ الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الخطيب الرفق، لأن الخطيب يواجه من السامعين منهم المؤيد لآرائه التي يعرضها عليهم، ومنهم المعارض. والرفق أو اللطف في هذه الحالة هو خير أسلحة يمكن أن يتسلح بها أي خطيب لمحاربة المعارضين، حتى يخلص إلى قلوبهم.

كما يجابه الخطيب جمهورًا ذات عقيدة معيّنة، ويريد أن يزيل أثر هذه العقيدة عن قلوبهم، فعليه الملاطفة معهم للوصول إلى هدفه.

وربّما لا يفيد الخطيبَ إلا الشدة في التعامل مع المخاطبين، ويرى الخطيب ذلك من تاريخهم. وقد يكون الخطيب نفسه عنيفًا، لا يرضيه سوى العنف في خطابته[42] كما نرى ذلك في زياد والحجاج.

4- من الصفات اللازمة التي يجب الاتصاف بها للخطيب هي الإيمان بدعوته التي يدعو إليها في خطبته والإخلاص. وهذان شرطان أساسيان تسهمان في نجاح الخطيب، لأن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب أيضًا، أما إذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان[43].

وقد ورد في كتاب الله الثناء على المخلصين بقوله عزّ وجلّ (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيمًا)[44] وكذلك في أحاديث الرسول ﷺ في من أعطى ومنع وأحبّ وأبغض لله عزّ وجلّ فقد استكمل الإيمان[45].

---

[41] الخطابة وإعداد الخطيب، ص 45-46

[42] أسس النقد عند العرب، ص 633-634

[43] البيان والتبيين، 73/1

[44] سورة النساء: 146

[45] سنن أبي داؤد، رقم الحديث: 4681

أما إذا كان الخطيب متجردًا من صفة الإخلاص، ضعيف الثقة بقوله، غير قوي الإيمان، فيتسرّب هذا الضعف إلى سامعيه أيضًا، مهما حسن بيانه، وفصح لسانه، وغزر علمه، واتسعت ثقافته، وبرعت خطابته، فإنه لن يتمكن من الوصول إلى أعماق الناس والتأثير في نفوسهم، لأن الذي لم يظهر فيه أثر دعوته فكيف يتأثر به الآخرون[46].

5- أن لا ينسى أبدًا الموضوع الذي أسّس عليه خطبته، حتى لا يتنقّل من موضوعه إلى موضوع آخر، ويطيل في الكلام وينسى موضوع خطبته. وقد يستطرد الخطيب من موضوعه إلى آخر حتى تصبح خطبته مزيج الموضوعات، فيقع السامعون في التخليط من أمرها، ولا يستطيعون تركيز فكرهم فيها، فلا يصبح لهم منها أي فائدة ولا هدف[47].

6- أن يكون حاذقًا بإثارة عواطف الناس وتحريك أهوائهم، حتى يسيطر على أحاسيسهم ويجعلهم يحسّون بمشاعر ما يريدها من الحب والبغض والرغبة والنفور والفرح والحزن والرجاء واليأس والشجاعة والخوف والحمية والأنفة والغضب وغيرها ويسوقهم إليها[48].

ب- الصفات التي تتعلق بأوصاف بيانية:

7- طلاقة اللسان: اللسان هو أداة الخطيب الأولى، فلا بدّ أن تكون الأداة سليمة كاملة، ليتسنّى له استعمالها على أكمل وجه وأتمّه[49].

فسلامة الخطيب من آفات النطق كاللجلجة[50]، والتمتمة[51]، واللثغة[52]، والفأفأة[53] --- وهذه العيوب إذا لم تصلح كانت مصدر استهانة السامعين بالخطيب، بل مصدر سخريتهم به[54].

8- جهارة الصوت: وهي من أسمى صفات الخطيب، وكان العرب يفضّلون الخطيب المفوّه ذا بيان، ويصفونه بأشدق. كما وردت في بعض الخطباء الممتازين أبيات تجلى هذه الصفة، منها:

---

[46] مرشد الخطيب، المصدر نفسه، ص 16

[47] أسس النقد عند العرب، ص 638

[48] الخطابة، ص 67-68

[49] المصدر نفسه، ص 56

[50] اللسان، مادة: لجج

[51] المصدر نفسه، مادة: تمم

[52] المصدر نفسه، مادة: لثغ

[53] المصدر نفسه، مادة: فافأ

[54] أسس النقد عند العرب، ص 635

إن صاح يوماً حسبت الصخر منحدرًا والـريح عاصـفة، والمـوج يلـتطم[55]

وكذلك ذمّ بهض الخطباء برقة الصوت، وضاآلته، فقال:

ومـن عجـب الأيـام أن قمـت خاطبًـا وأنت ضئيل الصوت منتفخ السحر[56]

ومما لا ريب فيه أن الصوت الممتلئ مما يملأ نفوس السامعين هيبة لصاحبه[57].

9- فصاحة اللسان وجودة النطق: من أهمّ شروط الخطابة فصاحة لسان الخطيب وجودته في النطق، كما عليه أن يحسن الإلقاء، قوة ولينًا، فلا يكون الإلقاء على وتيرة واحدة، حتى لا يصيب السامعَ الملل، ما يوجب إعراضه عن الخطبة.

كما لا يعتمد على أسلوب السجع الممقوت، فإن شأن إضاعة المعنى، والتركيز على اللفظ مع ضرورة مراعاة قواعد اللغة العربية، لأن عدم مراعاتها يحدث خللًا في المعنى[58].

ت- الصفات التي تتعلق بهيئة الخطيب وشخصيته وزيّه:

10-حسن الهندام والمظهر: من مكوّنات الخطيب أن يكون حسن الهندام جميل المظهر، لأن لهيئته أثرًا في استقباله الحسن أو السيء. فيجب أن يلقي الخطيب خطبته وهو في ملابس وهيئة حسنة، لأن ذلك أدعى إلى انتباه الناس واستمالتهم إليه، وميلانهم نحوه، مع الاجتناب من الإسراف في العناية بالملبس إلى حدّ التكلّف[59].

إن حسن الهندام وجمال المظهر وإن لم يكونا من الصفات التي تقوم عليها الخطابة، إلا أنها شيء يتطلب العناية بهما، لأن النظر يرثر في القلب تأثير الكلام في السمع[60].

وقد يكون الخطيب قبيح المنظر، رثيث الهيئة، سوء الملبس، ما يؤدي إلى انصراف الناس عنه، ويحطّ من حسن الخطبة فتفتر إلقاء وتأثيرًا[61].

---

[55] البيان والتبيين، 80/1

[56] المصدر نفسه، 82/1

[57] أسس النقد عند العرب، ص 636

[58] خمسون وصية ووصية لتكون خطيبًا ناجحًا، ص 7

[59] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[60] الخطابة، ص 58

[61] المعجم الوسيط، مادة: رثث

11-الاقتصاد في الإشارات وحركات اليد: الإشارات تعبّر عن انفعال الخطيب بخطبته، ولا بدّ للخطيب منها، لأن الذي لا يتأثر بما يقول فكيف ينفعل به المستمعون[62].

غير أن الإكثار في كل شيء مضرّ، فالإكثار في الإشارات وكثرة حركات اليد تحطّ هيبة الخطيب من أذهان المستمعين، ويشغلهم عن متابعة الخطيب في فكرته.

12-أن يقلّل مما ينفر منه مثل التنحنح والسعال، وبعض الحركات المثيرة كالعبث باللحية والحركات المشينة[63].

الركن الثاني: الخطبة

الخطبة المثلى عند النقاد هي التي:

1. عني فيها الخطيب بمقدمة الخطبة. والمقدّمة بعيدة الأثر في نجاح الخطيب عند السامعين لأنها أوّل ما يقدّمه إليهم، وشديدة التأثير في تهيئة السامعين للالتفات والإصغاء لأنها أوّل ما يستمعونه. فإن تلقّى السامعون المقدّمة بالقبول، ثبتت الخطبة في نفوسهم، ووقعت في قلوبهم.

   لذا يهتمّ الخطباء بمقدمات خطبهم، ويبذلون كل ما يمكن لهم من جهد وقوة في تحسينها من اختيار المعاني والأسلوب.

   واستحسن نقاد العرب أن تفتتح الخطبة ما يشير إلى موضوع الخطبة، فكانوا مثلًا في تحميداتهم التي يبدءون بها خطبهم، ويشيرون إلى الهدف من الخطيب، وكانوا يفرقون بين صدر خطبة الزواج، وخطبة العيد، وخطبة الصلح وغيرها[64].
2. وعني فيها بالانتقال من فكرة إلى فكرة، حتى ترتبط أجزاء الخطبة بعضها ببعض، ويصبح الغرض بذلك واضح المعالم بين التقاسيم[65].
3. وعني فيها بخاتمة الخطبة[66]: الخاتمة هي آخر ما يقولها الخطيب من خطبته، ولها أثر باقٍ في نفوس سامعيه. ومن جمال الخطبة أن النفس تتوسّم إتيان الخاتمة، لأنه عرف أن

---

[62] الخطابة وإعداد الخطيب، ص 42

[63] الموسوعة العربية العالمية، 109/10

[64] زهر الآداب، 96/1

[65] أسس النقد عند العرب، ص 639

[66] البيان التبيين، 98/1 و91-92

الخطيب تخلّص من عرض فكرته. أما إذا كان في نفوس السامع رغبة في المزيد من الكلام، فمعناه أنه لم يعط الموضوع حظّه.

ولأن الخاتمة هي آخر ما يلقيه الخطيب، فهي أعلق بنفوس المخاطبين من الكلام، وأكثره اتصالًا بقلوبهم، وتشمن البقاء لأثر الخطبة. فإن وقعها حسنًا نالت الخطبة من السامعين حظًا ومنزلة. أما الوقع السيء فيذهب بتأثير الخطبة، ويزري بها، ويضيع هدفه المقصود[67].

4. وعني فيها أن لا يعيد أفكارًا سبقت، لأن النفس تسأم التكرار وتأخذه الملال. وقد يسبّب التكرار التطويل ما يثير الملل في السامعين، أو يحملهم على الخيال بأن الخطيب فقير في الأفكار[68].

وحدة الموضوع

وقد انتبه النقاد إلى ضرورة وحدة الموضوع، بحيث تتركز الخطبة فيه ويدور حوله الكلام كله، واعتبروا الخروج منه إسهابًا[69].

أما الموضوعات المتفرقة فلا يستطيع السامعون متابعتها، وتزول عن أذهانهم بعد انتهاء الخطيب من خطبته.

كما أن الوحدة في الموضوع يتيح للخطيب فرصة الإحاطة بموضوعه من الجوانب كله، وأن يعطي الموضوع حقه[70].

لكل مقام مقال

مثل يراد به هنا مطابقة الخطبة للأشخاص الذين يخاطبون، وملائمتها للموطن الذي يقال فيه. فربّ خطبة حسنت في موضع ثم كانت مستكرهة في غيره. لذا على الخطيب ملاحظة أحوال السامعين، وإدراك مقتضى الحال، لينجح في إلقائه، ويصل إلى هدفه وهو الإقناع والتأثير[71].

الركن الثالث: السامعون

---

[67] أسس النقد عند العرب، ص 639

[68] المصدر نفسه، ص 640

[69] الصناعتين، ص 5

[70] أسس النقد عند العرب، ص 640

[71] المصدر نفسه، ص 640-641

الركن الثالث من العملية الخطابية هو السامعون، فالذي وقف عنده النقاد، عناية بأحوال السامعين فأمران[72]:

1- ملائمة الأسلوب مع مستوى عقول السامعين: إن الناس طبقات، ولكل طبقة من الناس مستوى عقولهم يجب مراعاتها. فلا بد أن يختلف أسلوب الخاصة أو المثقفين عن أسلوب العامة. فأسلوب الخاصة أسلوب جزل ذو كلمات ممتازة يعرفونها بحكم ثقافتهم. أما أسلوب العامة فهو أسلوب سهل واضح جلّاء، لا يستخدم الخطيب فيها كلمات لا يعرفونها. هذا ما أكّد عليه الجاحظ في البيان والتبيين:

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[73].

2- مسئلة الإيجاز والإطناب: إنّ مسئلة الإيجاز والإطناب من أهمّ الأمور التي اهتمّ بها النقاد، واستحسنوا معرفة الخطيب بمواضع القول واحتمال السامعين له. فالإيجاز في موضع الإطناب يدلّ على قصور الخطيب على أفهام سامعيه، وكذلك الإطناب في موضع الإيجاز يتولّد منه الإضجار والملالة[74].

---

[72] المصدر نفسه، ص 636

[73] البيان والتبيين، 106/1

[74] نقد النثر، ص 96

أثر الحديث على الخطابة

وكما سبق أن الحديث النبوي ﷺ هو المؤثر الأساسي- بعد القرآن- في الأدب العربي كله عامة وفي النثر خاصة. ثم الخطابة في الجنس الأدبي الذي اعتمد عليه النبي ﷺ في نشر دعوة الرسالة الإسلامية وبعده خلفاؤه اتباعًا له، ويتبع سننَه المسلمون حتى عصرنا الراهن.

وفي العصر قبل الإسلام- أي العصر الجاهلي- كان الشعر يسود على الأجناس الأدبية الأخرى- مثل الخطبة والحكم والأمثال وغيرها. وإن لحق به السقوط فكان نتيجة سقوط الشعراء، غير أنه كان يفضّل على غيره من الأجناس الأدبية كلها عامة.

وذلك لأن العرب قبل الإسلام كانوا قد ألفوا أن التأثير العميق في قلوب السامعين يكون للشعر دون النثر[75] لكن هذه الحالة تغيرت بعد نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ عندما استطاع القرآن والكلام النبوي أن يصلا إلى ذلكالتأثير. وهما أثّرا في العرب إلى حد أن الشعر ضلّ في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، ولم يتنبه إليه المسلمون إلا إذا حمّل على الإسلام بالشعر.

فبعثة النبي ﷺ سبّبت تغليب الخطابة على الشعر. أضف إلى هذا ما كان له عليه السلام من شخصية عظيمة وفصاحة وبلاغة، وذكاء نفاذ، فقد أثرت هذه المواصفات وغيرها في تنشيط الخطابة، وكونها بطلًا بين الأجناس الأدبية. وعلى ذلك فقد أرسى ﷺ للخطابة أصولًا ومبادئ لا مفرّ لها لأي خطيب برز بعده، وصار خلافها عيبًا دينيًا أو أدبيًا على السواء.

وفي التالي أتناول بعض تلك المبادئ التي رسخها لنا رسولنا ﷺ والتي اتصفت بها خطبه ﷺ:

---

[75] أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 24

1. **الافتتاح وبراعة الاستهلال والبداية المثيرة للانتباه:** إن أهمّ أساليب الإقناع المقدمة، ولها أثر فعّال في جذب انتباه السامعين واستمالتهم، وحملهم على ما يريد منه الخطيب.[76]

كان خطباء الجاهلية يبدأون بالموضوع مباشرة، مجرّدًا عن المقدمة أو عن التمهيد، وكانوا يستعملون دائمًا: "أيها الناس" أو "أيها الملك" أو "يا معشر" أو مثل هذه العبارات. والخطيب المشهور في الجاهلية قسّ بن ساعدة الإيادي كان افتتح هكذا في هذه الخطبة: "أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات ----"[77] وقال هانئ بن قبيصة الشيباني: "يا معشر بكر: هالك معذور خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر ---".[78]

بعد مجيء الإسلام، فتح لنا النبي ﷺ بابًا جديدًا في افتتاح الخطب، وسنّ لنا سنة فيها ما زال المسلمون يتبعونها ولن يزالوا. فأضاف إلى بداية الخطابة كلمة التمجيد والتحميد لله والثناء عليه ما هو أهله والتسليم والصلاة على النبي ﷺ.

كما يقول ابن قتيبة: "تتبعت خطب الرسول ﷺ ووجدت أوائل أكثرها: "الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادئ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله".[79]

وكذلك لو تتبعنا بدايات خطب النبي ﷺ لودناها مثيرة للانتباه بدءًا بخطبة الصفا حيث صعد الصفا ثم قال: "يا صباحاه"[80] وفي خطبة أول جمعة البدء بالحمد والثناء على الله بما هو أهله في أول خطاب يوجّه لجماعة المسلمين التي قامت في المدينة أمة من دون الناس، ويوم فتح مكة بدأ الرسول ﷺ خطبته بقوله ﷺ: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلّط عليها رسوله والمؤمنين فإنها لا تحل لأحد كان قبلي وإنها أحلّت لي ساعة من نهار وإنها لا تحلّ لأحد بعدي ---)[81] وفي خطبة حجة

---

[76] الجوانب الإعلامية في خطب الرسول، ص 114

[77] جمهرة خطب العرب، 38/1

[78] البيان والتبيين، 161/3

[79] جمهرة خطب العرب، 37/1

[80] عيون الأخبار، 231/2

[81] البخاري، رقم الحديث: 1355

الوداع قال: (أتدرون أي يوم هذا وأي شهر هذا وأي بلد هذا قالوا هذا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام ---)[82]

فالتزم الخطباء في صدر الإسلام أن يفتتحوا خطبتهم بما افتتح به نبيهم ﷺ حتى سمّيت الخطبة التي لم تبتدئ بالتحميد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ بـ(البتراء) كما يقول الجاحظ: "وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمّون الخطبة التي لم تبتدئ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد: "البتراء".[83]

2. **الاقتباس من القرآن:** تعدّ خطب النبي ﷺ المثل الأعلى والنموذج الإسلامي لما كانت تتضمنه من الفصاحة العظمى والبيان الرفيع والحكمة والموعظة الحسنة وجوامع الكلم وبدائع الحكم.

القرآن الكريم هو المصدر الفني للأدب النبوي من أوله إلى آخره، وذلك لأنه ﷺ كان مهبط الوحي، وتلقّى القرآن نجمًا نجمًا طول حياته النبوية أي لمدة 23 سنة، فكان النبي ﷺ أول قارئ، وأول حافظ، وأول مؤمن به. كان ﷺ يذكر الله قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه، ويفكّر في كلامه طوال الليل والنهار، حتى أصبح القرآن جزءًا لازمًا من حياته وهذا ما جعل عائشة رضي الله عنها تصف خلقه ﷺ: (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)[84]

لقد أثر القرآن الكريم في خطبه تأثيرًا كبيرًا، وهذا من شدة تأثره ﷺ بالقرآن أن يشوّق الآخرين إليه، ويشجّعهم على قراءته، واختياره على ما سواه من أحاديث الناس، فيقول ﷺ في إحدى خطبه بعد الحمد والثناء: (إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زيّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أصدق الحديث وأبلغه، أحبّوا من أحبّ الله وأحبّوا الله من كل قلوبهم، ولا تملّوا كلام الله وذكره، ولا تقسوا عليه قلوبكم، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ---)[85]

---

[82] سنن ابن ماجه، رقم الحديث: 3048

[83] البيان والتبيين، 6/2

[84] مسلم، رقم الحديث: 743

[85] جمهرة خطب العرب، 152/1

فنجد أيضًا للقرآن أثرًا واضحًا في معاني خطبه، إذ يقول في خطبة حجة الوداع: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم هيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان برّ تقي كريم على الله وفاجر شقي هيّن على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب ---)[86]

نجد هذا الكلام في آية القرآن (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[87]

ومن مثل هذه الأمثلة قوله في إحدى خطبه: (إن لهن (أي لنسائكم) عليكم حق ولكم عليهم حق)[88] ونفس الكلام موجود في هذه الآية القرآنية: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)[89]

فاتبع الخطباء المسلمون نبيهم ﷺ وأخذوا ينهجون نهج القرآن في الاستدلال، إذ مزايا الخطبة أن تكون مشتملة على شيء من القرآن الكريم، حتى كان فيهم من جعل خطبته برمتها مجموع آيات من القرآن[90] كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وأراد أن يحرض أهله على الطاعة لأخيه عبد الله، فصعد المنبر وقال: "بسم الله الرحمن الرحيم. طسم. تلك آيات الكتاب المبين. نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون. إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعًا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبنائهم ويستحيي نسائهم إنه كان من المفسدين. (وأشار بيده نحو الشام) ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (وأشار بيده نحو الحجاز) ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون"[91] (وأشار بيده نحو العراق)[92]

---

[86] الترمذي، رقم الحديث: 3193

[87] سورة الحجرات: 13

[88] مسند أحمد، رقم الحديث: 20714

[89] سورة البقرة: 187

[90] تاريخ آداب اللغة العربية (جرجي زيدان)، 188/1

[91] سورة القصص: 1-6

[92] البيان والتبيين، 361/1-362

وقد بلغ تأثير القرآن في الناس إلى حد أن الاقتباس منه أصبح معيار قيمة الخطبة، وتجرّد الخطبة عنه أو خلوّها منه صار عيبًا شنيعًا، لذا كان العرب يسمعون الخطبة التي لم تتزيّن بالقرآن ولم يتحلّ بالصلاة على النبي ﷺ بالشوهاء.[93]

3. **الخطابة الدينية:** كانت الخطابة في العصر الجاهلي تدور حول موضوعات قليلة مثل المنافرة والمفاخرة والنصح والإرشاد وغيرها- كما مرّ- وتكاد تخلو من الخطابة الدينية تقريبًا.

فالنبي عرّف الخطابة العربية بصنف جديد للخطابة وهو الخطابة الدينية، ووسّع آفاقه، وطوّره تطوريرًا فهو الذي رسمها وفجر ينابيعها بحيث أصبحت مادة الخطباء من بعده.[94]

ولأن نعرف ما قدّم للخطابة الدينية من تطوير الموضوعات، سأتكلم حول هذا في (التنويع في الموضوعات).

4. **التنويع في الموضوعات:** لقد نوّع النبي ﷺ في موضوعات الخطب الجاهلية. فخطب الرسول ﷺ تختلف موضوعاتها عن موضوعات الخطب الجاهلية. كان العرب يستخدمون الخطابة في موضوعات، مثل: المنافرة، والمفاخرة، والنصح، والإرشاد، والحث على قتال الأعداء، والدعوة إلى السلم، وحقن الدماء، وفي المناسبات المختلفة كالزواج والإصهار.[95]

أما موضوعات خطب الرسول ﷺ فتتناول موضوعات عديدة ولا شك أنها تلتقي على غاية واحدة، وهي بيان حقيقة الإسلام وتربية المسلمين من جميع النواحي، ويمكن بيانها بأنها كانت تدور حول الموضوعات التالية:

أ- **تثبيت رسالته ونبوته:** هذا موضوع واجهه كل نبي بعثه الله إلى قومه، لأن الأقوام تشكّ في أول الأمر في كون النبي نبيًا، وهذا ما حدث لنبينا ﷺ فهو بعد ما أمره الله عز وجل بإنذار عشيرته بقوله: (وأنذر عشيرتك الأقربين)[96] يلقي هذه الخطبة الأولى "يا بني فلان يا بني فلان

---

[93] المصدر نفسه، 215/1

[94] العصر الإسلامي (شوقي ضيف)، ص 121

[95] الفن ومذاهبه، ص 27

[96] سورة الشعراء: 214

يا بني فلان --- يا بني عبد المطلب أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ قالوا ما جرّبنا عليك كذبًا قال فإني نذير لكم بين يدي عقاب شديد".[97]

ب- **التوحيد:** التوحيد هو أساس الدين الإسلامي ومحور الرسالة المحمدية، بل هو أساس الرسالات السابقة كلها. كانت قريش لا تنكر عبادة الله كقرون أولى، وإنما كانت تعبد معه إلهًا غيره لتقربهم إلى الله زلفى.[98] فأمر الله نبيه ﷺ بإخراج الناس كافة من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، فحرص النبي ﷺ على ذلك. فكان يخطب بين مشركي العرب من قريش وغيرهم ويدعوهم إلى وحدانية الله، ومن خطبه: "اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئًا يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئًا ---"[99] وكان يقول في خطبه: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله".[100]

ت- **التقوى:** إن للتقوى أهمية كبيرة، ولا أحد ينكر تلك لذلك يهتم به جميع المسلمين وقد ورد في القرآن والحديث متون كثيرة، فمن الطبيعي أن يجعله رسول الله نكم من الله شيئًا --- موضوعًا من أهم موضوعات دعوته.

هذا كان نموذجًا ما تناوله من موضوعات في خطبه، وإذا تتبعنا خطبه وجدناها متنوعة جدًا، فنتاولها بعضها بالتفصيل ونكتفي بذكر أسماء بعضها: كالجهاد في سبيل الله، وذكر الموت والحث على الإعداد للآخرة، وذكر كتاب الله، وبيان تشريعات الإسلام، وغيرها من الموضوعات.

5. القناعة بما يدعو إليه والمسؤولية الذاتية:

إن الأخلاق السامية والطباع الكريمة هي التي تعيّن للإنسان سيرة مثالية، وتخطّط له معالم حياته، والرسول ﷺ- وهو خير أسوة وأول نموذج لكل من يقوم بعملية الاتصال في الإعلام الإسلامي- رضي

---

[97] مسلم، رقم الحديث: 307

[98] سورة الزمر: 3

[99] البخاري، رقم الحديث: 4398

[100] البخاري، رقم الحديث: 442

الله عنه بخلقه ﷺ وجعله لنا قدوة، وامتدحه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم)[101] وقال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[102] وفي رواية: (مكارم الأخلاق)[103]

لذا نرى أنه ﷺ لما ادّعى النبوة لم يجرؤ أحد من الكفار أن يتهمه بالكذب والخيانة، كما جاء في القرآن الكريم: (فإنهم لا يكذبونك)[104] مع شدة مخالفتهم له وحرصهم على معارضته، وإنما لجأوا إلى حيل أخرى ككونه مجنونًا أو شاعرًا وغيرهما (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)[105]

وخير شاهد على صدق النبي ﷺ وأمانته خطبة الصفا، لما خاطب ﷺ قومه وقال: (لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ قالوا: ما جرّبنا عليك كذبًا)[106] ولم يكذبوه.[107]

كما يجب أن يكون الخطيب على قاعة تامة بما يدعو إليه، حتى يستطيع أن يقنع المسلمين ويؤثر فيهم.

ويظهر لنا شدة ثقة النبي ﷺ بدعوته في حين لما أطعمه الكفار في مكة بكل ما لديهم من السيادة والأموال حتى يتمكنوا منه أن يتنازل عن رأيه، لكن لم يستطيعوا ذلك.[108]

وكذلك نرى النبي ﷺ أنه لما رأى الضعف في عمه أبي طالب عن حمايته، قال له: (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)[109]

فهذا الجواب كان نتيجة عن شدة تأثره بدعوته، ويقينه في ربه، واعتماده على نصرته. وهذا ما أدّى إلى شدة تأثيره في السامعين، وإيقانه إياهم بدعوته، وتثبيتهم على الدين الجديد.

---

[101] سورة القلم: 4

[102] مسند أحمد، رقم الحديث: 8939

[103] المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث: 4221

[104] سورة الأنعام: 33

[105] سورة الصافات: 36

[106] صحيح مسلم، رقم الحديث: 307

[107] الجوانب الإعلامية في خطب الرسول، ص 123

[108] سيرة ابن هشام، 130/2

[109] المصدر نفسه، 101/2

ومن أمثلة شدة تأثيره في السامعين، اعتراف المشركين أنفسهم أنه لم يؤمن أحد بهذا الدين (أي الإسلام) ثم فارقه. فنرى الحوار الذي بين قيصر وأبي سفيان، وأحد الأسئلة التي سألها قيصر: (أخبرني عن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه؟) فأجاب أبو سفيان: ما صحبه رجل ففارقه.[110]

وكذلك يجب التوافق بين عمل الخطيب وقوله، إذ الناس يشاهدون عمل الخطيب بدقة النظر، فامتثال الخطيب بأحكام الإسلام أدعى أن يجعل كلامه مقبولًا عند الناس، وإلا لا يثقون بكلامه.

كما ورد الذم في القرآن عمن يأمر الآخرين بعمل لا يأتيه، وينهى عن عمل ويأتي مثله. قال تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)[111] وقال أيضًا: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)[112]

فالخطيب الذي يدعو الناس بالقول والعمل، يصير مؤثرًا أشد التأثير، تجتمع حوله الأفئدة وتحوم حوله النفوس. فيبين لنا رسول الله ﷺ حال من خالف قوله فعله في صورة مخيفة رهيبة: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه)[113]

كما كان النبي ﷺ يستفتح خطبه بالتحميد والتمجيد كذلك كان يختتمها إما بدعاء كخطبته التي ألقاها عن الأنصار وقال في الأخير (اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)[114] أو بسلام كخطبة حجة الوداع التي ختمها بـ(والسلام عليكم ورحمة الله)[115] أو يقول: "أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم".

---

[110] سيرة ابن كثير، 494/3

[111] سورة البقرة: 44

[112] سورة الصف: 2-3

[113] صحيح مسلم، رقم الحديث: 2989

[114] مسند أحمد، رقم الحديث: 11748

[115] العقد الفريد، 413/2

لقد وضع النبي ﷺ هذا الشكل الجديد للخطابة وطبقها مدة طويلة، واتبعه أصحابه- رضي الله عنهم- الذين كانوا يتبعونه في كل شيء، فقلّد الخطباء والعلماء والدعاة بعد عصر صدر الإسلام هذه العادة في خطبهم حتى اليوم.

تعيين الأوقات:

كانت الخطابة في العصر الجاهلي محدودة الاستعمال. وكان استعمالها ينحصر فيما يواجهه العرب من الحروب والمنافرات وغيرهما من الأحوال.

ولما جاء الإسلام ازدهرت الخطابة ازدهارًا عظيمًا، ولهذا الازدهار أسباب منها أن الخطابة لم تكن جزءًا من حياة العرب، وإنما الشعر يحلّ هذه المنزلة. أما الخطابة فقد كانت وسيلة دفع بعض الحوائج التي سبق ذكرها.

فاهتم الإسلام بالخطابة ورفع منزلتها وجعلها جزءًا لازمًا من حياة المسلمين. وقرّر العرب خطبًا أسبوعية كخطب الجمعة وخطبًا سنوية كخطب الأعياد ومواسم الحج.

ففي صلاة الجمعة يجتمع المسلمون في المساجد ويقوم الخطباء قبل الصلاة بإلقاء خطبتين؛ الأولى قصيرة وتتضمن تلاوة آي من القرآن الكريم والتوجيه إلى الله تعالى بالأدعية، فيما تكون الثانية طويلة يتناول فيها الخطيب قضايا تمسّ حياة المسلمين السياسية والاجتماعية والدينية والخلقية.

وكذلك خطب الأعياد ومواسم الحج ---

ومن الواضح أن ذلك يساعد كثيرًا على ازدهار فن الخطابة ويسهم إسهامًا كثيرًا في توسيع ميادينه.[116]

تأثير الحديث في لغة الخطابة:

إن لهذا الأثر ناحيتين:

أ- إن الحديث أضاف إلى اللغة ثروة من المعاني، والأساليب، التي كانت تعدّ من النبي ﷺ ابتداعًا وابتكارًا مثل قوله: "حمي الوطيس"[117] ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: "المضعف

---

[116] الأدب العربي (من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي)، ص 331

[117] صحيح مسلم، رقم الحديث: 1775

أمير القوم"[118] وقوله: "مات حتف أنفه"[119] وقوله: "هدنة على دجن"[120] وقوله: "لا ينتطح عنزان"[121] وقوله لمن ساق إبلًا بعنف، وعليها نساء وقوله: "رويدك رفقًا بالقوارير".[122]

ب- ولأن الحديث هذّب اللغة تهذيبًا قريبًا من تهذيب القرآن الكريم إذ سهّل ألفاظها ورقّق أساليبها وذهب بالحوشي منها، فكان لكل هذا أثره في الخطابة لأنها شعبة الأدب الأولى في ذلك العصر، بل أعظم شعبه وأظهر مظاهره.[123]

ترطيب الخطيب لسانه بأحاديثه ﷺ والاستشهاد بها:

إن كثيرًا من الخطباء كانت ترطب ألسنتهم في خطبهم بشيء مما أثر عن الرسول ﷺ تيمنًا بقوله، واستراوحًا للسامعين وليكسبوا كلامهم روعة، وليستشهدوا بكلام الرسول ﷺ على صحة ما يدعون، وإذا علمت أن أكثر الخطب في ذلك العصر، كانت تدور على مبادئ الدين قوامها، علمت مقدار عنايتهم برواية أحاديث رسول الله ﷺ، والاستشهاد بها في خطبهم، فإن الحديث إذا صحّ عندهم كان فيه فصل الخطاب، واعتقدوا أن الخطيب بروايته يصيب محض الصواب.[124]

اللين والرفق:

من الصفات التي يجب على الخطيب أن يتحلى بها اللين والرفق مع مخاطبيه، لأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، فأسلوب الرفق واللطف أدعى إلى استمالة السامعين وإقناعهم، أما أسلوب الشدة والعنف والغلظة فلا جدوى له في الواقع، وهذا ما يأمر الله به نبيه محمدا ﷺ بقول: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاروهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).[125]

---

[118] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 110/2

[119] المستدرك على الصحيحين، 182/2

[120] سنن أبي داؤود، رقم الحديث: 4244

[121] كنز العمال، 682/12

[122] النهاية في غريب الحديث، 659/2

[123] الخطابة، أصولها وتاريخها، ص 263

[124] المصدر نفسه

[125] سورة آل عمران: 159

وقال جل وعلا أيضًا: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)[126]

والرسول ﷺ يقول: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)[127] ويقول: (المؤمن مألفة ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)[128]

فتؤكد الآيات والأحاديث أن أسلوب الفظاظة والخشونة سبب لإعراض الناس وتوحشهم، وأسلوب اللين والتودد سبب المحبة والأنس والألفة، لأن الناس ينفرون بطبائعهم من الفظاظة والخشونة والعنف ويألفون الرقة واللين والرفق.[129]

تطويل الخطبة وتقصيرها:

إن مسألة تطويل الخطبة وتقصيرها مسألة نسبية، تتوقف على أحوال السامعين وظروفهم، فالخطيب الماهر هو الذي يعيّن مقدار الخطبة من حيث الطول والقصر، ملاحظًا أحوالهم وظروفهم.[130]

فإذا رأى الخطيب من المخاطبين إدبارًا وأعراضًا، أو وجد جمهورهم من البسطاء والعوام الذين لا يستطيعون متابعة الخطيب ذهنيًا فينبغي له الاجتناب عن الإطالة.[131]

وهذا ما نجد في أحاديث الرسول ﷺ:

(عن أبي وائل قال: خطبنا عمّار فأوجز وأبلغ فلما نزل قلنا يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنّة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرًا)[132]

---

[126] سورة الأعراف: 199

[127] صحيح مسلم، رقم الحديث: 2594

[128] مسند أحمد، رقم الحديث: 22891

[129] خمسون وصية ووصية لتكون خطيبًا ناجحًا، ص 7

[130] خصائص الخطبة والخطيب، ص 164

[131] مرشد الخطيب، ص 49

[132] صحيح مسلم، رقم الحديث: 869

(وكان عبد الله بن مسعود يذكّر الناس في كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكّرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم، وإني أخوّلكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخوّلنا بها مخافة السآمة علينا)[133]

لذا نرى أن خطب الرسول ﷺ لم تكن جميعها على نسق واحد من حيث طولها أو قصرها، فثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقرأ سورة ق كل يوم الجمعة على المنبر إذا خطب الناس[134] ولا ريب في أن قراءة سورة ق التي تعدّ خمسًا وأربعين آية، تحتاج بقراءة رسول الله ﷺ وفق أحكام التجويد والتلاوة إلى مدة لا بأس بها من الزمن تضمّ إلى سائر مدة الخطبة.[135]

هذا ما يشير إليه الجاحظ: "واستعمل (النبي ﷺ) المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر".[136]

التكرار وحسن البيان:

التكرار نوعان: تكرار ممدوح وتكرار مذموم.

فالتكرار المذموم ما يكون بتكرار الكلمات أو إعادة العبارات نفسها. وهذا النوع يملّ الإنسان ويصيبه الضجر.

أما التكرار الممدوح فلا يكون بتكرار جمل معينة حرفًا بحرف، وإنما يكون بالأسس التي يعرض الخطيب من خلالها مضمون الخطبة. وفائدة هذا الأسلوب الإيضاح والتأكيد. وتزداد قيمته إذا كان مختلف الأشكال متنوع الصور.

يقول صاحب الكشاف في أهمية التكرار عند تفسير قوله تعالى: (المثاني):

"هذا بيان كونه متشابهًا لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة، والمثاني جمع مثنى بمعنى مردود ومكرّر لما ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه ---

---

[133] صحيح البخاري، رقم الحديث: 70

[134] صحيح مسلم، رقم الحديث: 1442

[135] خصائص الخطبة والخطيب، ص 164-165

[136] البيان والتبيين، 221/1

ثم بيّن فائدة التكرار أن النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عودًا على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله.

ثم استدل- رحمه الله- بنصح النبي ﷺ ثلاث مرات وسبعًا، وبيّن سرّ هذا التكرار أنه كان لتركيز الوعظ في قلوب السامعين وغرسه في صدورهم.[137]

وحسن هذا النوع في كونه متجدد العبارات، متنوع الأساليب، أحيانًا بالاستفهام وأحيانًا بالتنبيه وأحيانًا بالتقرير وأحيانًا بالترغيب والترهيب وغيرها من الأساليب البلاغية.

فنرى أن النبي ﷺ كان يكرّر موضوعًا واحدًا خلال ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة وهو (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا).[138]

فهل كان عليه الصلاة والسلام يكرر هذه الجملة فقط طوال هذه المدة الطويلة؟ والجواب: لا. ومثل هذا التكرار آفة تمل الإنسان.

في القرآن الكريم الكثير من هذا النوع. ومن ذلك تقرير التوحيد وقصص الأنبياء وأحداث القيامة.

وهناك نوع آخر من التكرار وهو تكرار الكلمات الرئيسية أو الهامة: فإذا مرّ الخطيب بهذه الكلمات فله أن يكرّرها حتى تثبت في قلوب السامعين.[139]

ونجد هذا الأسلوب من التكرار في عدة مواضع: في سورة الرحمن وفي سورة القمر، وفي سورة المرسلات والقارعة.

أمثلة تطبيقية: قال الله تعالى: (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة)[140]

ومثاله من الحديث قوله ﷺ وهو على المنبر (أن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في ان ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني ويريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها)[141]

---

[137] تفسير الكشاف، 395/3

[138] مسند أحمد، رقم الحديث: 16066

[139] الجوانب الإعلامية في خطب الرسول، ص 120

[140] سورة القارعة: 1-3

[141] صحيح البخاري، رقم الحديث: 4932

فقوله (لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن) من التكرير الذي هو أشدّ موقعًا من الإيجاز لانصباب العناية إلى تأكيد القول في منع علي رضي الله عنه من التزوج بابنة أبي جهل بن هشام.[142]

وكذلك في حديث الرسول ﷺ (التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات)[143]، كما في حديث قال: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن). قيل ومن يا رسول الله؟ قال (الذي لا يأمن جاره بوائقه)[144]

فهذا التكرار له غرضه وفائدته كالتأكيد والتحذير والتهويل، فلا يعدّ عيبًا من عيوب الكلام.

والأمثلة الأخرى من التكرار في الحديث:

(عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: أنذرتكم النار أنذرتكم النار أنذرتكم النار حتى لو أن رجلًا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا، قال: وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه)[145]

(وعن محجن بن الأدرع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: (يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ ثلاثًا فقيل له: وما يوم الخلاص؟ قال: يجيء الدال فيصعد أحدًا فينظر المدينة فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض، هذا مسجد أحمد ثم يأتي المدينة، فيجد بكل نقب منها ملكًا مصلتًا، فيأتي سبخة الجرف فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فذلك يوم الخلاص)[146]

(عن أبي بكرة رضي الله عن قال: قال النبي ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئًا فقال: ألا وقول الزور. قال: فما زال يكرّرها حتى قلنا ليته سكت)[147]

---

[142] المثل السائر، 150/2

[143] صحيح مسلم، رقم الحديث: 2564

[144] صحيح البخاري، رقم الحديث: 5670

[145] مسند أحمد، رقم الحديث: 18422

[146] مسند أحمد، رقم الحديث: 18996

[147] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2511

تغيير نبرة الصوت: من أسباب ضعف التأثير، وتطرق الليل والسآمة إلى السامعين أن يتحدث الخطيب بطبقة رتيبة على وتيرة واحدة.[148] عندما يوطّن الخطيب نفسه كذلك فليبحث عن أي جملة مناسبة لتغيير من خلالها نبرة صوته بما يتوافق مع أسلوب الجملة.

التوقف قبل وبعد الأفكار المهمة:

الخطابة فن يستطيع به الإنسان طريقة إبلاغ أفكاره في أحسن صورة، ثم طريقة التأثير في سامعيه وحملهم على العمل بما يريد من خطبته.

ومن المميزات التي تجعل الخطيب ناجحًا، والخطبة مؤثرة، وقوف الخطيب بعد كل فكرة هامة، يريد تركيزها في أذهان المستمين، فعليه إذًا أن يصمت بعد كل فكرة مهمة مما يجعل السامعين متنبهين ومتوجهين إلى كل ما سيأتي بعد هذا الصمت المفاجئ.

إن دراسة خطب الرسول ﷺ تكشف أنه ﷺ كان يستخدم أسلوب الصمت المفاجئ وفي التالي أتناول بعض الأمثلة التطبيقية:

الأمثلة من الحديث: (عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: أتدرون أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه، فقال: أليس ذو الحجة؟ قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال: أليست بالبلدة الحرام؟ قلنا: بلى، قال فإن دمائكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم)[149]

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعيدك، ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل! قلت لبيك رسول الله وسعديك. قال هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا. ثم سار ساعة قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك.

---

[148] الخطابة وإعداد الخطيب، ص 43

[149] صحيح البخاري، رقم الحديث: 4144

قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذّبهم)[150]

فالتوقف إذا جاء على وجه دون تكلف وتصنع، يزيد الخطبة قوة وتأثيرًا. أما التكلف فهو يزري بالخطبة ويذهب بحسنها وجمالها.[151]

أسلوب الحواري: إشراك الجمهور في العملية الاتصالية:

هناك أساليب أخرى يجب أن يصطنعها الخطيب ليظفر باجتذاب انتباه السامعين، لأن الخطيب مهما كانت خطبته حسنة العبارات والأسلوب، إلى أن لم يستطع أن يشدّ انتباههم ويربطهم به، فلن يتابعوا أفكاره ويشاركوا معه في انفعالاته وعواطفه.

من هذه الأساليب أسلوب الحوار، وأثبتت الدراسات أنه أسلوب إعلامي رفيع المستوى، وله دور في جذب انتباه المخاطبين، ودفعهم إلى قبول الأفكار، واستثارة العقل والوجدان.

ولقد كشف التحليل الإعلامي لخطب النبي أن من أهم دلالات هذه الخطب استخدام الرسول ﷺ لأسلوب الحوار والإقناع المشترك في خطبة الصفا،[152] يقول ﷺ: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقيّ)[153]

وكذلك قوله في حجة الوداع: ألا هل بلّغت، قالوا: نعم، قال ﷺ: اللهم اشهد".[154]

الحركات والإشارات:

الحركات والإشارات جزء هامّ من حياة الإنسان، ولا يمكن له الاستغناء عنها، فإنه مهما كان هادئًا يحرّك إما يده أو رأسه أو منكبيه، أو عيونه أو حواجبه، وهي أداة من أدوات التعبير.[155]

وفي هذا يقول الجاحظ:

---

[150] صحيح مسلم، رقم الحديث: 30

[151] خمسون وصية ووصية لتكون خطيبًا ناجحًا، ص 10

[152] الجوانب الإعلامية في خطب الرسول، ص 114

[153] صحيح البخاري، رقم الحديث: 4397

[154] المصدر نفسه، رقم الحديث: 4141

[155] خصائص الخطبة والخطيب، ص 275

"وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة --- وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من حالات السكون والمكان والشكل والتفتل والتثني ---".[156]

الحركات والإشارات تتولد من انفعال الخطيب بما يقول ويلقي على السامعين، فالخطيب الذي يكون هادئًا أثناء إلقائه، فهو كأنه لم ينفعل بكلامه نفسه، فكيف يتوقع من خطبته أن ينفعل بها السامعون.[157]

أمثلة من الحديث:

عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته واشتدّ غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبّحكم ومسّاكم ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: أما بعد! فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلال ---".[158]

عن أنس بن مالك قال: صلّى لنا النبي ﷺ ثم رقي المنبر فأشار بيديه قبل قبلة المسجد ثم قال: "لقد رأيت الآن منذ صلّيت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين في قبلة هذا الجدار، فلم أر كاليوم في الخير والشر ثلاثًا رواه البخاري[159] عن أبي هريرة أنه قرأ (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) إلى قوله (سميعًا بصيرًا) قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه[160]

كما ينبغي للخطيب التجنب عن الإسراف في الحركات والإشارات حتى لا يكون موضع سخرة وهزء، لذا نرى أن الصحابة والتابعين يكرهون الإسراف فيها، ويعدّونه خروجًا عن سنة رسولنا ﷺ.

عن حصين بن عبد الرحمن أن عمارة بن رؤيبة رأى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال:: قبّح الله هاتين اليدين لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبّحة.[161]

---

[156] البيان والتبيين، 56/1

[157] مرشد الخطيب، ص 15

[158] صحيح مسلم، رقم الحديث: 716

[159] صحيح البخاري، رقم الحديث: 716

[160] سنن أبي داؤود، رقم الحديث: 4728

[161] سنن أبي داؤود، رقم الحديث: 1104

أسلوب تحويل الانتباه:

من أساليب الإقناع المهمة "أسلوب تحويل الانتباه" وهذا يعني انتباه السامعين من المشاكل والعوائق إلى الفرص. يستخدم هذا الأسلوب لتثبيت أقدام المخاطبين، ويمنعهم من الفشل وذهاب الريح.

وسيرة رسولنا ﷺ حافلة بهذا الأسلوب، فنجده ﷺ مثلًا في غزوة بدر يحوّل انتباه الصحابة من قلة قوة مادية إلى كثرة قوة معنوية كانوا يتمتعون بها، وهي كونهم على الحق في سبيل الله. فحوّل ﷺ انتباههم من قلة زادهم إلى كثرة فضل ربهم، ومن قهر الأعداء إلى غلبة الله، ومن متاع الدنيا إلى سعادة الآخرة، وحوّلهم من اللجوء إلى الأسلحة والتوكل عليها إلى ملجئ الله والتوكل عليه.[162]

أسلوب إحكام الاتصال والتزام بث الحقائق والبعد عن الهجاء الجاهلي:

لقد كان مجتمع العرب قبل الإسلام هو مجتمع المفاخرة والمنافرة بالحق أو بالباطل، وكان الشعر فيه للمدح والهجاء أكثر من الأعراض الأخرى، وعندما جاء الإسلام علّم الرسول ﷺ فن الاتصال بالناس، فبينما كانت المفاخرة والمنافرة في صفوف المشركين يوم بدر قد أخذت حيزًا كبيرًا من اتصالهم بالناس كان الرسول ﷺ أبعد الناس عن الهجاء السياسي وهو يقوم بالإعداد المعنوي لجند الإسلام في بدر، ويوم فتح مكة دخل الرسول ﷺ خاشعًا لله حامدًا شاكرًا لنعم ربه عليه، هذا الأسلوب هو غاية ما يطمح إليه رجال الإعلام والاتصال بالجماهير.[163]

---

[162] الجوانب الإعلامية في خطب الرسول، ص 120

[163] الجوانب الإعلامية في خطب الرسول، ص 121-122

الفصل الثاني

أثر الحديث النبوي في القصة العربية

مدخل:

عرف الإنسان القصة منذ القدم. ولا يوجد أدب من الآداب العالمية إلا وكان للقصة فيه وجود. فالأدب العربي، مثل الآداب العالمية، وجدت فيه القصة منذ زمن بعيد.

ثم القصة النبوية ﷺ موضوع مهم من موضوعات الأدب العربي، مع أن النبي ﷺ لم يعرض تلك القصص بمختلف أنواعها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة، وإنما الهدف الأساسي لسرد النبي ﷺ تلك القصص هو الدعوة والتبليغ، لأنه ﷺ من أجله بعث، ومن أجله اصطنع الأساليب الكثيرة.

سأتكلم في الفصل التالي عن القصة وعناصرها الفنية، وأنواعها وأهميتها عند العرب، ثم عن أغراض القصة النبوية ﷺ وأنواعها، وأثر الحديث فيها.

القصة وأثر الحديث فيها

قبل أن أقوم بدراسة القصة الحديثية يجدر بي أن أقف على جملة من الأمور، منها: تعريف كلمة "القصة" لغة واصطلاحًا وعناصرها وأنواعها وأهميتها ونشأتها عند العرب.

القصة لغة واصطلاحًا

القصة لغة:

إن مادة كلمة "القصة" (قصص) ولها عدة معانٍ منها: البيان كما جاء في القرآن الكريم: (نحن نقص عليك أحسن القصص)[164] ومنها تتبع الأثر شيئًا فشيئًا كقوله تعالى: (قالت لأخته قصّيه)[165] أي اتبعي أثره، وقيل للقاص يقص القصص لاتباعه خبرًا بعد خبر وسوقه الكلام سوقًا[166] ومنها الخبر وهو القصص والقصص الخبر المقصوص وسمّي الخبر الطويل قصصًا لأن بعضه يتبع بعضًا فيطول، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص.[167]

والقصة الأمر والحديث، أو هي: الخبر، وهو القصص، وقصّ على خبره يقصه قصًا وقصصًا: أورده، والقصص: الخبر المقصوص، وتقصص كلامه حفظه. وتقصص الخبر: تتبعه ---"[168]

وفي اللسان: "--- القاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ".[169]

ونلحظ مما سبق من هذه الدلالات اللغوية حول مادة (قص) أنها في الأصل تعني التتبع والاقتفاء، وهو معنى ملحوظ في القصة التي هي الجملة من الكلام المقصوص، والقصة تكتسب هذا الاسم من معنى فعل القاص حين يمارس عمله في قص الخبر فهو يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها.

القصة اصطلاحًا:

---

[164] سورة يوسف: 3
[165] سورة القصص: 11
[166] تهذيب اللغة، 256/8
[167] لسان العرب، 73/7-74
[168] المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، 65/5
[169] اللسان: مادة قصص

لقد عرّف بعض الأدباء المعاصرين القصة بأنها "حكاية حوادث وأعمال، وتصوير شخصيات بأسلوب مشوق ينتهي إلى غاية مرسومة وغرض مقصود".[170]

وعرّفها آخرون بأنها: "حكاية نثرية طويلة تستخدم من الخيال أو الواقع أو منهما معًا، وتبنى على قواعد معيّنة من الفن الكتابي".[171]

وقال بعض الآخرين: "القصة مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض. ويكون نصيبها في القصة متفاوتًا من حيث التأثر والتأثير".[172]

العناصر الفنية لبناء القصة الحديثة

هناك بعض الأصول تعتبر من القواعد الأساسية في بناء القصة الأدبية، ويجب على القاص أن يراعيها في قصته، والتي نسمّيها هنا عناصر القصة، وهي:

1. **الحديث أو الأحداث:** الحدث هو الموضوع الذي تدور حوله القصة، ويعدّ العنصر الرئيسي فيها، إذ يعتمد عليه في تنمية المواقف، وتحريك الشخصيات،[173] وبعث القوة والحركة والنشاط في القصة، وسوق الحوادث، الواحدة تلو الأخرى، حتى تؤدي إلى تلك النتيجة المريحة المقنعة، التي تطمئن إليها النفس، والتي تتفق مع منطق الكاتب، ونظرته الخاصة للحياة.[174]

---

[170] فن القصة، 7/1

[171] المعجم الوسيط، 746/2

[172] فن القصة، ص 9

[173] مجمع البحوث الإسلامية، 193/1/40

[174] فن القصة، ص 31

2. **الشخصيات:** لا بد للقصة من وجود الشخصيات فيها، لأن القارئ حينما يقرأ القصة، لا يعني بالحوادث إلا لأنها تلقي أضواء على مسارب شخصيته،[175] لأن الشخصية هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث.[176]

فعلى الكاتب أن يحسن رسم شخصيات القصة، لأن الذي يعلق بذهن القارئ بعد القراءة، هو ليس تطور الحوادث وتعقدها، بل الشخصية الإنسانية النابضة التي خلقها الكاتب.[177]

3. **الحبكة:** الحبكة هي بنية القصة، فإذا كانت الحكاية هي مادة القصة، فإن الحبكة هي نظام يشدّ أجزاء الحدث ويتولّى تركيبها وترتيبها في بناء متكامل.[178]

4. **البيئة:** ومن العناصر الأساسية لبناء القصة (بيئة القصة). هي التي تدور فيها الأحداث وتتحرك الشخصيات.[179] وهي حقيقة القصة الزمانية والمكانية، وتسمّى الجو أيضًا. وهي من أهمّ عناصر بناء القصة، لأن الحدث لا بد أن يقع في زمان ومكان. فالكاتب يستعين في رسم بيئة قصة، نفس الوسائل التي يستعين بها في سرد الحوادث أو رسم الشخصيات أي بالملاحظة والمشاهدة، أو من قراءاته الخاصة، أو ينسجها بخياله نسجًا، مسلطًا عليه قوة الاختراع والإبداع، معتمدًا على ما يلتقطه أثناء تجاربه في الحياة.[180]

5. **أسلوب القصة:** أسلوب القصة هو الطريقة التي يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه، لتحقيق أهدافه الفنية،[181] للأسلوب أنواع منها:

فالسرد: هو عملية نقل الأحداث والوقائع والمواقف من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية توردها وتمثلها لدى القارئ، بطريقة تجعله يتخيلها وكأنه يراها ويشاهدها، فيها حركة وفيها حياة. وللسرد عدة طرق: منها (السرد المباشر ومنها السرد الذاتي ومنها طريقة الوثائق).

---

[175] المصدر نفسه، ص 53

[176] القصة في القرآن، ص 194

[177] فن القصة، ص 53

[178] معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 72

[179] القصة في القرآن، ص 194

[180] فن القصة، ص 108

[181] المصدر نفسه، ص 112

والحوار: الحوار هو جزء هامّ من الأسلوب التعبيري، ومن أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات، ومن أهم مصادر المتعة في القصة، والتي تتصل بها شخصيات القصة بعضها ببعض.

إن الحوار يستعمل أحيانًا في تطوير الحوادث، واستحضار الحلقات المفقودة، ويستخدم هذا الأسلوب ليجعل القارئ أكثر قربًا من الحدث، لأنه أوثق صلة بالحياة، وأصدق تعبيرًا عن النفس الإنساني.[182]

ولكن مما يؤخذ على أسلوب الحوار استعمال اللهجة العامية، والتي تؤدي إلى البلبلة وسوء الفهم.[183]

أما الوصف: فإنه أسلوب يتخلل العمل القصصي كله، ويمهّد به الكاتب لعبارات المتحاورين، وقد يستخدمه الكاتب غير مرتبط بالحدث، أو بالحوار ليصرّف به أحداث القصة، وهو يؤدي في القصة وظيفة فنية خاصة وهو يمثّل الجو النفسي الذي تجري فيه أحداث القصة.[184]

6. **الفكرة:** المراد من الفكرة: هو الفكر الذي يسود القصة، وما يدور حوله الحكاية والأحداث. فيجب أن لا تكون الفكرة المعالجة مصوغة في قالب وعظي أو على هيئة حكمة وألا يظهر فيها التحبيذ أو النهي عن شيء. بل يجب أن تكون الحكمة أو الموعظة مطوية في غضون الحوادث، خالصة إلى القارئ دون ظاهرة من المؤلف وأن يكون التحبيذ أو النهي كامنًا في أعطاف السرد غير ملموس بالكلام المكشوف.[185]

---

[182] المصدر نفسه، 117-118

[183] المصدر نفسه، 120-122

[184] المصدر نفسه، ص 149

[185] عن اللغة والأدب والنقد، ص 393-394

القصص والعرب

عرف الإنسان الحكاية منذ القدم. ولا يوجد أدب من الآداب العالمية إلا وكان للقصة فيه وجود، ولكن هذا الوجود كان يختلف من أدب إلى آخر. والأدب العربي مثل الآداب العالمية.

عرف العرب القصة منذ أقدم العصور، وتراثهم حافل بالأشكال القصصية المختلفة التي تدل بشكل جازم على فطرة تنشئ القصة وتتذوقها.[186]

وقد شهد لذلك بعض المستشرقين من مثل كارل بروكلمان حيث قال:

"لم يكن الشاعر وحده هو الذي تهفو إليه الأعين عند عرب الجاهلية، بل كان القاص يقوم أيضًا مقامًا هامًا إلى جانب الشاعر في سمر الليل، بين مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة، وفي مجالس أهل القرى والحضر، وليس هناك بطبيعة الحال تسجيلات معاصرة لهذه القصص".[187]

---

[186] القصص في الحديث النبوي، ص 33

[187] تاريخ الأدب العربي، 128/1

كما يقول المستشرق نللينو إلى مثل ما ذهب إليه بروكلمان فأقرّ بأن عرب الجاهلية كان لهم تراثهم القصصي المتعلق بأنسابهم وغزواتهم وأيامهم، وذكر أن العرب كانوا يسردون قصصهم في المواسم والأسمار ---".[188]

فهناك بعض المستشرقين يرون أن الأدب العربي القديم كان فقيرًا من الناحية القصصية إلى حد كبير، وأن العرب لم يعرفوا القصة ولم يمارسوها في ماضيهم، مثل المستشرق الفرنسي أرنست رينان وغيره كما قال بلاشير:

"تجدر الإشارة من جهة أخرى إلى أن الانتحال لا يبقى محصورًا في الشعر بل يتناول النثر، حتى لتستطيع الجزم أنه ليس لدينا باستثناء القرآن سطر واحد من النثر، يرجع تاريخه إلى هذا العهد".[189]

لكن النظر الدقيق يرجح كفة بروكلمان ونللينو للأمور التالية:

1. القصة ظاهرة إنسانية عرفتها الشعوب القديمة، والعرب من هذه الشعوب الموغلة في القدم، فلماذا يعرفها جيران العرب، ويجهلها العرب؟
2. نصّ القرآن الكريم في مواضع كثيرة على شيوع القصص بين الناس، وأشار إلى أن قصص الأنبياء كانت معروفة على نحو ما، فجاءهم القرآن الكريم بالوجوه الصحيحة لهذه القصص، ولأخبار الصالحين ----.
3. في الأدب الموروث عن العصر الجاهلي قصص كثيرة، ولا موضع للخلاف في صحة هذه القصص، بل الخلاف في الزمان الذي تنتمي إليه. ولا يضيرها عزوها إلى الطور الثالث من تاريخ العرب، وهذا الطور- على تأخر العهد به-جاهلي لا إسلامي، وهو طور العرب المستعربة، وهم الذين يسمّيهم بعض المؤرخين: العدنانيين أو الإسماعيليين. والقصص التي تحدرت إلينا من هذه الفترة أخلاط من قصص الملوك والرحلات والحروب والأساطير، وأخبار المجّان، والنوادر والخرافات.

---

[188] الأدب الجاهلي، ص 702-703

[189] الأدب الجاهلي، ص 703

4. الشك في حفاظها على بنائها الفني الذي سبق الطور الثالث لا يلغيها، وإذا صحّ أنه أصابها تغيير فهذا التغيير لم يخرجها عن أصالتها وانتمائها إلى عرب الجاهلية. وهب التحريف أصابها في عصر صدر الإسلام فأصلها ثابت، وعزوها إلى العصر الجاهلي حق لأبناء ذلك العصر.

5. ذكرت كتب الأدب أن نفرًا من القصاصين الجاهليين المشهورين قد أدركوا الإسلام، فكيف ننكر على العصر الجاهلي الذي أنبتهم فن القصة، وبضاعتهم كلها منه؟ وأشهرهم: النضر بن الحارث وتميم الدارمي والأسود بن سريع.

6. قد تضعف الرواية المحفوظة في الصدور ثقة القارئ في انتماء النصوص كلها إلى الجاهلية الأولى، لكنها لا تضعف انتماء القصة كاملة إلى العصر الجاهلي المتأخر. لأن طائفة كبيرة من هذه القصص تتصل بأيام العرب وأنسابهم، والعرب حراص على مفاخرهم لا يفرطون فيها، والرواة الذين نقلوها ثقات لو يوصفوا بالانتحال والوضع والتزيد.

7. إن عصر التأليف في هذا اللون من الأدب هو عصر التأليف في الألوان الأخرى، وهو- وإن تأخر بضع سنين- فتأخره لا يشكك في صحة التراث القصصي. ذكر بروكلمان أن أول من ألّف في هذا الفن أبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بأبي العيناء إذ صنّف كتابًا في قصص الحمقى وأقوالهم وأفعالهم. ثم أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري إذ صنّف كتابًا فيه مجموعة من قصص وحكايات ونوادر طريفة، وكتابًا آخر هو كتاب "المجالسة وجواهر العلم" وفيه قصص وأحاديث. ويمكن أن نلحق بهذه الكتب كتاب "الأوراق" لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي فإن فيه قصصًا لم تعز إلى أصحابها، لكنها أصابت حظًا من الفن القصصي غير يسري.[190]

8. الدليل اللغوي: وإذا نظرنا في اللغة العربية من أجل أن نستعين الصلة بين العرب وعنصر القصة من خلال ظاهرة اللغة نجد مجموعة من الألفاظ التي تدل بوضوح على رسوخ العنصر القصصي كلون من ألوان التعبير الأدبي منذ العصر الجاهلي في المجتمع العربي. وهذه الألفاظ منوعة بحيث تعطي دلالة على تنوع الآثار القصصية تنوعًا يلائم الباعث للأثر

[190] المصدر نفسه، ص 703-705

القصصي من ناحية ويلائم وظيفته التي يراد له أن يحققها من ناحية ثانية، كما تؤكد لنا هذه الألفاظ أن العقلية العربية كان لها علم ما بالإبلاغ القصصي بوجه عام.

نجد من هذه المصطلحات "الحكاية" وهي تحمل معنى التقليد والمحاكاة، فالحكاية مرتبطة بمحاكاة الواقع، وكأنما المتحدث بها يتحرى أن يصور الواقع الذي حدث ويحاكيه في حديثه.

وهناك أيضًا "الرواية" وهي نقل الخبر أو الحديث من شخص إلى آخر، وكذلك "المقامة" وهي في الأصل من المقام وهو المكان الذي يقوم فيه المتحدث إلى القوم، كما يطلق أيضًا على القوم المجتمعين في المكان الذي هو بمثابة المنتدى، يستمع فيه القوم من أحدهم إلى سرد الأحاديث والأخبار، وقد قال زهير:

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل[191]

وفي معنى الجماعة أيضًا قال لبيد:

ومقامة غلب الرقاب كأنهم جنّ لدى باب الحصير قيام[192]

وقد تطوّرت المقامة من خلال هذا المعنى إلى أن أصبحت فنًا معروفًا له شخصيته الأدبية على يد بديع الزمان الهمذاني والحريري فيما بعد.

وهناك "السمر" وهو يطلق على الحديث بالليل،[193] ثم صار يراد بـ"السمر" ذلك الحديث الذي يتناول في تلك المجالس الليلية، وقد ضاقت الدلالة شيئًا فشيئًا حتى صارت تعني ضربًا من الحكايات والقصص المتميزة بنوع من السرد القصصي والتي يراد منها تزجية الفراغ في الليالي المقمرة وقد اجتمع القوم للحديث والاستمتاع.

كما نجد أيضًا "الخرافة" وهي حديث مستملح كذب من بني عذرة أو من جهينة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس فكذّبوه فجرى على ألسن الناس.[194]

---

[191] ديوان زهير، ص 35

[192] ديوان لبيد، ص 10

[193] اللسان: مادة سمر

[194] اللسان، مادة: خرف

وكذلك "الأسطورة" تعني الحديث الباطل الكاذب وجمعها الأساطير أي الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها[195] كما نجد "الأمثال المبنية على الحوادث" كقول العرب: "وافق شنّ طبقة"[196] و"قطعت جهيزة قول كل خطيب"[197] و"الصيف ضيّعت اللبن"[198]

لكن أشهر الألفاظ في اللغة التي تدل على شكل التعبير القصصي وأكثرها صراحة في ذلك هو لفظ "القصة" التي قد تناولها بالتفصيل.[199]

القول الوسط: فما سبيل التوفيق إذن بين هاتين الفئتين؟ خير ما قيل في هذا هو أن الذي لم يعرفه العرب هي القصة في ثوبها الجديد وبقواعدها وأصولها الفنية المعروفة الآن. وعرفوا القصة الحديثية الفنية إلا في العصور الحديثة.[200]

أنواع القصة

1. **الفابليو:** (أي الخرافة الصغيرة) وهي حكايات شعبية انتشرت من نصف القرن الحادي عشر إلى أوائل القرن الحادي عشر الميلادي. وكانت في سماتها وميزاتها قريبة إلى الملهاة.[201] وكانت فيها بعض الصيغ الخلقية أو الاجتماعية أو الواقعية أو النقدية أو اليومية، التي يقاسيها جمهور من الناس.

---

[195] تهذيب اللغة، 351/7

[196] مجمع الأمثال، 359/2

[197] المستقصي في أمثال العرب، 197/2

[198] القصص في الحديث النبوي، ص 38

[199] المصدر نفسه، ص 74

[200] المصدر نفسه

[201] المعجم الوسيط: مادة لهو

2. **قصص الحرب والفروسية:** هذا النوع من القصص يدور حول المرأة التي يحبّها الرجل، وهي قصص يمتزج فيها حسّ الفروسية بحسّ الحبّ. وللعرب في هذا النوع دور بارز، لأنهم تلقوا هذه الظاهرة الفنية والإشعاع من خلالها على العصور الوسطى.

مع أن اليونان عرفوا الحب وكانت في فلسفة أفلاطون مساحة ذات أهمية كبيرة، إلا أن العرب أعطوا للحب نوعًا من الأهمية بحيث أنزلوا من سماء التجريد إلى أرض الواضع.

كان الحب قبل ذلك غير مقتصر على المرأة، فألزمه العرب بها، وخلطوا حسّ الحب بحس الفروسية كأنه سبب لحب الجميلات، واهتموا بهذا النوع اهتمامًا كبيرًا، ولا مثال له في الآداب الأوربية.[202]

وفي عصر النهضة الكلاسيكية ظهر نوعان من القصص:

3. **قصص الرعاة:** وهي قصص أقرب إلى واقع الحياة بالنسبة إلى قصص الحب والفروسية. فالحوادي فيها ذات صبغة إنسانية، وأبطالها دائمًا من الطبقة الأرستقراطية. وقد نشأ هذا النوع على التوالي في الأدب الإيطالي أولًا، ثم في الأدب الإسباني ثانيًا، ثم في الأدب الفرنسي ثالثًا.

4. **قصص الشطار:** برز هذا النوع من القصص في أوربا أثناء القرنين السادس والسابع للميلاد، وظهرت في بادئ الأمر في أسبانيا، نتيجة عن التأثر بالمقامات العربية، بعدما تمّ رواج المقامات هناك. ومن المؤكد تاريخيًا أن مقامات الحريري عرفت في الأدب العربي في أسبانيا.

ومن مميزات هذه القصص أنها قطعت مسافة فسيحة نحو الواقع --- وكان المؤلف يسردها بضمير المتكلم كأنها جرت له، وكان يملؤها بهجاء المجتمع اللاذع، ويبدو البطل فيها مترحلًا (بوهيميًا) هائمًا على وجهه، منقطعًا عن مجتمعه نفعي النظرة والحكم، غريزي الإحساس بالأشياء ---

ويوجد بين المقامات العربية وبين قصص الشطار الإسبانية التشابه، مما يؤكد ويدل على مدى تأثر كتّاب أسبانيا بها في قصصهم.[203]

---

[202] عن اللغة والأدب والنقد، ص 178

[203] عن اللغة والأدب والنقد، ص 179

وفي أواخر القرن الثامن عشر وفي ظل الحركة الرومانتيكية ظهرت:

5. **القصة الاجتماعية:** وهي تصوّر لنا التطور الطبيعي الذي حدث لقصص العادات والتقاليد، وقد جاء هذا اللون من القصص مستحيبًا لطبيعة الحركة الرومانتيكية في ميلها الشديد إلى إعطاء أفراد المجتمع حقوقهم ومعاملتهم بالعدل، وليعمّ بينهم التعاون الاجتماعي، وتكون بينهم السيادة للشعب ---

6. **القصص التاريخية:** التي كانت صدى لحرص الرومانتيكيين على إحياء ماضيه الوطني التاريخي. وبعد (والترسكوت)[204] الأب الشرعي للقصة التاريخية في أوربا.[205]

7. **قصص الأشباح:** وهي نوع من القصص التي تبدو حية، وتملأ النفس بالرعب وتبثّ فيها الفزع، وتدعو إلى الدهش. وقد يقصد إلى الوعظ والنصيحة، أو الإخافة وإثارة الهلع إلى النفس.

   وهذا النوع موجود في الآداب العالمية، ومعروفة في الأدب الغربي وغيره.

8. **قصة الأطفال:** وهي نوع من القصص الخرافية، ومعروف في الغالب عند جميع الأمم.

   يذيع بها صيت الهند والصين، يكتبه كتّاب كبار. ولأنها قديمة ومن القصص الشعبية، فإن كتّاب كثير منها غير معروفين.

   ويكثر اعتماد هذا اللون من القصص على الأساطير والخرافات والأعمال الخارقة بأسلوب سهل مطوّل. وهي تسهم في تنمية التصور والخيال في قلوب الأطفال، وخاصة إذا أحدث الكاتب في قصته بعض الحيل السحرية.

9. **القصة البوليسية:** وهي لون من الأدب القصصي الخيالي يتناول جريمة محيّرة وعددًا من مفاتيح الحل مع شرطيّ سري يحلّ اللغز، في معظم القصص البوليسية تكون الجريمة جريمة قتل، والمفاتيح إما مؤدية إلى الحلّ أو إلى الابتعاد عنه.[206]

   وقد بدأ هذا الفن القصصي عام 1841م بقصة (القتلة في شارع مورج).[207]

---

[204] كاتب بريطاني شهير في كتابة رواية الفروسية

[205] عن اللغة والأدب والنقد، ص 179

[206] الموسوعة العربية العالمية، 195/18

10. **قصة الجامعة:** نوع من القصص الشعبية التي يرويها راوٍ واحد، وهي عبارة عن سلسلة من الحكايات المختلفة، لا يربط بينها سوى الراوي، مثل قصص ألف ليلة وليلة.

11. **قصة الحيوانات:** نوع من القصص التي يجعل المؤلف فيها البطل حيوانًا، وتدور الأحداث حول تصرفه. ومثل هذا كثير في القصص الرمزية.[208]

وكتاب (كليلة ودمنة) من أهمّ الكتب في هذا النوع، ترجمه عبد الله بن المقفع من الفارسية إلى العربية في أسلوب جميل متين.

ازداد عدد قراء هذا الكتاب في العصر العباسي وما بعده من العصور، ووضعت بعد ذلك قصص على نسقه وأسلوبه. فألّف سهل بن هارون كتاب (ثعلة وعفرة)، وجميع فيه عددًا كبيرًا من الحكم العملية. ومن كتبه أيضًا كتاب (النمر والثعلب).[209]

وكذلك ألّف أبو عبد الله محمد بن ظفر كتاب (سلوان المطاع في عدوان الأتباع) متأثرًا بطريقة (كليلة ودمنة).

كما كتب ابن عربشاه كتابًا عنوانه (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) يشتمل على عشرة أبواب، تختص الخمسة الأخيرة منها بالقصص على لسان الحيوان.

وقد نظم شعراء كثيرون كتاب (كليلة ودمنة) منهم ابن الهبارية، وعنوان منظومته (نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة) وعارضه بكتاب (الصادح والباغم).[210]

12. **القصة الخيالية:** وهي تعتمد على أخيلة الكاتب وتصوراته البعيدة المتناول. وقد يقصد الكاتب إلى أن يطابق الواقع أخيلته وتصوراته.

13. **قصة داخل القصة:** سردٌ لقصة طويلة يعترضها سرد آخر مكرر، وبعد انتهائها تتابع القصة الطويلة سردها. وتعتمد القصة الثانية أو الثالثة --- على نوع من الاستطراد المعتد على التشابه والتذكير، كقصص كليلة ودمنة، وقصص شهرزاد.

---

[207] المعجم المفصّل في الأدب، ص 708

[208] المصدر نفسه، ص 708

[209] تاريخ الأدب العربي (لعمر فروخ)، 213/2

[210] الفنون الأدبية في العصر العباسي، س 24

14. **القصة الرمزية:** قصة لها أكثر من معنى،[211] ومغزاها أبعد من ظاهرها.[212] معظم هذه القصص تتضمن معاني أخلاقية أو دينية.[213] كتبت هذه القصص في عصور الملوك الجبارين، لأن الإنسان وخاصة الأديب حين ما يرى منكرًا وظلمًا في المجتمع فيضطر إلى بيانه. ففي العصر العباسي كان الأدباء والكتّاب من ظلم الخلفاء، فلجأوا إلى أسلوب خفي رمزي.[214]

ويدخل في هذا النوع القصص الفلسفية مثل (حي بن يقظان) و(سلامان وأبسال) أو القصص الأدبية ذات المعنى البعيد مثل (رسالة الغفران) للمعري، أو قصص الحيوانات التي تنطق الحيوانات حكمًا ونصائح مثل (كليلة ودمنة)[215]

15. **القصة الشعبية:** قصة تنسب إلى الأدباء المشهورين، لكنها في الحقيقة سمعها رواتها من الناس، ثم كتبوها، ولا يمكن لباحث اليوم تحديد زمنها، وتعيين الحد الذي أضافه هؤلاء الرواة في القصص أو نقصوا منها.[216] ومن مميزاتها عدم الاكتراث بالأسلوب الفني، والاهتمام بالتسلسل المنطقي، والإثارة، والشعبية، مثل قصص أبي زيد الهلالي، وعنترة بن شداد.[217]

16. **القصة الشعرية:** حكاية شعرية، تشتمل على مقاطع قصيرة، تتبع سير الأحداث. ولأنها يتوارثها جيل بعد جيل، لذا لا يعرف في الأغلب مؤلفها. وهي تخلو من أسلوب التنميق، غير أنها تحفل بالأمثال الشعبية والأقوال الوعظية. وهي تطول مع مرور الزمن، إذ تضيف إليها الأجيال.

هذه الأقاصيص الشعرية تروى في كثير من الأمم، وفي الأدب البريطاني وحده حول ثلاثمئة قصة شعرية، يعود تاريخ معظمها إلى القرن الرابع عشر الميلادي.

وحول حياة "شارلمان" وحروبه مع العرب في عهد هارون الرشيد قصائد شعبية تروى حتى الآن.

---

[211] الموسوعة العربية العالمية، 196/18

[212] المعجم المفصل في الأدب، ص 708

[213] الموسوعة العربية العالمية، 196/18

[214] تطور القصة العربية وأثرها على القصة الغربية، ص 148

[215] المعجم المفصل في الأدب، ص 708

[216] تطور القصة العربية وأثرها على القصة الغربية، ص 138

[217] المعجم المفصل في الأدب، ص 709

17. **القصة العلمية:** استفاد المسلمون العرب من علم اليونان والروم والهند والصين ثم أسهموا حظًا وافرًا في العلوم المختلفة من الطب والفيزياء والكيمياء،[218] حتى كتب بعضهم قصصًا أساسها على الافتراضات العلمية، واعتمادها على الاستنتاجات المنطقية، غير محتملة الوقوع. من أمثلتها قصص رحلات الفضاء، أو جولات إلى عالم مجهول متوقع منطقيًا وغير موجود حاليًا.

هذا الفن ليس بجديد، وكان معروفًا لدى الإغريق أيضًا في القرن الثاني. استعمل المعرّي هذا الفن في رحلة ابن القارع برسالة الغفران.

18. **القصة الفلسفية:** هي القصص التي تتركز على الفلسفة. ويقصد بها شرح الأفكار، وإقناع الآخرين بما وصل إليه الكاتب الفيلسوف، كابن رشد في "حي بن يقظان" والمويلحي في "حديث عيسى بن هشام". ويعدّ فولتير من أعمق كتّاب القصة الفلسفية ولاسيما "كانديد".[219]

ويتفاوت فهم هذه القصص تفاوت مستوى قراءها وسامعيها. فمنهم من يقف عند حدود الظاهر، ومنهم من يغوص في أعماقها، ويستخرج منها الحكمة العملية، والفوائد الجمة.

ويعدّ كتاب (كليلة ودمنة) كتابًا مهمًّا من هذا النوع، وهو مجموعة من القصص، ألّفها الفيلسوف الهندي بيدبا باللغة السنسكريتية، وجعل أبطالها من الحيوان، وعدد القصص في هذا الكتاب خمس عشرة قصة، عنوان الكتاب مأخوذ من اسم حيوانين وردا في باب الأسد والثور، يدعى أولهما كليلة والثاني يقال له دمنة وهما أخوان لابن آوى ---.[220]

19. **القصة القصيرة:** قصة لا تتجاوز بضع صفحات تتضمن عادة حدثًا واحدًا وشخصيات قليلة ويمكن قراءة أغلبها في جلسة واحدة. ويعدّ هذا النوع واحدًا من أقدم الأشكال الأدبية. وقصص (ألف ليلة وليلة) أمثلة على شكل القصة القصيرة.[221]

---

[218] تطور القصة العربية وأثرها على القصة الغربية، ص 149

[219] المعجم المفصل في الأدب، ص 709

[220] الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص 23

[221] الموسوعة العربية العالمية، 197/18

20. **القصة القصيرة جدًا:** وهي قصة نثرية موجزة، تتميز بضخمها وقصرها، وقد لا تجاوز ألفًا وخمسين كلمة.

تحتاج كتابتها إلى مهارة عالية لتناول الصراع والتشخيص وعرض المشاهد ببراعة وتأمل. وتوجد فيها كل مقومات القصة القصيرة، ولكن بشكل مكثف.

21. **قصة المغامرات:** يزخر هذا النوع من القصص بالأحداث والموجّه غالبًا للأحداث. ويهتم القارئ في هذا الفن بماذا سيحدث بعد ذلك، من غير التفكير بكيف ولماذا؟ ويدخل في هذا النوع من القصص قصص الخيال العلمي وقصص الغرب الأمريكي وقصص الألغاز.[222]

22. **القصص الدينية:** هذه القصص وردت في الكتب الدينية، وتدور حول الأنبياء ومعاملة أقوامهم معهم. وترمي هذه القصص إلى العبرة والعظة، وإصلاح النفس، والسير على الصراط المستقيم.

لكن المفسرين كلهم لم يلتزموا بتحري الحق عند شرح هذه القصص، وإنما اختلفوا فيها. فبعضهم اكتفى بما ورد في القرآن وما صحّ من الأحاديث الصحيحة، وبعضهم تجاوز حدود العقل والنقل، واختار اتجاه الذين أسلموا من علماء أهل الكتاب، وأخذ يروي عنهم.[223]

لذا سبّبت هذه القصص إدخال الكثير من أساطير الأمم الأخرى على المسلمين ومن أخبار اليهود والنصارى.[224]

ومن هذه الكتب المملوءة بالأساطير، كتاب الثعالبي المسمّى بـ(العرائس)، الذي روى فيه مؤلفه كثيرًا من الخرافات عن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه، وعن عديد من أهل الملل الأخرى. إنه كان مولعًا بالتوسع في العجائب والغرائب على ما يبدو ---.[225]

23. **القصة الخرافية:** الخرف لغة فساد العقل من الكبر، وأصل الخرافة (الحديث المستملح من الكذب)، وقالوا حديث خرافة ذكر ابن الكلبي في قولهم "حديث خرافة" أن خرافة من بني عذرة

---

[222] المعجم المفصل في الأدب، ص 710

[223] الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص 27-28

[224] الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص 422

[225] الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص 27-28

أو من جهينة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس.[226]

ثم انتقل معنى الخرف من الدلالة على باطل الأحاديث ومصفوفها إلى الدلالة على القصص الموضوعة على ألسنة الحيوانات، والنباتات، والجمادات. والغاية من هذه القصص التربية والوعظ، وتقديم النصح بقالب قصصي جذاب.

وهذا النوع من القصص كثير قديم، كان شائعًا بين الشعوب المختلفة، كقصة السبع والسنور المصرية القديمة التي وجدت مكتوبة على ورقة من أوراق البردي، وكليلة ودمنة السنسكريتية الأصل، وحكايات إيسوبوس اليونانية. ومنها في العربية حكاية الأرنب والثعلب حينما احتكما إلى الضب ---.[227]

24. **قصص البخلاء:** هذا النوع من أعرق القصص عند العرب، ولديهم فيه قصص عجيبة في كل عصور الأدب. ارتقى هذا الفن ذروة الازدهار في العصر العباسي، إذ زاد في هذا الفن كتّاب وفاضوا وأبدعوا ويرأسهم الجاحظ. فقد صنّف في هذا الموضوع كتاب (البخلاء)، سجّل فيه عجائب البخلاء وغرائبهم، وفلسفتهم، وبلاغتهم في الدفاع عن شحّهم.

وقد راع الجاحظ سهل بن هارون، وهو كاتب، بليغ، حكيم، ولكن البخل كان سجية فيه، وله رسائل يدافع فيها عن البخل والبخلاء، وقد روى عنه أبو عثمان الجاحظ عددًا من قصص شحه، مضحكة، مدهشة، لبلاغة سهل، وقدرته على الجدل، وطريقته في إثبات رأيه، ووضوح حججه، وسلامتها من التناقض.[228]

25. **قصص الأسفار:** كان العرب في العصر الجاهلي يقومون بأسفار كثيرة، وهذه الأسفار تسفر عن قصص كثيرة تصوّر لنا أحوال رحلاتهم، وصعوبات الطرق التي كانوا يكابدونها والمخاطر التي تعترض طرقهم. وتتحدث هذه القصص أيضًا عن قوة الجن وأخطار الغيلان- وهي حسب

---

[226] اللسان، مادة: خرف

[227] الأدب الجاهلي، ص 711

[228] الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص 30-31

ظنهم نوع من الشيطان تظهر للناس في الفلاة فتتلون لهم صور شتى، وتضلّلهم وتهلكهم-[229] والسعالي (الغول)[230]

ومن أهم رحلاتهم رحلة قافلة كسرى إلى اليمن المسمّاة يوم الصفقة، وقصة فتكة البراض، وقصة الأعشى، وتابعه الجني مسجل، وقصة أولاد نزار بن معد مع الأفعى بن الأفعى الجرهمي، ورحلة أبي طالب إلى الشام والبشرى التي زفّها له بحيرا الراهب.[231]

26. **قصص اللصوص:** هذه القصص تصوّر لنا من يتجردون للغارات، ويقطعون الطرق على الناس، ويسلبون منهم أموالهم. وهم زادوا في العصر العباسي، ومنهم من قطعوا الطريق على الشيخ أبي حامد الغزالي، وأخذوا خرجه (وعاء الأمتعة) بما فيه من كتب وزاد.

وكان الحكام يقاومون هؤلاء اللصوص ويحبسونهم في السجن. وقد صنّف الجاحظ بعض هذه الحكايات.[232]

27. **قصص الملوك:** شهدت جزيرة العرب حضارات، يتولاها ملوك عظام، ووضعت حولها قصص، تزخر بها كتب التراث العربي. ومن هذه القصص قصة جر الملقب بآكل المرار مع زياد بن الهبولة الغساني، وغيرها ---.[233]

ومن هذا النوع القصص التي تروي أخبار ملوك الحيرة، كقصة النعمان وبنائه قصر الخورنق وغدره بسنمّار، وقصة المنذر بن ماء السماء في حربه مع الغساسنة، وقصص ملوك الغساسنة، وكتب الأدب زاخرة بها.[234]

28. **قصص الحروب:** كان العرب غارقين في الفوضى والجهلة، لا عمل لهم إلا الغزو والنهب والحرب.[235] فقصص حروبهم أهمّ وأطول من قصص أسفارهم،[236] والتي تعرف بـ(أيام العرب)[237]

---

[229] المعجم الوسيط، 667/2

[230] المعجم الوسيط، 431/1

[231] الأدب الجاهلي، ص 708-709

[232] الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص 33-34

[233] الأدب الجاهلي، ص 705-706

[234] المصدر نفسه، ص 708

من أيام العرب حروب البسوس، وهي من أشهر ملاحم العربية، وأحداثها وقصصها من أجمل الأحداث والقصص وأشدّها ارتباطًا بطبيعة الأمة العربية في العصر الجاهلي. ومهما يكن حظها من الغلو قليلًا أو كثيرًا فإن النفس تطمئن إليها أكثر مما تطمئن إلى الإلياذة والأوديسة، والتفصيل عن ذلك في كتاب أيام العرب، أو كتب الأدب الأخرى، التي عنيت بإبرازها وروايتها مشفوفة بالشعر الحماسي. ومن هذا النوع قصة داحس والغبراء، وحروب الأوس والخزرج.[238]

29. **قصص العشاق:** هذا النوع من القصص أيضًا من أقدم الأنواع القصصية في الأدب العربي، إذ كان يوجد في العصر الجاهلي أيضًا، لكنه ازدهر بعد الإسلام، ولاسيما في عصر بني أمية.[239]

ومن هذا النوع قصص الحب الصريح- وهو الحب المادي- ازدهر في العصر الأموي على يدي عمر بن أبي ربيعة، ويرجع سبب ازدهاره إلى تشجيع الأمويين باللهو، والغناء، والعيش، وليملأوا فراغ الناس، حتى يبتعدوا عن السياسة.[240]

ومن هذا النوع أيضًا الحب العذري وهو الحب الصادق يعتمد على الوفاء، واليأس، والأسى في الحب.[241]

وكثير من هؤلاء العشاق فقدوا عقولهم، وأصابهم الجنون. ومجانين عشاق العرب مشهورون كمجنون ليلى وجميل بثينة وكثير عزة.

وقد زاد هذا النوع من القصص في العصر العباسي، بسبب الترف الذي عمّ كثيرًا من القوم، وفارغ بالهم، وشيوع الجواري.

وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني بعض هذه القصص. وتناول هذا الموضوع بعض مؤلفي العصر العباسي وأفردوا له بمؤلفات ورسائل.[242]

---

[235] تاريخ آداب اللغة العربية (لجرجي زيدان)، 26/1
[236] الأدب الجاهلي، ص 709
[237] تاريخ آداب اللغة العربية (لجرجي زيدان)، 26/1
[238] الأدب الجاهلي، ص 709
[239] الفنون الأدبية في العصر الجاهلي، ص 35
[240] المعجم المفصل في الأدب، 345/1
[241] المصدر نفسه، ص 345
[242] الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص 35

30. **الأوابد:** ذكر القلقشندي (أوابد العرب) في كتابه الشهير (صبح الأعشى)، وشرح معناها، وربطها بالقصص التي وضعت لها، فقال:

"هي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية، بعضها يجري مجرى الديانات، وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات، وبعضها يجري مجرى الخرافات. وجاء الإسلام بإبطالها. وهي عدة أمور: الكهانة (الإخبار بالغيب)، والزجر، والطيرة، والميسر (القمار) --- والأزلام، والبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي، وإعلاق الظهر، ورمي البعرة، ووأد البنات (قتلهن أحياءً) --- والهامة، وتأخير البكاء على الميت للأخذ بثأره --- والغول وضرب الثور لتشرب البقر، وتعليق سن الثعلب، وسن الهرة، وتعليق الحلي على السليم، وكي السليم ليبرأ الأجرب ورمي سن الصبي المثغر في الشمس".[243]

ولكل من هذه الأوابد قصة وضعت حولها، وانتشرت، وتناقلها الناس، ولاكتها الألسن، فظنّها الناس أبدية العيش، لذا سمّيت بالأوابد. فلما جاء الإسلام أبطلها فلم يبق من هذه القصص إلا ما وضع للكشف عن أصولها.[244]

31. **القصة البطولية:** كانت القصص البطولية كثيرة في الأدب العربي في العصر الجاهلي والإسلامي، ولكنها كانت أكثرها في صورة شعرية، وكل الشعر الحماسي يتحدث عن أعمال الأبطال.

فبادئ ذي بدء كتبت هذه القصص البطولية الشعرية في النثر العصر العباسي، منها قصة شاعر جاهلي كبير وبطل عظيم عنترة، وكان محبًا لعبلة ابنة عمّه.

وفي القرن الرابع الهجري بدأت سيرته الخيالية تكتب في صورة قصة مسهبة، وأوّل من فعل ذلك هو يوسف بن إسماعيل المصري، وفعل ذلك بإشارة من العزيز بالله الخليفة العباسي حين ذلك.

ثم تتابعت الزيادات في هذه القصة، وأضاف إليها الآخرون من وقت لآخر، حتى بلغت اثنين وثلاثين جزءًا.[245]

---

[243] صبح الأعشى، 454/1

[244] الأدب الجاهلي، ص 711

[245] الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص 38

32. **الأسطورة:** الأسطورة قصة خيالية لها حدث تاريخي واقعي، ذات أصل شعبي، وتجسّم فيها قوى الطبيعة بأشخاص، تنبع من صميم الشعب ومعتقداته. وقد تشرح الأسطورة بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون.[246]

ومن أساطير العرب ما نسبت إلى الأجرام السماوية، وتشرح أوضاعها، ومنها: "أن الدبران خطب الثريا، وأراد القمر أن يزوجه بها، فابت عليه ودلّت عنه، وقالت للقمر: ما أصنع بهذه السبروت الذي لا مال له؟ فجمع الدبران قلاصه يتحول بها، فهو يتبعها حيث توجّهت يسوق صداقها قدامة".[247]

33. **قصص المجون:** يشتهر في التراث العربي نوع من القصص لصلة الرجال بالنساء وما ينتج عن هذه الصلة من خلاعة ولهو وفسوق، وما يدور في مجالس الشراب من عبث ورفث. وأكثر الأبطال في هذه القصص من الخلعاء الفتّاك، وأقلّهم من كبراء القوم الذين يجدون في الشباب الفراغ والجدة متسعًا عن الكد، فيلهون ويقصفون.

من هذه القصص قصة عدي بن نصر مع رقاش أخت جذيمة بن مالك الذي استخلص عدي لنفسه، وقصة فتّاك العرب وعدّائهم تأبط شرًا مع امرأة من بني فهم، وقصة امرئ القيس بدارة جلجل التي رواها الفرزدق، وقصة الشاعر الجاهلي المنخل مع المتجردة الذي كان ينادم النعمان.

34. **النوادر:** كان كثير من الملوك والأشراف يستمتعون في مجالسهم بما يروى من قصص الفكاهة، واتخذ بعض الملوك ندماء عرفوا برواية النوادر أو اختراعها، كنوادر سعد القرقرة، هازل النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ونوادره مشهورة معه.[248]

---

[246] المعجم المفصل في الأدب، 91/1

[247] الأدب الجاهلي، ص 710

[248] المصدر نفسه، ص 712

أغراض القصة النبوية

إن القصة النبوية بجميع أنواعها قصة ملتزمة، لأنه ﷺ لم يعرض تلك القصص بمختلف أنواعها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة، وإنما الهدف الأساسي لسرد النبي ﷺ تلك القصص هو الدعوة والتبليغ، لأنه ﷺ من أجله بعث ومن أجله اصطنع الأساليب الكثيرة.

فاستهدف، عليه السلام، بالدرجة الأولى والآخرة، موضوعات دينية أساسية، كقيم الإسلام، وقضايا العقيدة والرسالة، وغيرها، فمن بعض أغراض قصصه:

1. **الدعوة:** كان الغرض الأسمى في القصة النبوية هو الدعوة إلى الإسلام، والالتزام بمبادئه وتعليماته، لأنه ﷺ بعث من أجل الدعوة إلى الله واتباع دينه وإلى سلوك الطريق المستقيم الذي هو دين الإسلام، وقد قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)[249]

وكما أن القصة تتمتع بعدة خصائص، ما يعطيها قدرة على التأثير وتصوير نواحي الحياة، وعرض الشخصيات بما تحمله من أخلاق وأفكار واتجاهات نفسية وغيرها، وتحريك وجدان الإنسان، والإثارة في نفسه غريزة حب الاستطلاع، فقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في دعوته ليعرض مبادئ الإسلام في صورة عملية متحركة، ويبث الحياة في قلوب مخاطبيه، ويوقظ الحركة في عقولهم، ويجعل انتباههم، حيًّا يقظًا، حتى يفتح عقلهم للاستيعاب والتقبل الواعي.

---

[249] سورة النحل: 125

فنرى النبي ﷺ يستخدم القصة من خلال عدة أساليب، فأحيانًا تكون الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى كما ورد في قصة: قال رسول الله ﷺ يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلًا كل سجل مدّ البصر ثم يقول الله عز وجل هل تنكر من هذا شيئًا فيقول لا يا ربّ فيقول أظلمتك كتبتي الحافظون ثم يقول أ لك عن ذلك حسنة فيهاب الرجل فيقول لا فيقول بلى إن لك حسنة عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج به بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة[250].

ونجد في الحديث أيضًا أمثلة قصصية عديدة تؤكد نبوة سيدنا محمد ﷺ وأنه مرسل من الله عز وجل، كما في رواية عن ابن مسعود قال أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة ثم غدونا إليه فقال عرضت عليّ الأنبياء الليلة بأممها فجعل النبي يمرّ ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصابة والنبي ومعه النفر والنبي ليس معه أحد حتى مرّ عليّ موسى معه كبكبة من بني إسرائيل فأعجبوني فقلت من هؤلاء فقيل لي هذا أخوك موسى معه بنو إسرائيل قال قلت فأين أمتي فقيل لي انظر عن يمينك فنظرت فإذا الظهراني قد سدّ بوجوه الرجال ثم قيل لي انظر عن يسارك فنظرت فإذا الأفق قد سدّ بوجوه الرجال فقيل لي أرضيت فقلت رضيت يا رب رضيت يا رب قال فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ---[251].

وقد تتجه الدعوة إلى الإسلام مباشرة، في شكل بيّن جليّ، مثل أن تصور القصة الإسلامَ بأنه هو الدين الصحيح، والمقبول عند الله تبارك وتعالى، وأن من آمن به وأسلم فهو يأخذ أجرًا وافيًا، كما في القصة التالية: عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي قال مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من

---

[250] سنن ابن ماجه: رقم الحديث: 4300

[251] مسند أحمد، رقم الحديث: 3806

العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين فأنتم هم فغضبت اليهود والنصارى فقالوا ما لنا أكثر عملًا وأقلّ عطاء قال هل نقصتكم من حقكم قالوا لا قال فذلك فضلي أوتيه من أشاء.[252]

وقد يكون هدف القصة إثارة عواطف تتفق مع مبادئ الإسلام وأخلاقه وقيمه، فإذا كان كذلك فتكون الدعوة متجهة إلى المسلمين مباشرة، وإلى غيرهم بطريق غير مباشر، كما في قصة: عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدلّ على راهب، فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة، فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة، فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإنّ بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيّهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة، قال قتادة فقال الحسن ذكر لنا: أنه لما أتاه الموت نأى بصدره[253].

هذه القصة تقدّم الدعوة إلى التوبة في صورة حية نابضة، تدفع الإنسان إلى التوبة، وتحمله عليها، وتثير عواطفه ووجدانه.

وقد تدعو القصة إلى العمل بواجبات الدين وفرائضه، كما في هذه القصة: عن النبي ﷺ قال: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا[254].

---

[252] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2107

[253] صحيح مسلم، رقم الحديث: 4967

[254] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2313

تستهدف هذه القصة إغراء الإنسان إلى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعد ذلك واجبًا دينيًا اجتماعيًا.[255]

2. **بناء العقيدة:** من القصص الحديثية ما يبنى أساس عقيدة المسلم، فمنها ما يخبرنا ببعض صفات الله عز وجل، ونرى في القصة النبوية ﷺ أن أبرز هذه الصفات هي صفة إجابة النبي ﷺ، ومن هذه القصص قصص تشتمل على أخبار حول عالم الغيب، كما في قصة الإسراء والمعراج: عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدّثهم عن ليلة أسري به بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطلعًا إذ أتاني آتٍ فقد قال وسمعته يقول فشقّ ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول من قصّه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم، قيل مرحّبًا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلّم عليه فسلّمت عليه فردّ السلام ثم قال مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلّم عليهما فسلّمت فردّا ثم قالا مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبًا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلّم عليه فسلّمت عليه فردّ ثم قال مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك ------"[256].

---

[255] القصص في الحديث النبوي، ص 351

[256] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3598

وكذلك في "قصة الرؤيا والملكين" و"آخر رجل يدخل الجنة"، قال رسول الله ﷺ إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا فيها، رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملآى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملآى فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملآى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملآى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إنّ لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أ تسخر بي أو أ تضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة".[257]

إن في هذه القصة جزءًا من عقيدة المسلم بأن يؤمن بما في الغيب من الملائكة والجنة والنار.

3. التربية: من أبرز جوانب القصة النبوية وأهمها التربية، ومن المفهوم أنه ﷺ كان يستخدم أسلوب القصة في تكوين الجيل الأول من الصحابة تكوينًا إسلاميًا متينًا، وإعدادهم لحمل رسالة الإسلام، والاتباع بمنهجه القويم في طريق لاحب، كان لا بد للسير فيه بثبات واستقامة من ذلك الإعداد وتلك التربية، والملاحظ أن التربية بالقصة لم تكن هي كل البرنامج التربوي الذي أعدّ الرسول ﷺ على منهاجه صحابته الكرام، ولكن القصة كانت حلقة واحدة، ووسيلة من وسائل ذلك البرنامج النبوي ﷺ، ساهمت بدور كبير في نجاح العملية التربوية التي تلقّاها المسلمون الأوائل.

فاستعمل رسول الله ﷺ أسلوب القصة للتربية، واستخدمه استخدامًا حسنًا في الحصول على غرضه التربوي، فاستخدم طرقًا مختلفة ووسائل شتى يمكن إجمالها في أربعة أشياء:

أ. **عن طريق التعليم:** إن (التعليم بالقصة) يبدو ظاهرة بارزة في القصة النبوية، فقد علّم النبي ﷺ المسلمين الإسلام، وشرح تعاليمه، ووضع مبادئه، وأرسخها في قلوبهم في أسلوب سهل بسيط، وزوّدهم بكثير من قضايا هذا الدين الجديد وأحكامه، ليبني الرعيل الإسلامي الجديد، على أساس قوي، نابع من العلم الصحيح، المستنبط من مفاهيم الدين الجديد.

فمما علّمنا هو أن نصدّق الرجل إذا أقسم بالله، مهما كان الأمر. كما فعل عيسى، عليه السلام، مع الرجل الذي رآه يسرق، كما في رواية رواها أبو هريرة: قال قال رسول الله ﷺ رأى عيسى عليه

[257] صحيح مسلم، رقم الحديث: 2722

السلام رجلًا يسرق فقال له أ سرقت قال لا والذي لا إله إلا هو قال عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذّبت بصري.[258]

فمن تعاليمه التي جاءت بها القصة النبوية التحوط والاجتناب مما فيه الشبهة والريب، كما فعل رجلا إحدى قصصه النبوية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ اشترى رجل من رجل عقارًا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه أ لكما ولد قال أحدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدّقا".[259]

ومن قصصه التعليمية (قصة سليمان عليه السلام في حكومته بين المرأتين المتخاصمتين في طفل) وهذه القصة تعلّمنا أهمية اتصاف الحاكم بين الناس بالفطنة والحصافة في استبانة وجه الحق.

وكثيرًا ما يكون التعليم في القصة النبوية عن طريق الحوار، كالحوار الذي جرى في القصة التالية بين الله عز وجل والملائكة: عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلمّوا إلى حاجتكم قال فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي قالوا يقولون يسبّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول وكيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وتحميدًا وأكثر لك تسبيحًا قال يقول فما يسألوني قال يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدّ عليها حرصًا وأشدّ لها طلبًا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوّذون قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدّ

---

[258] سنن النسائي، رقم الحديث: 5427

[259] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3213

منها فرارًا وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم.[260]

ب. **التربية بالترهيب والترغيب:** (التربية بالترهيب والترغيب) تنبع متركزًا على ما ركب الله في الإنسان من طبيعتي الخوف والرجاء، اللتين تتقابلان في النفس الإنسانية من جهة، وتتجاوران فيها من جهة أخرى. الخوف والرجاء قوتان مختلفتان في أعماق الكائن البشري؛ بحيث تعيّنان للإنسان جهته في الحياة وتحدّدان أهدافه وسلوكه، كما تحدّدان أيضًا أفكاره، ومشاعره، إذ أنه سيختار منهج حياته منطلقًا في ذلك من خوفه ورجائه.[261]

وقد تمسّك النبي ﷺ بهذا الأسلوب، وصوّب هاتين الطبيعتين إلى جهة إيجابية، بنّاءة في الحياة الإنسانية، تدفعه إلى قصد السبيل، فاستغلّ النبي ﷺ بقوة الخوف فيه وعمل على أن ينقيها من المخاوف السلبية، التي لا تملك أن تغيّر من واقع الإنسان شيئًا، ولا أن تنفعه بشيء، كالخوف من الموت مثلًا؛ لأن الخوف منه لا ينجي منه، ولا يغير من الأمر شيئًا، فالخوف هنا ضرر بلا نتيجة نافعة، كما نجد صورًا رهيبة لعذاب القبر في قصة (الأسئلة الثلاثة[262]) أو كقصة (المسؤولية والجزاء[263]) عن سمرة بن جندب قال كان النبي ﷺ إذا صلّى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيًا قال فإن رأى أحدٌ قصّها فيقول ما شاء الله فسألنا يومًا هل رأى أحد منكم رؤيًا قلنا لا قال لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلّوب من حديد قال بعض أصحابنا عن موسى إنه يدخل ذلك الكلّوب في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا يعود فيصنع مثله قلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه قلت من هذا قالا انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقّد تحته نارًا فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت

---

[260] صحيح البخاري، رقم الحديث: 5929

[261] منهج التربية الإسلامية، ص 155-172

[262] مسند أحمد، رقم الحديث: 12965

[263] صحيح البخاري، رقم الحديث: 1297

رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت من هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر قال يزيد ووهب بن جرير عن جرير بن حازم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجرة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فردّه حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها فيها رجال وشيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلت طوّقتماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا نعم أما الذي رأيته يشق شدقه فكذّاب يحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة والذي رأيته في الثقب فهم الزناة والذي رأيته في النهر آكلوا الربا والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله فأولاد الناس والذي يوقد النار مالك خازن النار والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب قالا ذاك منزلك قلت دعاني أدخل منزلي قالا إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك".[264]

كما تقدّم لنا القصص النبوية ألوانًا من العذاب التي يواجهها أهل الجنة، وما يكابدونها من أنواع الألم والشدة والذلة، وهم يصلون سعير جهنم التي تكاد تتميز من الغيظ عليهم، مثلما نجد في قصة (هل من مزيد)[265] وقصة (يغاثون بطعام)[266] إلى غير ذلك من قصص البعث واليوم الآخر.[267]

وأما التربية بالترغيب في القصة النبوية ﷺ، فأساسها أيضًا على الاستفادة من قوة الرجاء في طبيعة الإنسان. وقد سلكت القصة فيها مسلك القرآن، الذي يسعى إلى تصويب قوة الرجاء نحو القيم الخلقية بالرجاء، ويحمل على التطلع نحو الأفضل.

---

[264] صحيح البخاري، رقم الحديث: 1297

[265] مسند أحمد، رقم الحديث: 8461

[266] سنن الترمذي، رقم الحديث: 2511

[267] القصص في الحديث، ص 360

ومن هذا المنطلق تتجه قوة الرجاء لدى الإنسان في القصة إلى الله تبارك وتعالى وإلى رضاه ومغفرته، وإلى ما أعدّه للمؤمنين من صور.

وقد رسمت لنا القصة النبوية بعض جوانب ذلك النعيم في مظاهر معنوية، كما تقدّم لنا طرفًا من ذلك القصةُ التالية:

"عن رسول الله ﷺ أنه قال هل يدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله قالوا الله ورسوله أعلم قال أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسدّ بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته ائتوهم فحيّوهم فتقول الملائكة نحن سكّان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلّم عليهم قال إنهم كانوا عبادًا يعبدوني لا يشركون بي شيئًا وتسدّ بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء قال فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار".[268]

وكذلك من القصص النبوية ما يصوّر لنا إحلال الله تبارك وتعالى رضوانه على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا وهو نعمة معنوية تبعث فيهم الشعور بالأمن، تملؤهم بالطمأنينة، النابعة من رضوان الله عليهم.[269]

ومن هذه القصص قصة ترسم لنا نعمة النظر إلى الله تبارك وتعالى والتمتع برؤية وجهه[270] الكريم.[271]

ج. **التربية بالموعظة:** من أساليب التربية التي اتخذها النبي ﷺ في قصصه (أسلوب التربية بالموعظة)، وهو طريق العبرة المستمدة من قصص الماضين.

وقد اختار النبي ﷺ من قصص الماضين أحداثًا تزخر بالموعظة. وما لا شكّ فيه أن الموعظة تحمل قوة تأثيرية شديدة عميقة ونفاذة، إذ العبرة تظهر في عرض قصصي شيّق، يربط السامع بأحداث القصة وشخصياتها، من خلال مشاركته الوجدانية لهم، وانفعاله بمواقفهم تعاطفًا معهم أو ضدهم.

---

[268] مسند أحمد، رقم الحديث: 6283

[269] صحيح مسلم، رقم الحديث: 5057

[270] مسند أحمد، رقم الحديث: 19228

[271] القصص في الحديث النبوي، ص 360

والقرآن الكريم في حديثه عن الماضين من أهل الكتاب وغيرهم سلك طريق القصة، لأنها أكثر قدرة على حمل العبرة ونقلها إلى السامعين، وقد كانت العبرة والعظة في تلك القصص الماضية في القرآن الكريم غرضًا رئيسيًا نص عليه القرآن صراحة في محكم تنزيله، قال تعالى: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون".[272]

وقد وجدت القصة النبوية ﷺ في أخبار بني إسرائيل وغيرهم من الأمم السابقة أحداثًا وتجارب ذات دلالات مؤثرة، وذات مقاصد تربوية هادفة، فجعلت من ذلك كله مادة طيبة صاغت على أساسها قصصها ذات المغزى الوعظي، وجعلت منها دروسًا يتذكر بها المؤمنون، ويستخلصون منها العبرة التي تعينهم في ترسم الطريق المستقيم، ولتكون أيضًا رصيدًا يضاف إلى تجاربهم يواجهون به ما يصادفهم من مشكلات أو مواقف مماثلة.

ومن القصص الوعظية التي ساقها الرسول ﷺ على أصحابه من أجل العبرة قصة (داؤد وملك الموت) فجاء في الحديث:

"عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال كان داؤد النبي فيه غيرة شديدة وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلّقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل الدار والدار مغلقة والله لتفتضحنّ بداؤد فجاء داؤد فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داؤد من أنت قال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني شيء فقال داؤد أنت والله ملك الموت فمرحبًا بأمر الله فرحل داؤد مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلي على داؤد فأضلت عليه الطير حتى أظلمت عليهما الأرض فقال لها سليمان اقبضي جناحًا جناحًا قال أبو هريرة يرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير وقبض رسول الله ﷺ وغلبت عليه يومئذ المسرحية".[273]

---

[272] سورة يوسف: 111

[273] مسند أحمد، رقم الحديث: 9422

وفي هذه القصة بدا الغرض التربوي الوعظي في صورة بارزة واضحة، وقد قصّها ﷺ في مرض موته، وقصد بها تهيئة نفوس المسلمين لتحمل المصيبة التي تصيبهم بموته ﷺ، ولأن يأخذوا العبرة من وفاة النبي داؤد عليه السلام، ليكون ذلك عونًا على االستقبال رسولهم ﷺ بالتسليم والرضا.

وهناك قصة الذي (جزع فانتحر) قال رسول الله ﷺ كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينًا فحزّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات قال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرّمت عليه الجنة".[274]

وهذه القصة تختم بتحذير مباشر من الانتحار.

د- التربية بالتوبة: إن الضعف أمر واقع في حياة الإنسان والنصوص القرآنية تشير إلى تلك الحقيقة فيقول تعالى: "وخلق الإنسان هلوعًا".[275] وهذا يقتضي أن يخطئ الإنسان وينحرف. لكن الله عزّ وجل لم يترك الإنسان ساقطًا، بل جعل له مخرجًا من ذلك، وهو التوبة. إن التوبة من أهمّ الوسائل التي تحفظ الإنسان من الوقوع في أهواء نفسه، وضعفه الفطري إلى الأبد.

فالقصة النبوية ﷺ تحقق بالتوبة وظيفتين أساسيتين في تربية المذنب:

الأولى: أنها تفتح الطريق أمام المذنب الطريق المسدود، ليتطهر من ذنوبه، ويستقيم من الانحراف، ويستأنف المسير في المسار الصحيح، ويدفعه إلى أن يكون عضوًا صالحًا في المجتمع.

ففي القصص النبوية أمثلة بعض الذين أصابهم الضعف في وقت من الأوقات ثم أفاقوا من سقطتهم، ورجعوا إلى الجادة تائبين مستغفرين بل عادوا أكثر صلاحًا وتقوى.

ومن هذه الأمثلة القصصية قصة (الكفل)[276] الذي لا يتورع عن ذنب يفعله، وفي إحدى نزواته مع المرأة المحتاجة صادف من المرأة تمنعًا عنيفًا كان وراءه موقف أخلاقي ينطلق من مبدأ الرفض للفاحشة، وما زالت تأتي هذا من خلال موقفها المتحرج حتى استقيظ ضميره، واستغفر ربه وأناب وتاب، فقبل الله توبته، ومات من ليلته، وفي صباح اليوم التالي وجد مكتوبًا على بابه، إن الله قد غفر للكفل، ومثل هذه القصة قصة (الرجل والمرأة).[277]

---

[274] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3204

[275] سورة النساء: 24

[276] الترمذي، رقم الحديث: 2420

[277] صحيح مسلم، رقم الحديث: 17691

والثانية: أن المذنب عندما يتوب إلى الله ويستغفر من ذنوبه، يجد في التوبة علاجًا لآلامه النفسية، التي أصابته بعد الشعور بالذنب، ويضع عن كواهله وزر ذلك الشعور.

في القصة النبوية أمثلة واضحة لهذا النوع، منها قصة (الرجل الذي قتل مئة شخص) فإنه تاب فقبل الله توبته فتوفي وهو في رحمة الله ومغفرته. وهذه القصة مشهورة للغاية فلا حاجة إلى نقلها.[278]

4. **التربية بالتسرية عن المسلمين:** من أهمّ الأغراض التي استهدفتها القصة النبوية غرض (التسرية عن المسلمين وتخفيف ما يكابدونه من ضغط عاطفي).

كان المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية وقبل أن ينتشر الإسلام، يعانون أشد أنواع العقاب والتعذيب والتنكيل من قبل قريش. وذلك لأن المسلمين تركوا دين آبائهم-دين عبادة الأوثان- واعتنقوا الإسلام.

فلما اشتد الإيذاء والتنكيل بلغ الأمر بالمسلمين إلى أن شكوا إلى الرسول ﷺ من شدة ما يلقون من أذى قريش، يقول الصحابي خباب بن الأرث رضي الله عنه: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألّا تستنصر لنا ألّا تدعو الله لنا ---".[279]

ولأنه لم يحن وقت القتال والمصادمة، اتخذ النبي ﷺ موقف تثبيت المسلمين وتقوية عزائمهم.

فاتخذ ﷺ من القصة وسيلة يزيل بها عن قلوب أتباعهم همومهم، ويخفف عنهم ما نزل بهم من عنت وأذى من قبل أعدائهم المشركين.

ومن أجل تحقيق هدفه هذا، قصّ ﷺ على من جاءوا إليه بهذه الشكوى قصة (الرجل الذي شق رأسه باثنين).

وهذه القصة تصوّر لنا شدة ما يلقاه أسلافهم من المؤمنين، وتعرض بعض ما كانوا يلقونه من أبشع ألوان التعذيب، حتى لقد كان الرجل منهم يحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق به نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، ولكنه مع ذلك ثابت صابر لا يحيد ولا يلين

---

[278] المصدر نفسه، رقم الحديث: 4967

[279] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3343

ولا يصده ولا يصد أمثاله عن دينهم. وفي نهاية القصة يبشّر الرسول ﷺ المسلمين بالنصر والتمكين فيقول لهم:

"---- والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون".[280]

أنواع القصة في الحديث النبوي

يرى محمد بن حسن الزير أن أنواع القصة النبوية ثلاثة، وهي:

1- القصة الواقعة للرسول ﷺ

2- القصة التمثيلية

[280] المصدر نفسه، رقم الحديث: 3343

3- القصة الغيبية

1- **القصة الواقعة للرسول ﷺ**: هذه القصص تجارب ذاتية حدثت للرسول ﷺ يدونها الإنسان عما يحدث له في حياته، وفي ظروف شتى. وهي تشبه المذكرات التي يدونها الإنسان عما يحدث له في حياته.

فاختار النبي من القصص الواقعة له من أهمّ تجاربه وأكثرها إثارة، ليجعلها مادة قصصية، ينسج منها وقائع ما يقصه على أصحابه مستهدفًا من وراء ذلك، ما يحققه عرض هذه التجارب من تعميق إيمان الصحابة بالرسول والرسالة، حين تجسد هذه التجارب النادرة في حياة الرسول ﷺ أمام المسلمين ممثلة في هذه الصور القصصية.

فقصة (شق الصدر) من أهم هذه القصص والتي أخبرنا ﷺ فيها عن فترة صباه، عندما كان يعيش بين ظهراني بني سعد بن بكر.

قصّ النبي ﷺ هذه القصة على الصحابة عندما سأله رجل سؤالًا، وهو:

"كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ فأجابه الرسول ﷺ بهذه القصة: كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا رادًا فقلت يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمّنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه أ هو هو قال الآخر نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء ثلج فغسل به جوفي ثم قال ائتني بماء برد فغسل به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذرّه في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه حصه فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة ثم قال أحدهما لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفًا من أمته في كفة قال رسول الله ﷺ فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي وتركاني قال رسول الله فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخرّ عليّ بعضهم فقال لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا وتركاني قال رسول الله ﷺ وفرقت فرقًا شديدًا ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت فأشفقت أن يكون قد التبس بي فقالت أعيذك بالله فرحلت بعيرًا لها فجعلتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغتنا إلى أمي فقالت

أدّيت أمانتي وذمتي وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك وقالت إني رأيت حين خرج مني يعني نورًا أضاءت منه قصور الشام".[281]

ويبلغ عدد هذا النوع من القصص خمسة عشر نصًا.

2- **القصة التمثيلية:** القصة القصة التمثيلية قصة ضربها الرسول ﷺ لتوضيح قضايا كلية وحقائق عقلية مجردة، وجسّدها في قالب قصصي حسي، ليعرضها على أصحابه وغيرهم من المسلمين، واستهدف منا تأكيدها في نفوسهم، بوضعها في صورة تجعل السامعين والقراء أكثر قدرة على الفهم والإدراك بصرف النظر عن كونها واقعية من الناحية التاريخية أم لا. ومن هذه القصص قصة عبد فقد راحلته:

"قال رسول الله ﷺ لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح".[282]

وفي هذه القصة يوضح النبي ﷺ فكرة أن الله يفرح أشد فرحًا في حين يتوب إليه عبده. وهذه الفكرة- أي فكرة فرح الله بتوبة عبده- فكرة معنوية مهمّة، حرص الرسول ﷺ على استقرارها في شعور المسلمين، ورسوخها في نفوسهم لذا عمد إلى تمثيلها في قصد فقد راحلته ثم وجدها بعد يأس، عندئذ استولت عليه حالة شديدة من الفرح، أخرجته عن طوره حتى يقول من شدة فرحه (الله أنت عبدي وأنا ربك) أخطأ من شدة الفرح.

ومنها قصة (القائم على حدود الله):

"عن النبي ﷺ قال مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا".

---

[281] سنن الدارمي، رقم الحديث: 13

[282] مسلم، رقم الحديث: 4932

وقصص أخرى نصرف النظر عنها.

3- **القصة الغيبية:** وهذه القصص مصدرها الوحي، وهي تنقسم إلى أقسام تالية:

أ. **القصة التاريخية:** أي وقائع وقصص تاريخية وقعت في الماضي، كقصة (الأبرص والأقرع والأعمى) وقصة (أصحاب الأخدود) وغيرهما من القصص فنسرد القصة الأولى كما يلي:

"إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عزّ وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال أي شيء أحبّ إليك قال لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه فأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا فقال أي المال أحب إليك قال الإبل أو قال البقر هو شكّ في ذلك إن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر فأعطي ناقة عشراء فقال يبارك لك فيها وأتى الأقرع فقال أي شيء أحبّ إليك قال شعر حسن ويذهب عني هذا قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب وأعطي شعرًا حسنًا قال فأي المال أحبّ إليك قال البقر قال فأعطاه بقرة حاملًا وقال يبارك لك فيها وأتى الأعمى فقال أي شيء أحب إليك قال يردّ الله إليّ بصري فأبصر به الناس قال فمسحه فردّ الله إليه بصره قال فأي المال أحبّ إليك قال الغنم فأعطاه شاة والدًا فأنتج هذان وولّد هذا فكان لهذا وادٍ من إبل ولهذا وادٍ من بقر ولهذا وادٍ من غنم ثم إنه أتى الأرض في صورته وهيئته فقال رجل مسكين تقطّعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلّغ عليه في سفري فقال له إن الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله فقال لقد ورثت لكابر عن كابر فقال إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا فقال إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت وأتى الأعمى في صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال فقال قد كنت أعمى فردّ الله بصري وفقيرًا فقد أغناني فخذ ما شئت فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك".[283]

[283] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3205

ب. **قصص المستقبل:** هذه القصص معروفة لدى العلماء والمسلمين بـ(أحاديث الفتن والملاحم) وموضوعها أحداث ستحدث في نهاية الزمان وتأتي كعلامات بين يدي الساعة. ومن هذه القصص قصة ياجوج وماجوج.

وهذه القصص النبوية تفسّر ما جاء مجملًا في القرآن الكريم عن علامات يوم القيامة، ومن هذه القصص قصة ياجوج وماجوج التي نقصّها كما يلي:

"عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن ياجوج وماجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فسنحفره غدًا فيعيده الله أشدّ ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى واستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصّن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها الدم الذي اجفظّ فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفًا في أقفائهم فيقتلهم بها قال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا من لحومهم".[284]

ت. **قصص البعث واليوم الآخر:** إن قضية البعث والنشور من أصعب القضايا التي جابه بها النبي ﷺ لأن العرب تعرضوا لها منكرين جاحدين في إصرار قاس، جاء في الروايات أن أبي بن خلف أو العاص بن وائل أتى النبي ﷺ مرة بعظم حائل بيده، (فقال: يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعدما رمّ، فقال النبي ﷺ: نعم ويبعثك الله ويدخلك النار)، فنزلت هذه الآية (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم).[285]

هذا الحادث وغيره لا يدل إلا على كون قضية البعث والنشور قضية أنكرها العرب إنكارًا باتًا، واستغربها أشد ما يكون الاستغراب.

---

[284] سنن ابن ماجة، رقم الحديث: 4070

[285] سورة يس: 76-77

ويسجّل القرآن إنكار العرب هذه القضية في عدة آيات منها (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد، أفترى على الله كذبًا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد).[286]

تجاه هذا الإنكار العنيف لهذه القضية الأساسية في الدعوة الإسلامية، قام النبي ﷺ بتأكيد قضية البعث بكل ما لديه من وسائل الأساليب- ومنها أسلوب القصة- فاستعملها النبي ﷺ بشكل مستفيض في الحديث عن أحداث البعث واليوم الآخر. ولا شك أن انتهاج القصة في عرض اليوم الآخر وتأكيده أبلغ بكثير مما لو تناول هذه القضية بصورة تقريرية نظرية.[287]

وعند استعراض قصص النشر واليوم الآخر يتضح أن أحداثه تبدأ بالنفخة الثانية في الصور، حيث يخرج الناس من أجداثهم قيامًا ينظرون، ثم يقال: (يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون ---)[288] ويحشر الناس جميعًا في صعيد واحد (يسمعهم الداعي وينفذهم وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ---)[289] ثم يذهب الناس إلى الأنبياء يبحثون عن شفيع ينجيهم من هذه الحالة الشاقة الصعبة ويعرض الرسول ﷺ موقف الناس هذا وترددهم على الأنبياء في طلب الشفاعة في عدد كثير من القصص ثم يقام الجسر (بين ظهراني جهنم فأكون أول من يحوز من الرسل بأمته ولا يتكل يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلّم وسلّم ---)[290] ثم تعرض القصة ألوانًا من الحساب. وكذلك بعض المرائين الذين نجد صورة لهم ممثلة في الرجل الذي يدور في النار كما يدور الحمار، وقد اندلقت أمعاء بطنه وأهل النار مجتمعون حوله.[291]

وكذلك قصة طرح فوج من الجناة في النار[292] وهكذا تحقق أماني الصالحين في الجنة[293] وأشياء أخرى لا حاجة إلى ذكرها.

---

[286] سورة سبأ: 7-8

[287] القصص في الحديث، ص 290-291

[288] صحيح مسلم، رقم الحديث: 5233

[289] صحيح البخاري، رقم الحديث:4343

[290] المصدر نفسه، رقم الحديث: 764

[291] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3027

[292] سنن الترمذي، رقم الحديث: 2511

[293] القصص في الحديث النبوي، ص 293

ث. **قصص من عالم الغيب:** وكذلك نجد في الحديث النبوي مجموعة من القصص تتعلق بعالم الغيب وهي ذات موضوعات شتى لكن يجمعها رابط واحد، وهو أن كلها تتحدث عن أمور غيبية، ولا شيء إلى معرفة أي شيء منها إلا عن طريق من طرق الوحي، كقصة كلمة عبد حمد بها الله: "إن عبدًا من عباد الله قال يا ربّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك فعضّلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى السماء وقالا يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله عزّ وجل وهو أعلم بما قال عبده ماذا قال عبدي قالا يا رب إنه قال يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله عزّ وجلّ لهما اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها".[294]

أو كقصة أشد من الريح: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال لما خلق الله عزّ وجل الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرّت فتعجّبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يا ربّ هل من خلقك شيء أشدّ من الحديد قال نعم النار قالت يا رب هل من خلقك أشدّ من النار قال نعم الماء قالت يا رب فهل من خلقك شيء أشدّ من الماء قال نعم الريح قالت يا رب فهل من خلقك شيء أشدّ من الريح قال نعم ابن آدم يتصدّق بيمينه يخفيها من شماله".[295]

وقصص أخرى مثل جرّ السلسلة[296] وقصة من أحبّه الله[297] وقصة حفّت الجنة بالمكاره.[298]

أثر الحديث في القصة

1. **تطهير القصة الإسلامية من الموضوعات الخرافية:** كانت للعرب قصص نسجت حول أوابدهم- والأوابد هي الأمور التي كانت العرب عليها في الجاهلية- بعضها يجري مجرى الديانات

---

[294] ابن ماجه، رقم الحديث: 3791

[295] مسند أبي داؤد، رقم الحديث: 11805

[296] سنن أبي داؤد، رقم الحديث: 4113

[297] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2970

[298] سنن الترمذي، رقم الحديث: 2483

وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات وبعضها يجري مجرى الخرافات --- وهي عدة أمور: الكهانة والزجر والطيرة والميسر والأزلام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وإعلاق الظهر ورمي البعرة ووأد البنات والهامة وتأخير البكاء على الميت للأخذ بثأره والغول وضرب الثور لتشرب البقر وتعليق سن الثعلب وسن الهرة وتعليق الحلي على السليم وكيّ السليم ليبرأ الأجرب ورمي سن الصبي المثغر في الشمس ---".

وهي سمّيت بالأوابد لأنها شاعت، وتداولها الناس، فعاشت بينهم أفعالًا وكلامًا، وظنها العرب أبدية العيش فسمّوها الأوابد، ثم جاء الإسلام فنسخها، فلم يبق منها غير القصص التي نسجت للكشف عن أصولها.

ومن أعاجيب أخبارهم في ذلك أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن، فخلا البيت يومًا فاضطجع الفاكه هو وهند فيه، ثم نهض الفاكه لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رآها ولّى هاربًا وأبصره الفاكه فأقبل إلى هند فركضها برجله وهي نائمة فانتبهت. فقال: من ذا الذي خرج من عندك. فقالت: لم أر أحدًا وأنت الذي أنبهتني. فقال لها: اذهبي إلى بيت أبيك فأقيمي عنده! وتكلّم الناس فيها. فقال له أبوها: إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهّان اليمن، فخرجا في جماعة من قومها إلى كاهن من كهّان اليمن ومعهما هند ونسوة أخر، فلما شارفوا بلاد الكاهن، قالت هند لأبيها: إنكم تأتون بشرًا يصيب ويخطئ ولا آمنه أن يسمّني ميسمًا يكون عليّ سبة. فقال أبوها: سأختبره لك فصفّر لفرسه حتى أدلى، فأدخل في إحليله حبة حنظة وقد شدّ عليها بسير، فلما دخلوا على الكاهن، قال له عتبة: إنا قد جئناك في أمر وقد خبأت لك خبأ أختبرك به فانظر ما هو فقال ثمرة في كمرة. فقال أريد أبين من هذا، فقال: حبة بر، في إحليل مهر. فقال له: انظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول انهضي حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء، ولا زانية ولتلدن مليكًا اسمه معاوية، فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فجذبت بيدها من يده. وقالت: إليك عنّي! فو الله لأحرص على أن يكون من غيرك، فتزوّجها أبو

سفيان ابن حرب فولدت له معاوية، فكان من أمره ما كان إلى أن انتهت به الحال إلى الخلافة، وقد أخبر جماعة من الكهنة بمبعث النبي ﷺ قرب ظهوره منهم سطيح الكاهن وغيره.[299]

كانت للعرب قصص قبل الإسلام منها ما لم تكن تلائم التعليمات الإسلامية، فقام الإسلام بنسخها، ولم يبق منها إلا قليل، فهذا كان توجيهًا إيجابيًا من قبل الإسلام- القرآن والحديث- أن يطهّر الأدب الإسلامي من مثل هذه السلبيات، ووجّهه إلى الإيجابية التي تعتمد على الواقعية والهدف.

2. **أثر قصة الإسراء والمعراج على الأدب العربي:** وقد كان لقصة (الإسراء والمعراج) أثر كبير في الأدب العربي وهذا الأثر يبدو في مظهرين؛ أولهما ما نجده من امتداد حديث المعراج في روايات متعددة، ظهرت عليها علامات الوضع والتزيد، ويرى فيها الاضطراب وأطلق واضعوها العنان لخيالهم إلى حد كبير، وقد ثار حولها كلام كثير من قبل المحدثين والمفسرين والمؤرخين، ولا شك أن هذه الروايات من وجهة النظر الأدبية تعتبر كسبًا أدبيًا لفن القصة في الأدب العربي، والمظهر الثاني الذي يبدو فيه أثر قصة (الإسراء والمعراج) في الأدب العربي أيضًا، هو (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، التي تمثل رحلة خيالية إلى الجنة والنار، فلا شك أن قصة (المعراج) هي التي أوحت إليه بفكرة الرسالة، وما سجّله فيها من رحلة في عالم الغيب، ومقابلته لكثير من الشخصيات التي طواها الفناء، ومشاهدة بعض أحداث ذلك العالم الغيبي غير المنظور، وهذه عناصر تشترك فيها رحلة المعري مع حديث المعراج، فالمعراج رحلة إلى عالم غيبي، كان الرسول ﷺ في أثناء الرحلة وفي كل سماء يلتقي ببعض الأنبياء ويتحدثون معه ﷺ، كما أنه شاهد بعض أحداث ذلك العالم.

وقد أثر (المعراج) أيضًا في بعض متصوفة الأدب العربي كمحيي الدين بن عربي الأندلسي، حيث نجده في الفتوحات المكية يذكر العرش والسدرة، وأنوار الجليل تبارك وتعالى. وكذلك أبو زيد البسطامي كانت له رحلة روحية تخيل أنه قام بها إلى السماء، وهو يبدؤها بأنه رأى في المنام كأنه عرج به إلى السماوات ---.[300]

---

[299] صبح الأعشى، 1/454-455

[300] القصص في الحديث النبوي، ص 270-271

3. **التنويع في الموضوعات:** كما سلف في (موضوعات القصة النبوية) أن النبي ﷺ تناول في قصصه موضوعات عديدة، وقد أحصى البعض عددًا كبيرًا من القصص في الحديث النبوي ما يبلغ عددها إلى 139 نصًا تختلف في عرضها، مجردة عن التكرار وتعدد الروايات.[301]

هذه القصص النبوية هي ثروة عظيمة أثرت في القصة العربية والإسلامية من ناحية، وفي الأدب العربي من ناحية أخرى.

4. **الهدف:** كما تناولنا سابقًا في (أغراض القصة النبوية) كيف كانت القصة خاضعة للغرض الديني، مسخرة من أجل خدمته، وتوضيح قيمه ومبادئه، وتعميقها في نفوس المسلمين، وذلك لأن كل نشاط، فنًا قصصيًا كان أو غير ذلك، له هدف ورسالة ووظيفة في منطق الإسلام وهو تعبير قيم الإسلام.

والقصة النبوية تعطينا في هذا المجال مثالًا حيًا على أن الأدب الإسلامي أدب موجه، وهي قيمة نقدية يجب أن تأخذ مكانها اللائق في مجال النقد الأدبي في مجال القصة بخاصة. كما يجب أن ينظر إليها قصاصونا المسلمون بعين الاعتبار والأهمية.[302]

5. **الواقعية:** الواقعية في القصة النبوية تعني أنها تخبر عن أمور حدثت، وشخصيات وجدت، وأنه ليس فيها اختراع للشخصيات، أو تلفيق للحوادث، وهي واقعية في طريقة تناولها للموضوعات، وعرضها للشخصيات. وقد تجلت فيها أكثر ملامح الواقعية في القصة القرآنية، فهي واقعية مثالية، حيث تعرض لنا لحظات الهبوط التي تلم بالإنسان، ولكنها لا تقف عندها طويلًا، بل تصور لنا الإنسان وقد ارتقى وسما بعد هبوطه. وهذا ما نجده في قصة (ثلاثة كانوا في كهف فوقع الجبل على باب الكهف)[303] وقد ظهر عليها عندما همّ بها الخوف من الله عزّ وجل، فعفّ عنها وترك لها المال الذي أعطاها إياه.[304]

6. **الوسيلة النظيفة:** كانت القصة وهي تلم بلحظات الضعف عند الإنسان وتصورها، تستعمل وسيلة نظيفة تستطيع بها أن تنقل تلك اللحظة وتعبر عنها، ولكن دون أن ينزل التعبير نفسه،

---

[301] المصدر نفسه، ص 271-272

[302] القصص في الحديث النبوي، ص 270

[303] مسند أحمد، رقم الحديث: 17691

[304] خصائص القصة الإسلامية، ص 229

أو تنزل القصة ذاتها إلى مستوى تلك اللحظة الهابطة، ومن أجل ذلك تختار القصة طريقة مناسبة في التعبير والعرض تحقق لها الوسيلة النظيفة السامية ينشدها منهج الفن الإسلامي، ونستطيع أن نتبيّن مظاهر هذه النظافة في القصة النبوية في أكثر من أسلوب:

- **استعمال القصة للألفاظ والعبارات العفيفة عند عرض موقف الفاحشة، ولحظات الجنس، واستعمال الكنابات المناسبة، وتفضيلها على العبارات الصريحة المكشوفة، وقد نجحت القصة في هذا برغم ما في موضوعات الجنس من حرج شديد، واستطاعت أن تفي بالغرض الموضوعي والفني من خلال وسيلة رفيعة، كما نجد مثلًا في قصة (الكفل) مثل هذه العبارة (**--- على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ---)[305] وكذلك في قصة (الرجل والمرأة) حيث يقول وهو يراود المرأة عن نفسها: (لا والله ما هو دون نفسك) وقوله يصف حاله معها: (فلما تكشفتها)[306] ونجد هذه العفة في العبارة في قول المرأة نفسها وهي تخاطب الرجل حول هذا الموقف الجنسي (اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه).[307]

- **ونجد أن القصة النبوية تهمل أيضًا في وصف محاسن المرأة، وتصوير مفاتنها، وما هي عليه من إغراء، يثير تلذذ المتابع للقصة بمشاهدة الجنس المنحرفة.**

- كما نلاحظ أنه ﷺ يمرّ سريعًا بمواقف الضعف والهبوط، ولا يقف عندها طويلًا؛ لأنها لا تستحق ذلك، ولا تستأهله، وهي ليست سوى عارض من عوارض الحياة لا يلبث الإنسان أن يفيق منه، ويستعلي عليه.

- وعلى العكس من ذلك يقف طويلًا عند لحظة الإفاقة والارتفاع والسموء، لأنها جديرة في نظره ﷺ بالوقوف الطويل أمامها، والإعجاب بها، وتركيز الإضاءة عليها، لأنها اللحظة اللائقة بالإنسان.[308]

---

[305][305] الترمذي، رقم الحديث: 2420

[306] مسند أحمد، رقم الحديث: 17691

[307] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3206

[308] القصص في الحديث النبوي، ص 380-382

الفصل الثالث

أثر الحديث النبوي في الأمثال العربية

مدخل:

الأمثال لها أهمية كبيرة لدى كل الشعوب. وهي لا تقتصر على طبقة من طبقات المجتمع، كما لا تقتصر على أمة من الأمم. فكل من العامة والحكماء والأدباء والعلماء يضربونها على السواء.

لقد عرف العرب المثل منذ القدم. فقد جرى المثل على ألسنتهم مجرى الشعر. وأدبهم حافل بالأمثال المستقاة من حياتهم وأخلاقهم وعاداتهم، توضّح لنا أحوال معاشرتهم وهيئة اقتصادهم، ومعرفتهم ببيئتهم.

كان الرسول ﷺ أفصح العرب. وكان يعرف دور المثل ومكانته عند قومه، كما كان يتلو آيات الأمثال المضروبة للناس، ويجد أثرها في الرد والتحدي، والترغيب والترهيب. فحظي المثل باهتمامه كوسيلة من وسائل معينة على أداء مهمة تبيين الإسلام.

ففيما يلي نتناول الكلام حول المثل، والهدف من ضربه، وأهميته ومكانته، وتأليف العلماء في هذا الفن، وأنواعه، ثم عن أثر الحديث النبوي فيه.

الأمثال ومكانتها

الأمثال لغة:

الأمثال، جمع كلمة المثل، والمثل في اللغة كالمثْل، وهو الشبه[309] فالمثل الشيء الذي يضرب بشيء مثلًا فيجعل مثله.[310] وبه قال الزمخشري: المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ---ثم قيل للقول السائر مضربه بمورده[311]، وكذلك قال الإمام الراغب الإصفهاني إن "المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولًا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوّره نحو قولهم: الصيف ضيّعت اللبن"[312] فإن هذا القول يشبه قولك أهملت وقت الإمكان أمرك.[313]

وضرب المثل: هو اعتبار الشيء بغيره "واضرب لهم مثلًا"[314] أي اذكر لهم ومثّل لهم.[315] و"ضرب الله مثلًا"[316] أي وصف وبيّن، وقولهم: ضرب له المثل بكذا، إنما معناه بيّن له ضربًا من الأمثال أي صنفًا منها.[317]

المثل اصطلاحًا:

لقد عرّف العرب المثل فنيًا بعد أن عرّفوه لغة، فتناولوه من جوانب مختلفة، حتى اجتمعت لدينا العديد من التعريفات له، وكل تعريف يصوّر لنا جانبًا من جوانبه، حتى نستطيع أن نرى صورة كاملة له. ففي التالي بعض التعريفات للعلماء واللغويين، نحاول بها أن نرى رؤية كاملة للمثل:

1. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "هذا كتاب الأمثال، وحكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه".[318]

فالأمثال في هذا التعريف:

أ. الحكمة الناتجة عن التجربة.

---

[309] اللسان، مادة: ضرب
[310] المصدر نفسه
[311] الكشاف، 195/1
[312] مجمع الأمثال، 68/2
[313] مفردات القرآن، ص 482
[314] سورة يس: 13
[315] اللسان، مادة: ضرب
[316] سورة التحريم: 11
[317] اللسان، مادة: ضرب
[318] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 486/1

ب. كما أنه يزعم أن التعبير بالمثل كناية بطريقة غير مباشرة. وهذا غير صواب إذا أخذنا الكتاية بمعناها الاصطلاحي في علم البيان، لأن ثمة أمثال كثيرة في الأسلوب التمثيلي. أما إذا أخذنا الكناية في هذا التعريف بمعناها الاصطلاحي فهو صواب، ولا بأس به إذًا.

ت. والتعبير "إيجاز اللفظ" تعبير مصيب، لأن التعبير بالمثل عن تجربة أو موقف معيّن، أسهل في الصياغة من الناحية اللغوية، وأكثر اختصارًا من التعبير التجريدي المباشر، الخالي من التصوير.

ث. والتعبير "حسن التشبيه" يشير إلى أن أبا عبيد يعدّ (حسن التشبيه) من سمات الأمثال، فإنه لا شك، لا يمكن إلا في الأمثال التصويرية، غير أن كتابه يشتمل على عدد كبير من الأمثال غير التصويرية.[319]

2. أما ابن السكيت فيعرف المثل بما يأتي: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ".[320]

ويظهر في هذا التعريف أن التعبير (التصويري) غير المباشر، أمر ضروري كذلك.[321]

3. ويعرف المبرد المثل على النحو التالي: وهو قول سائر يشبه حال الثاني وبالأول.[322]

يتناول المبرد جانبًا آخر من المثل، وهو كونه قولًا سائرًا.[323]

4. ويقول الفارابي: المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوه به في السراء والضراء، واستداروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرحوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة.[324]

هذا التعريف يبرز قضية الأمثال وتداولها.

---

[319] الأمثال العربية القديمة، ص 23

[320] مجمع الأمثال للميداني، 6/1

[321] الأمثال العربية القديمة، 24

[322] مجمع الأمثال للميداني، 5/1

[323] الأمقال العربية القديمة، ص 25

[324] المزهر، 486/1

وفيما عدا ذلك، إمكانية التعبير عن أشياء لا يعبر عنها بطريق مباشر، إلا بصعوبة، وتلك ملاحظة صائبة جدًا.

ويتضح في هذا التعريف تأثير المثل النفسي العميق، إذ الأمثال تتحدث عن الحاجة الشخصية في ثوب إنساني عام، ولهذا يحسّ بها كل شخص على سواء.

وأخيرًا يبرز الفارابي، السمة اللغوية الفنية التي يمكن أن تكون للأمثال ويدلل على هذا بالاستحسان العام، الذي تلقاه الأمثال بين الناس.[325]

5. أما المرزوقي فيعرف المثل: المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فننقل عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها.[326]

ففي هذا التعريف توضيح لحقيقة المثل فهو يضرب في حالات مشابهة لمورده الأصلي، كما يظل مثلًا يضرب، وإن جهل أسبابه، ولا يغير لفظه في أية حالة من حالات استعماله.[327]

---

[325] الأمثال العربية القديمة، ص 25

[326] المزهر، 486/1

[327] الأمثال العربية القديمة، ص 25-26

الهدف من ضرب الأمثال

ولما كان الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعاني الذهنية المجردة، وتقريبها من العقل، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة، ليكون التأثر بتلك الصورة أشد وأقوى من الأفكار المجردة، كثر الاعتماد على هذا الأسلوب في القرآن الكريم، قال سبحانه: "ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون".[328]

حتى ضربت فيه الأمثال ببعض الأشياء التافهة، كما في قوله تعالى: "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلًا يضلّ به كثيرًا ويهدي به كثيرًا وما يضلّ به إلا الفاسقين".[329]

أهمية الأمثال ومكانتها

أهمية الأمثال الاجتماعية:

للمثل أهمية كبيرة بالنسبة إلى حياة العرب الاقتصادية والبشرية والاجتماعية والسياسية والقبلية، حتى قيل أن الشعر إذا كان ديوان العرب، فالأمثال تأتي بعده في الأهمية،[330] وقد بلغت

---

[328] سورة الزمر: 27

[329] سورة البقرة: 26

[330] الموسوعة العربية العالمية، 695/1

عنايتهم بالأمثال أحيانًا عنايتهم بالشعر، ولذلك قال جرجي زيدان: "إنها تجري على ألسنتهم مجرى الشعر".[331]

وقد عرّف العرب المثل فنيًا بعد أن عرفوه لغة[332] كجنس أدبي قائم بذاته، كالشعر والخطابة والقصة،[333] وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على أهمية ومكانة المثل لدى العرب واهتمامهم به.

وقد تعدّ الأمثال من أقدم وأعرق أنواع الأدب عند كل الشعوب تقريبًا، وفيها تتمثل روح الشعب وينعكس فيها الشعور والتفكير وطرائق التعبير، كما تحمل في طياتها صورة عن المجتمع بعاداته وتقاليده ومعتقداته.[334]

أهمية الأمثال الأدبية:

الأمثال لها أهمية أدبية رفيعة لدى كل الشعوب،[335] وهي لا تقتصر على طبقة من طبقات الناس، فكل من العامة والحكماء والأدباء والعلماء يضربونها على السواء، كما لا تقتصر على أمة من الأمم، لذا لا نجد أمة من الأمم إلا للمثل فيها وجود.

وسبب تداول الأمثال يرجع إلى أن النفس تأنس بها، وتقبلها بسرعة وتنقاد لما ضرب لها. وهذا أمر لا ينكره أحد.

وقد لوحظ أيضًا أن الأمثال كلما ضربت ازداد المعنى ظهورًا ووضوحًا.[336] وذلك لأن الأمثال تقرب المراد، وتفهم المعنى، وتوصله إلى ذهن السامع، وتحضره في نفسه بصورة المثال الذي مثّل به، فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير.[337]

فالعامة يستخدمون الأمثال في الحالات المتجددة ليعبروا بها عن شعورهم وأفكارهم وأغراضهم ومعتقداتهم، ليصلوا بها إلى المطالب القصية، ويفرحوا بها عن الكرب والمكربة.[338] فقد أثر عن ابن

---

[331] تاريخ آداب اللغة العربية، 57/1

[332] المعجم المفصل في الأدب، 758/2

[333] الموسوعة العربية العالمية، 696/1-697

[334] المصدر نفسه، 696/1

[335] المصدر نفسه، ص 695

[336] أعلام الموقعين، 291/1

[337] نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، ص 84

[338] المزهر، 375/1

المقفع قوله في أهمية المثل في حياة العامة: "إذا جعل الكلام مثالًا كان أوضح للمنطق، وآنف للسمع، وأوسع لشعب الحديث".[339]

ويضرب الحكماء والأدباء الأمثال كما يستعملها العامة من الناس، وذلك ليبينوا للناس تصرف الأحوال والأشباه والأشكال ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبًا وأقرب مذهبًا، ولذلك قال الله عزّ وجل: "ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل"[340] وقال: "وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال".[341]

والعلماء يضربونها لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكنًا فهو يحتاج إلى ما يدلّ عليه وعلى صحته، والمثل مقرون بالحجة. ألا ترى أن الله عزّ وجل لو قال لعباده: إني لا أشرك أحدًا من خلائقي في ملكي، لكان ذلك قولًا محتاجًا إلى أن يدل على العلة فيه ووجه الحكمة في استعماله، فلما قال: "ضرب لكم مثلًا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونكهم كخيفتكم أنفسكم"[342] كانت الحجة من تعارفهم مقرونة بما أراد أن يخبرهم به أنه لا شريك له في ملكه من خلقه، لأنهم عالمون أنهم لا يقرون أحدًا من عبيدهم على أن يكون فيما ملكوه مثلهم.

فلذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دوّنته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم ونطقت ببعضه على ألسن الوحش والطير- كما في كتاب كليلة ودمنة مثلًا- وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمونة إلى نتائجها، وتصريف القول فيها، حتى يتبين لسامعه ما آلت إليه أحوال أهلها عند لزومهم الآداب أو تضييعهم إياها.[343]

أهمية الأمثال التاريخية:

قد تحتفظ الأمثال بكثير من الحوادث التاريخية، فمثلًا المثل (أشأم من بسوس)[344] فبسوس حرب جرت بين بكر وتغلب ابني وائل دامت أربعين سنة. كان كليب بن ربيعة التغلبي أعزّ العرب في زمانه

---

[339] مجمع الأمثال للميداني، 8/1

[340] سورة الروم: 59

[341] سورة إبراهيم: 45

[342] سورة الروم: 28

[343] نقد النثر، ص 67

[344] مجمع الأمثال، 374/1

بالجاهلية. رأى يومًا ناقة البسوس ترعى أرضًا هي في حماه فأمر بقتلها. والبسوس هي خالة جسّاس بن مرة البكري. جساس يترقب الفرص حتى اغتال كليبًا، فثارت تغلب بقيادة المهلهل لدم كليب، ونشبت الحرب بين الحيين، تغلب وبكر، ولحقت جليلة بنت مرة بأبيها وقومها بعد مقتل زوجها كليب وكانت حاملًا فولدت الهجرس فرباه خاله جسّاس. ولما شب واكتشف نسبه لأبيه كليب قتل جسّاسًا ولحق بقومه تغلب. ثم اعتزل المهلهل الحرب وقال لقومه: قد رأيت أن تبقوا على قومكم فإنهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة وفني الحيان. وهاجر إلى اليمن ثم عاد بعد زمن وتوفي بين أهله وعشيرته. ولهذه الحرب أيام مشهورة من أيام العرب أشهرها الذنائب، عنيزة، واردات، قضة، التحالق.[345]

لذا نرى الميداني يذكر من أهم أيام العرب في ضمن أمثاله.

وكذلك الكثير من الحوادث الإسلامية التي اشتهرت كحادث الأشتر النخعي الذي قتل مسمومًا، وفرح الأمير معاوية بهذا الخبر وقال: "لله جنوده، منها العسل".[346]

وإذا أمعنا النظر في الأمثال وجدنا أن هناك حوادث ذكرت في الأمثال ولم يشر إليها المؤرخون في كتبهم.[347]

كما احتفظت الأمثال بكثير من شخصيات تاريخية اشتهروا بصفات أحبها العرب أم كرهوها، منهم: "أجود من حاتم"[348] و"أبلغ من القس"[349] و"أخلف من عرقوب".[350]

أهمية الأمثال ومكانتها عند العرب

لا تخلو أمة من الأمثال المتوارثة في الأعقاب[351] لكن الشرق وخاصة الشعوب السامية أميل الناس إلى ضرب الحكمة وإرسال المثل. وإذ كان العرب من الشعوب السامية والشرقية نبتت الحكمة على ألسنتهم نبتًا طبيعيًا، وانطلق المثل من أفواههم منطلقاً غنيًا، وذلك منذ بدايتهم في الجاهلية إلى عصورهم المتأخرة. زد على ذلك أن العرب احتكوا منذ القديم بالشعوب السامية الأخرى، واحتكوا

---

[345] المنجد في الأعلام، ص 132-133
[346] مجمع الأمثال، 11/1
[347] دائرة المعارف الأردوية، 525/18
[348] مجمع الأمثال، 182/1
[349] المصدر نفسه، 111/1
[350] المصدر نفسه
[351] تاريخ آداب اللغة العربية، 57/1

بالهند- التي أغنت الآداب العالمية بتراثها الحكمي الذي لا يحدّه حد ولا يحصره نطاق- وفارس وأخذوا عنها من الأمثال والحكم شيئًا كثيرًا ضمّوه إلى تراثهم وغذّوا به أجيالهم جيلًا بعد جيل.[352]

وهي تصوّر أمامنا الحياة الإنسانية وأحوال المعاشرة والهيئة الاقتصادية.

الأمثال السائرة، في العصر الجاهلي، توضح لنا مقدار معرفة العرب بطبائع الحيوان سواء كانت من الوحوش والسباع أو من الدواجن وحشرات الأرض.[353]

وما بلغنا من عدد وفير من الأمثال والحكم الجاهلية هي مستقاة من حياة البدوي وأخلاقه وعاداته، مصطبغة بصبغة الخاصة، ملتصقة شديد الالتصاق بالصحراء وحيوانها ونبالها وطريق العيش فيها، ملتصقة بحروب البدو وغزواتهم.

وإن حاولنا التعمق في الأمثال والحكم الجاهلية خرجنا بفلسفة بدائية طبيعية مفادها أن الحياة ميدان جلاد وكرامة، وأن الحق فيها للقوة، وأن زينة المرء شرفه --- وهكذا تبدو لنا الفلسفة الجاهلية فلسفة أخلاقية عملية، فلسفة مادية روحانية، ومسحة أخلاقية كريمة، وهكذا تبدو لنا تلك الفلسفة أنانية قبلية، تضطرب في حيّز ضيق، تحاول أن تعالج حسن التصرف في حياة البادية على أحسن طريقة ممكنة للحفاظ على الحياة الذاتية والقبلية، وللحفاظ على الشرف الذاتي والقبلي، وللحفاظ على الصيت الحسن والحياة الطيبة على ألسنة الناس.[354]

نستطيع القول إذن أن الأمثال تكوّن موسوعة كبيرة تعرفنا أحوال العرب في الجاهلية وإسلامهم، ومزايا لغة الناطقين بلغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي مرآة تعكس أحوال الناس الاقتصادية والذهنية، وهي تحاكي ميزانًا نزن بواسطته رقيّ الشعوب وانحطاطها.[355]

ونكتفي بما قاله ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد" عن الأمثال وأهميتها:

---

[352] العقد الفريد، 63/3

[353] المستقصي في أمثال العرب، ص 10

[354] الموجز في الآداب العربية وتاريخها، 69/1

[355] مجمع الأمثال، 1/9-10

"هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعنى والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها حتى قيل: أسير من مثل".[356]

ميزة الأمثال على الشعر:

وللأمثال من هذه الناحية ميزة على الشعر، ذلك أن الشعر تعبير طبقة من الناس يعدّون في مستوى أرقى من مستوى العامة. فالشعراء يعبرون عن شؤون القبيلة التي ارتسمت في أذهانهم الراقية- نوعًا من الرقي- وهم يعبرون بألفاظ مصقولة صقلًا يستوجبه الشعر. أما الأمثال فكثيرًا ما تنبع من أفراد الشعب نفسه، وتعبر عن عقلية العامة. ولذلك تجد كثيرًا منها غير مصقول، أعني أنه لم يتخير لها ألفاظ الأدباء ولا العقلاء الراقين، مثل قوله: "أول ما اطلع ضب ذنبه"[357] وقولهم: "أم قعيس وأبو قعيس كلاهما يخلط خلط الحيس".[358] وربما كان هذا هو السبب في أن بعض الأمثال العربية يفهم معناها إجمالًا لا تفصيلًا. قال أبو هلال العسكري في كتابه "جمهرة الأمثال" في شرح "بعين ما أرينّك":

"إن معناه (أعجل)، وهو من الكلام الذي قد عرف معناه سماعًا من غير أن يدلّ عليه لفظه، وهذا يدلّ على أن لغة العرب لم ترد علينا بكمالها، وأن فيها أشياء لم تعرفها العلماء".[359]

الأمثال صوت شعب العرب:

إن ما وصل إلينا من الشعر والخطابة ونحو ذلك هو لغة الأدباء المصقولة، لا لغة الشعب والعامة، ولم يصل إلينا من لغة العامة إلا بعض الأمثال.

ولا يعني ذلك أن كل الأمثال ساقطة التعبير غير مصقولة الألفاظ. ولكنها تمثل الشعب بأجمعه، فقد ينبع المثل من طبقة راقيًا مصقولًا، وقد ينبع من العامة فلا يكون كذلك. أما الشعر فلا ينبع إلى من طبقة الشعراء، وهم عادة أرقى من الشعب، وهم إن فات بعضهم رقيّ المعنى فلن يفوته

---

[356] العقد الفريد، 63/3

[357] مجمع الأمثال، 1:62

[358] المصدر نفسه

[359] جمهرة أمثال العرب، 236/1

صقل اللفظ، ومن أجل هذا عبّر بعضهم عن المثل بأنه "صوت". ومن أجل هذا أيضًا كانت الأمثال على لغة الشعب أصدق من دلالة الشعر.[360]

الأمثال تدل على ناحية العرب العقلية:

من ناحية دلالة الأمثال العقلية، نستطيع أن نتفهم الدرجة التي وصلت إليها العرب، ونستطيع أن نعرف كثيرًا من أخلاقها وعاداتها.

فإن نظرنا إلى أمثال العرب التي نسب إلى الجاهليين وجدنا بعضها نظرات للحياة متناقضة، مثل: "سمّن كلبك يأكلك" و"أجع كلبك يتبعك" وكثير منها نتيجة تجربة صادقة نظر هادي حكيم، مثل: "أخو الظلماء أعشى بليل" و"إن من الحسن شقوة" و"أم الصقر مقلات نزور" و"تجوع الهرة ولا تأكل بثديها" و"التمرة إلى التمرة تمر" و"الثكلى تحبّ الثكلى" و"الحرب مأيمة" و"بئس العوض من جمل قيده" و"بينهم داء الضرائر" و"ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل".

والعرب حقًا أجادوا في هذا النوع من الأدب، وخلّفوا لنا ما يدلّ على عقليتهم أكثر مما يدلّنا الشعر والقصص، ويظهر أن سبب ذلك أنه يوافق مزاجهم العقلي، وهو النظر الجزئي الموضعي لا الكلي الشامل، لأن المثل لا يستدعي إحاطة بالعالم وشؤونه، ولا يتطلب خيالًا واسعًا، ولا بحثًا عميقًا، إنما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة.

دلالة الأمثال على حياة العرب الاجتماعية:

تدلّنا الأمثال على حياة العرب الاجتماعية التي أجملناها من قبل، فنظرة إلى مجموعة الأمثال التي قيلت في المرأة، تدل على انحطاط منزلتها في نظرهم، والتي قيلت في الحياة الاقتصادية، تدل على فقر البلاد وإجدابها.[361]

تأليف العلماء في هذا الفن

نظرًا إلى أهمية الأمثال، اهتم العرب بها اهتمامًا بالغًا يدلّ على أن العلماء جعلوا من بين اهتماماتهم جمع الأمثال وتدوينها.

---

[360] فجر الإسلام، ص 60-61

[361] المصدر نفسه، ص 64-66

وقد عدّد ابن النديم في كتابه الفهرست عددًا كبيرًا من المؤلفات في الأمثال منذ منتصف القرن الأول الهجري. وهكذا ذكر الميداني في مقدمة كتابه بعض المصادر التي استفاد منها في تصنيف كتابه. كما رتّب رودلف زلهايم في كتابه (الأمثال العربية القديمة) كتب الأمثال ترتيبًا تاريخيًا.[362] فممن اهتم بالأمثال:

حوالي 81هـ/700م:	1. عبيد بن شربة 2. علاقة بن كريم 3. صحار بن عياش
حوالي 158هـ/775م	4. الشرقي بن القطامي 5. أبو عمرو بن العلاء 6. المفضّل الضبي
حوالي 174هـ/790م	7. يونس بن حبيب
حوالي 189هـ/805م	8. أبو فيد مؤرج
حوالي 205هـ/820م	9. النضر بن شميل 10. أبو عمرو الشيباني 11. أبو عبيدة
حوالي 220هـ/835م	12. أبو زيد 13. الأصمعي 14. اللحياني 15. سعدان بن المبارك 16. أبو عبيد

[362] الأمثال العربية القديمة، ص 223-225

حوالي 235هـ/850م	17. ابن الأعرابي 18. التوزي 19. ابن السكيت 20. محمد بن حبيب 21. الزيادي
حوالي 251هـ/865م	22. أبو عكرمة 23. الجاحظ 24. ابن قتيبة 25. البرقي 26. علي بن مهدي
حوالي 282هـ/895م	27. المفضل بن سلمة 28. ثعلب
حوالي 297هـ/910م	29. الأنباري
حوالي 331هـ/925م	30. نفطويه
حوالي 328هـ/940م	31. ابن الأنباري 32. الرياضي
344هـ/955م	33. القمي
359هـ/970م	34. حمزة الإصفهاني 35. الإصطخري
375هـ/985م	36. الخالع

	37. أبو أحمد العسكري 38. أبو بكر الخوارزمي
390هـ/1000م	39. أبو هلال العسكري 40. أبو الندي الغندجاني
406هـ/1015م	41. علي بن الحسن بن هندو
421هـ/1030م	42. الطالقاني
437هـ/1045م	43. أبو الفضل الميكالي
452هـ/1060م	44. مؤلف مجهول 45. القشيري
541هـ/1120م	46. الميداني
529هـ/1135	47. الزمخشري

وقد ضاع كثير من هذه الكتب. مع ذلك وصل إلينا عدد كبير من تلك المؤلفات، منها:

كتاب الأمثال للمفضل الضبي، وكتاب الأمثال لمؤرج السدوسي، وكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة، وكتاب الأمثال لابن الأنباري، وكتاب الأمثال للرياضي، وكتاب الأمثال لحمزة الإصفهاني، وكتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، وكتاب مجمع الأمثال للميداني، وكتاب المستقصي في أمثال العرب للزمخشري.

وقد يعدّ مجمع الأمثال للميداني من أكثر هذه المؤلفات دقة وتصنيفًا وشمولًا وضخامة ومادة.

أنواع الأمثال

ذكر الباحثون للمثل أنواعًا ثلاثة كما يلي:

1. **المثل الموجز السائر:** وهو إما شعبي لا تعمّل فيه ولا تأنق ولا تقيّد قواعد النحو، وإما كتابي صادر عن ذوي الثقافة العالمية كالشعراء والخطباء، كقولهم: "ربّ عجلة تهب ريثًا"[363] أو "كالمستجير من الرمضاء بالنار"[364] ومما جاء من هذا النوع قوله ﷺ "إن من البيان لسحرًا".[365]

وهذا أول ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظة المثل. ويدخل فيه الحكم الموجزة التي شاعت حتى أصبحت أمثالًا مثل "السرّ أمانة" و"العود أحمد" و"قد أعذر من أنذر" كما يدخل فيه أبيات الحكم. ويدخل في هذا النوع أيضًا الأمثال التي هي على وزن "أفعل من ----" كقول العرب: "أجود من حاتم" و"أبلغ من القس" و"أخلف من عرقوب".[366]

2. **المثل القومي:** سرد وصفي أو قصص أو صورة بيانية، لتوضيح فكرة ما، عن طريق التشبيه أو التمثيل،[367] ويسمّيه البلاغيون التمثيل المركب، فإنه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر، لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير، وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.[368]

وهذا النوع يكاد يكون معدومًا في مدونات الأمثال العربية القديمة، ولكنه موجود بكثرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل

---

[363] جمهرة الأمثال، 472/1

[364] مجمع الأمثال، 149/2

[365] صحيح البخاري، رقم الحديث: 4749

[366] الموسوعة العربية العالمية، 697/1

[367] المصدر نفسه، 697/1

[368] المصدر نفسه، 697/1

سنبلة مئة حبة"[369] وهكذا في الحديث النبوي: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا".[370]

3. **المثل الخرافي:** هو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان، لغرض تعليمي أو فكاهي وما أشبه ذلك، كقولهم: "أكلت يوم أكل الثور الأبيض" أو هو تلك الكلمات الموجزة السائدة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله، ومنها قول الضب حين احتكم إليه الأرنب والثعلب حول تمرة: "في بيته يؤتى الحكم"[371] كما نجد ذلك في كتاب كليلة ودمنة.

أثر الحديث النبوي في الأمثال

[369] سورة البقرة: 261

[370] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2313

[371] الموسوعة العربية العالمية، 697/1

اختار الله عزّ وجلّ محمدا ﷺ لإيصال دعوة الإسلام إلى الناس وتنبيهه لهم. فأدّى النبي ﷺ هذه المهمة أحسن القيام، واستعمل في أدائه عدة أساليب للإيضاح والتعليم، من أهمها أسلوب ضرب المثل.

لم يستخدم رسول الله ﷺ أسلوب المثل لغرض فني ليزيّن به كلامه، كما يفعل ذلك الأدباء، وإنما هدفه كان أرفع منه، وهو تجسيد المعاني الذهنية، وإلباس المعقول لباس المحسوس، حتى يتضح المبهم ويقترب البعيد.

وكذلك ضرب الأمثال من أساليب التربية، يحمل النفس على الخير، ويحرّضها على العمل الصالح، وينهاها عن المنكر والإثم. وهو كذلك يرفع مستوى العقل وينمّه وينشئه على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم.

هذه الأغراض وغيرها من أجلها ضرب النبي ﷺ طائفة من الأمثال في عدة مواضع وقضايا مختلفة، وأكثر اعتماده على هذا الأسلوب النثري، إذ كان يعرف ﷺ الدور الذي كان يلعبه المثل عند قومه ﷺ، والمنزلة التي كان يحملها المثل، كما كان يتلو آيات الأمثال المضروبة للناس، ويجد أثرها في الرد والتحدي، والترغيب والترهيب، فحظي المثل باهتمامه كوسيلة من وسائل معينة على أداء هذه المهمة.[372]

أثر الحديث النبوي في الأمثال

وإذا تأملنا الأمثال النبوية وجدنا التنويع فيها كصفة ظاهرة. فقد نوّع النبي ﷺ في المثل كله: في ممثّله، وموضوعاته، وأسلوبه، وأقسامه. وفي التالي نتناول كلًا منها بالترتيب:

---

[372] مقدمة حول الأمثال النبوية: الشبكة الإسلامية www.islamweb.net

1. **التنويع في الممثّل:** فقد نوّع النبي ﷺ في الممثّل وضارب المثل نفسه، فتارة أسند ضرب المثل إلى نفسه، كما ورد في صحيح البخاري: "عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة".[373]

وتارة أسند ضرب المثل لله عزّ وجلّ كما ورد في سنن الترمذي:

"عن النوّاس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله ﷺ إن الله ضرب مثلًا صراطًا مستقيمًا على كنفي الصراط زوران لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداعٍ يدعو على رأس الصراط وداعٍ يدعو فوقه والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع أحدٌ في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربّه".[374]

وتارة أسند ضرب المثل للملائكة كما في حديث البخاري:

"جابر بن عبد الله يقول جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلًا فاضربوا له مثلًا فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أوّلوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله ومحمدٌ فرق بين الناس تابعه قتيبة عن ليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن جابر خرج علينا النبي ﷺ".[375]

وتارة حكى ضرب المثل عن نبي من الأنبياء حكايته عن يحيى عليه السلام:

---

[373] صحيح البخاري، رقم الحديث: 3270

[374] سنن الترمذي، رقم الحديث: 2859

[375] صحيح البخاري، رقم الحديث: 6737

"إن الله أمر يحيى بن زكريا كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها وإنه كاد أن يبطئ بها فقال عيسى إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما تأمرهم وإما أن آمرهم فقال يحيى أخشى أن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذّب فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وعدّوا على الشرف فقال إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق فقال هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إليّ فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأيّكم يرضى أن يكون عبده كذلك وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صلّيتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرّة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدوّ فأوثقوا يده إلى عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه فقال أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدوّ في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله ---".[376]

2. **التنويع في الممثّل:** الدراسة العميقة للأدب النبوي تكشف لنا عن المواهب الأدبية الإبداعية التي كان يتمتع بها سيدنا ﷺ. فقد نوّع النبي ﷺ في الممثّل، وضرب المثل لعدد كبير من الأشياء. فضرب ﷺ المثل للمسلم المؤمن، فمثّله تارة بالفرس وقال: "مثل المؤمن كمثل الفرس على آخيّته يجول ثم يرجع إلى آخيته وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان".[377] ومثّله ﷺ بالنحلة تارة أخرى فقال: "مثل المؤمن كمثل النحلة إن أكلت أكلت طيّبًا وإن وضعت وضعت طيّبًا وإن وقعت على عود نخر لم تكسّره"[378] وتارة مثّله بسبيكة الذهب وقال: "مثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إن نفخت عليها احمرّت وإن وزنت لم تنقص".[379]

---

[376] سنن الترمذي، رقم الحديث: 2790

[377] مسند أحمد، رقم الحديث: 10907

[378] كنز العمال، رقم الحديث: 735

[379] المصدر نفسه

وكأن هذه الأمثال تتناول جميع أفراد المجتمع والأمة، فضرب ﷺ المثل لنفسه وللأنبياء وضرب للناس، وللمسلمين واليهود والنصارى وللأمة المسلمة والقائم على حدود الله والأمراء والجليس الصالح والجليس السوء وضرب المثل للمؤمن والفاجر، والمؤمن الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ والمنافق الذي يقرأ والذي لا يقرأ والمنافق وللصلوات الخمس وللمصلى الذي لا يتم ركوعه وللبخيل والمنفق والذي يعتق عند الموت ويتصدّق.

وكذلك ضرب المثل لأمته وهم يركبون البحر، ولصوم المتطوع، والمجاهد وللذاكر ولنبة الدنيا إلى الآخرة ولابن آدم والذي يتبع السيئات بالحسنات والهدى الذي جاء به. ---------- والبيت الذي يذكر فيه الله والقلب والذي يعين قومه على غير الحق والكاتم العلم ومعلّم الناس الخير والناس نفسه، والذي يتصدّق ثم يرجع.

3. **التنوع في موضوعات المثل:** فقد نوّع النبي ﷺ في موضوع المثل، وخصّب المثل بمواضيع متنوعة وأغراض عديدة لم يسبقه أحد فيها، من أمور العقيدة والعبادة، والأخلاق والزهد والدعوة وغير ذلك.

وفي التالي نقدّم بعض النماذج التي ساقها ﷺ:

- عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: "مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قومًا فقال رأيت الجيش بعينيّ وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا وكذّبته طائفة فصبّحهم الجيش فاجتاحتهم".[380]
- "إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها".[381]

4. **التنويع في الأسلوب:** فقد نوّع النبي ﷺ في أسلوب العرض وطريقة ضرب المثل، فاتخذ لضربه طرقًا متعددة، وأساليب مختلفة. فمن تلك الأساليب استخدام الإشارة التي تستعمل السامعين وتساعدهم على الفهم. وفي هذا الأسلوب تشترك أكثر حاسة في عملية التعليم، فالمخاطب يرى

---

[380] صحيح البخاري، رقم الحديث: 6001

[381] المصدر نفسه، رقم الحديث: 6002

الإشارة، ويسمع العبارة، فيكون ذلك أدعى للتذكر. والمثال لهذا الأسلوب ما ورد في صحيح البخاري من الحديث الذي أشار فيه النبي ﷺ بإصبعيه مؤكدًا قرب بعثته لقيام الساعة:

ومن ذلك أيضًا استعانته ﷺ بالرسم التوضيحي كوسيلة من وسائل التعليم والإيضاح، عندما تحدث عن قضية طول أمل الإنسان، وأجله الذي يحيط به:

"عن عبد الله رضي الله عنه قال خطّ النبي ﷺ خطًا مربّعًا وخطّ خطًا في الوسط خارجًا منه وخطّ خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا".[382]

ومثال آخر يدل على استعانته بالرسم التوضيحي، هو لما تكلم عن قضية اتباع سبيل الله وصراطه المستقيم والتحذير من سبل الشيطان الأخرى:

"عن جابر بن عبد الله قال كنّا عند النبي فخطّ خطًا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية: "وأن صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله"[383] [384].

5. **التنويع في أنواع المثل: فقد نوّع النبي ﷺ** في أقسام المثل، وكان ذلك أثرًا مباشرًا للقرآن فيه، لأنه ﷺ كان متأثرًا به أشدّ التأثر.

وكما مرّ الكلام عن أنواع الأمثال، ومنها كان المثل القياسي، الذي لا يكاد يوجد في مدونات الأمثال العربية القديمة، لكنه موجود بكثرة في القرآن والحديث النبوي،[385] ومن أمثاله:

"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنا

---

[382] المصدر نفسه، رقم الحديث: 5938

[383] سورة الأنعام: 153

[384] سنن الترمذي، رقم الحديث: 11

[385] الموسوعة العربية العامة، 697/1

خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا"[386]

وقد حرص النبي ﷺ على ضرب المثل في الأحداث والمواقف المتعددة لأهداف تربوية، ففي بعض المواقف كان يكفيه ﷺ أن يردّ ردًا مباشرًا لكنه آثر ضرب المثل لما يحمله من توجيه تربوي وسرعة في إيصال المعنى المراد وقد لا يؤدي غيره دوره في هذا المقام، فيراه الصحابة مرة نائمًا على حصير وقد أثر الحصير في جنبه فيقولون له: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: ما لي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"[387] حتى المشاهد التي تمر في حياة الناس، فلا يلتفتون إليها، ولا يلقون لها بالًا يجد فيها أداة مناسبة للتوجيه والتعليم وضرب الأمثال بها، يمرّ ومعه الصحابة على سخلة منبوذة فيقول لهم: أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها".[388]

هذه الشواهد- وغيرها كثير- تؤكد مكانة الأمثال في السنة النبوية، واهتمام النبي بها، وضرورة الاعتناء بالأمثال النبوية جمعًا وتحليلًا ودراسة، والاستفادة المثلى منها في المناهج التعليمية والبرامج التربوية والدعوية.[389]

---

[386] صحيح البخاري، رقم الحديث: 2313

[387] سنن الترمذي، رقم الحديث: 2299

[388] المصدر نفسه، رقم الحديث: 2243

[389] مقدمة حول الأمثال النبوية، ص 3

الفصل الرابع

أثر الحديث النبوي في الرسائل العربية

إن الرسالة هي أضعف الأجناس الأدبية العربية في العصر الجاهلي وأقواها بعد الإسلام. وذلك لأن الأمية هي الطابع الغالب على العرب، ومنهم قلة تعرف الكتابة. فمن الطبيعي أن القدر الذي أنشأه عرب الجاهلية من الرسائل فهو يسير، وما وصل إلينا من ذلك هو أيسر.

كانت رسائل النبي ﷺ اللبنة القوية التي قام عليها الصرح الإسلامي الشامخ، فقد بدأت بمعاهدة المشركين ثم قبول دعوته، وفي رسائله كان يأخذ الأمور بالتدرج بيسر وسهولة، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والرقة واللين.

ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وجد هناك قبائل يهودية عدة، فعاهدهم فدخلوا في دوبة وفاقية تحت سياسته، وكان أول عمل سياسي حقّقه بعد الهجرة أن عاهد القبائل التي سكنت بين المدينة وساحر البحر وكانت ديارهم في طريق قريش في رحلتهم الصيفية إلى الشام ومصر قصدها النبي بمعاونة حلفائه من هذه القبائل، كما عاهد قبائل خزاعة وغيرهم ممن سكنوا حول مكة.

ففي هذا الفصل سأتكلم عن الرسائلة، ثم عن الرسائل في العصر الجاهلي وبعد ذلك سألقي الضوء على الرسائل النبوية، وأخيرًا سأتحدث عن أثر الحديث على الرسائل.

فن الرسائل وتأثره بالحديث النبوي

الرسالة لغة:

الترسل أو الرسالة من مادة (الرسل أو الرسلة) وهو الرفق والتؤدة[390] أو هو الانبعاث على التؤدة[391] ويقال ناقة رسلة سهلة السير،[392] وجمل رسل كذلك[393] والرسل بالفتح السهل من السير يقال: سير رسل وهو أيضًا البعير السهل السير.[394]

والإرسال التسليط وبه فسّر قوله تعالى: "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزًّا".[395] أي سلطوا عليهم وقبضوا لهم بكفرهم.

وقيل الإرسال هنا الإطلاق والتخلية، والإرسال أيضًا الإهمال وهو قريب من الإطلاق والتخلية والإرسال أيضًا التوجيه وبه فسّر إرسال الله عزّ وجلّ أنبياءه عليهم السلام كأنه وجّه إليهم أن أنذروا عبادي.

والاسم الرسالة بالكسر والفتح والرسول والرسيل. والرسول بمعنى الرسالة يؤنث والرسول أيضًا المرسل[396] كما قاله الإمام راغب: والرسول يقال تارة للقول المتحمل وتارة لمتحمل القول والرسالة".[397]

وقال قدامة في اشتقاق الترسل في كتابه نقد النثر:

"والترسل من ترسّلت أترسّل وأنا مترسّل كما يقال توقّفت أتوقّف توقفًا وأنا متوقف. ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر، كما لا يقال تكسّر إلا لمن تردّد عليه الفعل في الكسر. ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة أرسل يرسل إرسالًا وهو مرسل، والاسم الرسالة. أو راسل يراسل مراسلة فهو مراسل، وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة. وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به من بعد أو غاب، فاشتق له اسم الترسل، والرسالة من ذلك".[398]

---

[390] اللسان، 281/11

[391] مفردات القرآن، 552/1

[392] اللسان، 281/11

[393] مفردات القرآن، 552/1

[394] تاج العروس، مادة: رسل

[395] سورة مريم: 83

[396] تاريج العروس، مادة: رسل

[397] مفردات القرآن، 552/1

[398] نقد النثر، ص 92

الفرق بين الرسالة والخطبة والشعر

إن الرسالة والخطبة أسلوبان نثريان مهمّان، تتشابهان في أشياء كثيرة، تتشابهان أيضًا في الألفاظ والفواصل، إذ ألفاظ الخطباء تماثل ألفاظ الكتّاب في السهولة والعذوبة، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسالة. كما أنهما تتشابهان لأن كليهما كلام يخلو من الوزن والقافية، ولا فرق بينهما من هذه النواحي.

قال صاحب الصناعتين يبيّن الفرق بين الرسالة والخطبة والشعر:

"إن الخطابة يشافه بها، والرسالة يكتب بها، والرسالة تجعل خطبة، والخطبة تجعل رسالة في أيسر كلمة، ولا يتهيأ مثل في الشعر من سرعة قبله وإحالته إلى الرسائل إلا بتكلفة، وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلان شعرًا إلا بمشقة".[399]

وتحدّث عن مجال كل فن من فنون الكلام فقال:

"ومما يعرف أيضًا من الخطابة والكتابة أنهما مختصان بأمر الدين والسلطان --- وليس للشعر بهما اختصاص، أما الكتابة فعليها مدار السلطان والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين، لأن الخطبة شطر الصلاة التي هي عماد الدين في الأعياد والجماعات، ولا يقع الشعر في أي شيء من هذه الأشياء موقعًا، ولكن له مواضع لا ينجح عن غيره من الخطب والرسائل وغيرها".[400]

تعدّ الخطابة أصعب من الترسل، لأن الخطيب لا يكون في فسحة أن يصلح خطأه، يقول في ذلك قدامة:

"والبلاغة في الجميع واحدة، والعيّ قريب من قريب. إلا أن الخطابة لما كانت مسموعة من قائلها، ومأخوذة من لفظ مؤلفها، وكان الناس جميعًا يرمقونه ويتصفحون وجهه، كان الخطأ فيها غير مأمون، والحصر عند القيام بها مخوفًا ومحذورًا.

فأما الرسائل فالإنسان في فسحة من تحكيكها (أي تنقيحها) وتكرير النظر فيها، وإصلاح خلل إن وقع في شيء منه. ثم هي نافذة على يد الرسول أو طيّ الكاتب، فقد كفي صاحبها المقام الذي ذكرناه، والحصر الذي وصفناه.

فلهذا صار الخطيب إذا ساوى المترسل في البلاغة كان له الفضل عليه، كما كان الفضل للشاعر إذا ساوى المتكلم في تجويد المعاني وبلاغة اللسان.

وقد قال عبد الله بن الأهتم: إني لست أعجب من رجل تكلم بين قوم فأخطأ في كلامه أو قصّر عن حجته، لأن ذا الحجا قد تناله الخجلة ويدركه الحصر ويعزّب عنه القول، ولكن العجب ممن أخذ

---

[399] كتاب الصناعتين، ص 130

[400] المصدر نفسه، ص 131

دواة وقرطاسًا وخلا بفكره وعقله، كيف يعزب عنه من أبواب الكلام يريده، أو وجه من وجوه المطالب يريده".[401]

الرسائل في العصر الجاهلي

هذا أمر صعب أن يقف على صورة واضحة صحيحة لرسائل العرب في العصر الجاهلي، وذلك لأن القدر الذي أنشأه عرب الجاهلية من الرسائل يسير جدًا، وما وصل إلينا من ذلك القدر فهو أيسر.

والنظر الفاحص فيها يظهر لنا أن بعض المنقول إلينا هو عن طريق المشافهة لا الكتابة، وهذا النقل يضعف الثقة في صحتها.

من أشهر الرسائل النثرية وأقدمها رسالة المنذر الأكبر إلى أنو شيروان ملك الفرس في صفة جارية أهداها إليه، وصحيفة المتلمس وطرفة بن العبد.

وبعض هذه الرسائل يشبه الوصية المكتوبة، كرسالة النعمان بن حميضة البارقي إلى أكثم بن صيفي.

---

[401] نقد النثر، ص 93

وأجمل ما بلغنا من الرسائل الجاهلية تلك الرسائل المرموزة الملغزة، وفيها ما فيها من دهاء العرب وذكائهم، وحسن تمرسهم بالمعضلات، وقدراتهم على حلّها. ومن أشهر رسائلهم الملغزة رسالة ناشب الأعور العنبري إلى قومه.[402]

ومن هذه الرسائل ما كان ينقل مرويًا باللسان، لا مكتوبًا على الطرس، فمنها رسالة أبي مرة جسّاس إلى المهلهل.[403]

نماذج الرسائل في العصر الجاهلي

1. إن المنذر الأكبر أهدى إلى أنو شيروان جارية كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر الغساني بن أبي شمر فكتب إلى أنو شيروان يصفها له وقال:

(إني قد وجّهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء قمراء وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شمّاء زجّاء برحاء أسيلة الخد شهية القد جثلة الشعر عظيمة الهامة بعيدة مهوى القرط عيطاء عريضة الصدر كاعب الثدى ضخمة مشاشة المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان لطيفة طي البطن خميصة الخصر غرتي الوشاح رداح القبل رابية الكفل لفاء الفخذين ريا الروادف ضخمة المأكمتين عظيمة الركبة مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم قطوف المشي مكسال الضحى بضة المتجرد سموعًا لسيد ليست بخنساء ولا سعفاء ذليلة الأنف عزيزة النفر لم تغذ في بؤس حيية رزينة حليمة ركينة كريمة الخال تقتصر بنسب أبيها دون فصيلتها وبفصيلتها دون جماع قبيلتها قد أحكمتها الأمور في الأدب فرأيه رأي أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان رهوة الصوت تزين البيت وتشين

---

[402] المزهر، 1/444-445

[403] الأدب الجاهلي، ص 716-719

العدو إن أردتها اشتهت وإن تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر وجنتاها وتذبذب شفتاها وتبادرك الوثبة ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست)[404]

2. رسالة النعمان إلى كسرى ينصح له فيها بالاعتماد على زيد بن عدي فقد توسّم النعمان في زيد كفاءة أبيه عدي ونجابته فاختاره معينًا لكسرى وقال في تقريظه:

(إن عديًا كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبه فأصابه ما لا بد منه وانقضت مدته وانقطع أكله ولم يصب به أحد أشد من مصيبتي وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلًا إلا جعل الله له منه خلفًا لما عظم الله له من ملكه وشأنه وقد أدرك له ابن ليس دنه وقد سرحته إلى الملك فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل)[405]

3. صحيفة ملك الحيرة (عمرو بن هند) يأمر عامله في البحرين أن يقتل المتلمس ونصّها:

(باسمك اللهم من عمرو بن هند إلى المكعبر إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيًا)[406]

4. رسالة النعمان بن حميضة البارقي إلى أكثم بن صيفي مثل لنا مثالًا نأخذ به فقال: (وقد حلبت الدهر أشطره، فعرفت حلوه ومرّه، عين عرفت فذرفت، إن إمامي ما لا أسامي، رب سامع بخبري لم يسمع بعذري، كل زمان لمن فيه، في كل يوم ما يكره، كل ذي نصرة سيخذل، تباروا فإن البر ينمي عليه العدد، كفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه، إن قول الحق لم يدع لي صديقًا، لا ينفع مع الجزع التبقي ولا ينفع مما هو واقع التوقي ----)[407]

5. رسالة ناشب الأعور العنبري إلى قومه:

(جمعت اللهازم لتغير على بني تميم وهم غارّون فرأى ذلك ناشب الأعور بن بشامة العنبري وهو أسير في بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقال لهم: أعطوني رسولًا أرسله إلى

---

[404] تاريخ الطبري، 477/1

[405] المصدر نفسه، ص 476

[406] الأغاني، 232/24

[407] جمهرة الأمثال، 493/1-495

أهلي أوصيهم في بعض حاجتي وكانوا اشتروه من بني أبي ربيعة فقالت بنو سعد: ترسله ونحن حضور، وذلك مخافة أن ينذر قومه فقال: نعم فأرسلوا له غلامًا مولّدًا لهم.

فقال لهم لما أتوه به: أتيتموني بأحمق فقال الغلام: والله ما أنا بأحمق فقال الأعور: إني اراك محنونًا قال: ما أنا بمجنون.

قال: فانيران أم الكواكب قال: الكواكب وكل كثير.

وقال آخر: إنه قال: والله ما أنا بأحمق، فقال الأعور: إن لك لعيني أحمق وما اراك مبلّغًا عني: قال بلى لعمري لأبلّغن عنك فملأ الأعور كفّه من الرمل.

فقال: كم في كفي، قال: لا أدري وإنه لكثير لا أحصيه فأومأ إلى الشمس بيديه فقال: ما تلك قال: الشمس.

قال: ما أراك إلا عاقلًا شريفًا اذهب إلى أهلي فأبلغهم عني التحية وقل لهم: ليحسنوا إلى أسيرهم ويكرموه فإني عند قوم محسنين إليّ مركمين لي وقل لهم: فيعروا جملي الأحمر ويركبوا ناقتي العيساء وليرعوا حاجتي في بني مالك وأخبرهم أن العوسج قد أورق وأن النساء قد اشتكت وليعصوا همّام بن بشامة فإنه مشؤوم محدود وليطيعوا هذيل بن الأخنس فإنه حازم ميمون.

فقال له بنو قيس: ومن بنو مالك هؤلاء قال: بنو أخي

وكره أن يعلّم القوم وزعم سليمان بن مزاحم أنه قال: وإذا أتيت أم قدامة فقل لها: إنكم قد أسأتم إلى جملي الأحمر وأنهكتموه ركوبًا فاعفوه وعليكم بناقتي الصهباء العافية فاقتعدوها.

فلما أتاهم الرسول فأبلغهم لم يدر عمرو بن تميم ما الذي أرسل به الأعور وقالوا: ما نعرف هذا الكلام ولقد جُنّ الأعور بعدنا.

قال هذيل للرسول: اقتص عليّ أول قصته فقصّ عليه أول ما كلّمه به الأعور وما رجعه إليه حتى أتى على آخره.

قال هذيل: أبلغه التحية إذا أتيته وأخبره أنا نستوصي بما أوصى به.

فشخص الرسول فنادى هذيل بلعنبر! فقال: قد بيّن لكم صاحبكم: أما الرمل الذي جعل في يده فإنه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى وأما الشمس التي قد أومأ ليها فإنه يقول: ذلك أوضح

من الشمس وأما جمله الأحمر فهو الصمّان وأما ناقته العيساء أو قال الصهباء فهي الدهناء يأمركم أن تتحرّزوا فيها وأما بنو مالك فإنه يأمركم أن تنذروهم ما حذّركم وأن تمسكوا بحلف ما بينكم وبينهم وأما إيراق العوسج فإنه القوم قد اكتسبوا سلاحًا وأما اشتكاء النساء فإنه يخبركم أنهن قد عملن لهم عجلًا يعزون بها والعجل".[408]

6. رسالة أبي مرة أبي جسّاس إلى المهلهل:

(إنك قد أدركت بثأرك، وقتلت جسّاسًا، فاكفف عن الحرب، ودع اللجاج والإسراف، وأصلح ذات البين، فهو أصلح للحيين، وأنكأ لعدوهم)[409]

خصائص الرسائل في العصر الجاهلي

أ. يظهر من رسائل العصر الجاهلي أن لها أنواعًا تالية:

1. نوع مكتوب على طرس (كرسالة المنذر الأكبر إلى أنو شيروان) أو (صحيفة المتلمس وطرفة بن العبد)
2. ونوع روي عن طريق المشافهة، لا الكتاب (كرسالة مرة أبي جسّاس إلى المهلهل)

---

[408] الزهر، 1/444-445

[409] الأدب الجاهلي، ص 718

3. ونوع تراسل به العرب داخل بلاد العرب (كرسالة ناشب الأعور العنبري إلى قومه)

4. ونوع أرسل إلى أجنبي خارج الجزيرة العربية (كرسالة النعمان إلى كسرى)

ب. ويظهر من هذه النصوص أن الرسائل في العصر الجاهلي، موجزة وتعبّر عن الأفكار بأقل الألفاظ ومن مظاهر الإيجاز خلوّها من المقدمات، والهجوم على الغرض عادة بلا كلمات تمهيدية.

ت. التمهيد للغرض بجملة تقليدية مألوفة، هي ذكر اسم الله وتميّزت رسائل قريش بالمقدمة المألوفة (باسمك اللهم)

ث. تعبير الأفكار بأوضح كلمات، بلا تكلف وصنعة.[410]

الرسائل النبوية

المراسلة عملية حضارية هامة، ولها أثر في حياة البلاد، وليس هناك أي حاجة إلى أن تدلنا أن شأن هذه العملية انتظم لقيام الدولة الإسلامية. فقد أدرك رسول الله ﷺ أهمية المراسلة كوسيلة من وسائل الدعوة والإعلام، فاتخذ عددًا كبيرًا من الكتّاب، وراسل كثيرًا من ملوك العرب والعجم، وشيوخ القبائل، وزعماء الأقوام --- يدعوهم إلى الإسلام وإجابة الدعوة الإسلامية.

وتوجد الرسائل النبوية متفرقة في سيرة ابن إسحاق والطبري والواقدي والبلاذري وطبقات ابن سعد وكتب الحديث وفي العقد الفريد وصبح الأعشى وسواها؛ ومن أهمّ هذه المراجع كتاب الطبقات فقد أفرد ابن سعد فيه فصلين ذكر فيهما وفود القبائل إلى النبي والرسائل والعهود التي

[410] المصدر نفسه، ص 719

كتبها لهم، كما جمعها المحقق الدكتور محمد حميد الله في مجموعة سمّاها (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة).

وتقع هذه العهود في ثلاثة أدوار رئيسية.

الدور الأول

هذا الدور يبتدئ بهجرة النبي ﷺ وينتهي بغزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة. نلاحظ في هذه الرسائل:

أنها تخلو من التاريخ وكلها رسائل سياسية، وذلك لأن المركز النبوي في السنوات الأولى من الهجرة كان شاقًا، وكان قصده من محالفته مع القبائل أن يستعين به على إضعاف قوة قريش. ولذلك نراه يعقد المعاهدات معهم وهم على حالهم من الإشراك.[411] ومن رسائله في هذا الدور رسالته:

إلى نعيم بن مسعود الأشجعي:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما حالف عليه نعيم بن مسعود بن رخيلة الأشجعي. حالفه على النصر والنصيحة ما كان أحد مكانه. ما بل بحر صوفة، وكتب علي".[412]

لم يشترط النبي ﷺ فيها الإسلام على القبائل، وإنما هو معاهدة حربية يراد بها أن يقوي مركز المسلمين ضد مشركي قريش.

ومثله العهد الذي كتبه لبني غفار، والذي نرى فيه قبول النبي بمساواة المسلمين بغير المسلمن، ونصه ما يلي:

"قالوا وكتب رسول الله ﷺ لبني غفار: إنهم من المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وأن النبي عقد لهم ذمة الله وذمة رسوله على أموالهم وأنفسهم وله النصر على من بدأهم بالظلم وأن النبي إذا دعاهم لينصروه أجابوه وعليهم نصره إلا من حارب في الدين- ما بلّ بحر صوفة- وأن هذا الكتاب لا يحول دون إثم".[413]

---

[411] تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 23-24

[412] الطبقات الكبرى، 274/1

[413] المصدر نفسه، 274/1

ومن مميزات رسائل هذا العصر أنها من أقدم ما كتبها الرسول ﷺ وأكثرها قصير، ومن أمثلتها: وله لبني زرعة وبني الربيعة من جهينة: إنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل ولأهل باديتهم من برّ منهم واتقى ما لحاضرتهم والله المستعان".[414]

ونهج الرسول ﷺ هذا المنهج في رسائله السياسية الأخرى.

الدور الثاني

هذا الدور ما بين السنة الخامسة وفتح مكة سنة 8 للهجرة فغزوة تبوك وفي هذا العصر أخذ نجم المكيين بالأفول وبدأ أمر الإسلام يستقر. نلاحظ في رسائل هذا العصر:

1. أن النبي ﷺ- على العكس مما كان يفعل في رسائل الدور الأول من الميل إلى محالفة المشركين مع بقائهم على كفرهم لأجل ضعف مركزه- أصبح في أكثر عهوده يشترط الإسلام على القبائل المهادنة، على أنه لم يشدد في ذلك قبل فتح مكة كما نستدل من ملاينته لقريش عام الحديبية (6هـ) فقد عقد مع زعيمهم عهدًا هذا نصه:

(باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد لله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكفّ بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ومن جاء قريشًا ممن مع رسول الله لم تردّه عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه)[415]

فمن هذا الكتاب نرى أن الرسول يوادع قريشًا ويحاربهم رغبة في صرف جهوده عنهم إلى جهة أخرى.

---

[414] المصدر نفسه، 270/1

[415] تاريخ الطبري، 1546/3

2. نرى بعد ذلك أنه ﷺ أخذ يبعث السرايا والرسل إلى القبائل قريبها وبعيدها. وفي كتبه إليهم نراه ذا القوة النافذة والكلمة العليا، ونرى الناس بعدها يدخلون في دين الله أفواجًا ويتضح هذا في مثال ذكره ابن سعد في طبقاته:

"إن العربي أتاه كتاب رسول الله ﷺ فرقع به دلوه فقالت له ابنته ما أراك إلا ستصيبك قارعة، أتاك كتاب سيد العرب فرقعت به دلوك. فمرّ به جيش لرسول الله ﷺ فاستباحوا كل شيء له فأسلم. وأتى النبي ﷺ فأخبره فقال له رسول الله ما أصبت من مالك قبل أن يقسمه المسلمون فأنت أحقّ به".[416]

ومن رسائله في هذا الدور:

لبني الجرمز بن ربيعة وهم من جهينة: إنهم آمنون ببلادهم ولهم ما أسلموا عليه وكتب المغيرة ومنها- إلى هودة بن علي صاحب اليمامة وكان نصرانيًا (من محمد رسول الله إلى هودة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك).[417]

وكتابه إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان وهو:

(من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًا ويحقّ القول على الكافرين وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإني أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر بيوتي في ملككما وكتب أبي بن كعب).[418]

ومن مثل ذلك كتابه إلى أهل نجران:

---

[416] الطبقات الكبرى، 281/1

[417] صبح الأعشى، 1365/6

[418] المصدر نفسه، 336/6

(بسم الله الرحمن الرحيم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب الإسلام).[419]

وكتابه إلى المنذر بن ساوي العبدي قال الطبري وفيها (سنة 8) بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي وكتب إليه كتابًا جاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى المنذر بن ساوي سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن كتابك جاءني ورسلك وإنه من صلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فإنه مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ومن أبى فعليه الجزية قال فصالحهم رسول الله ﷺ على أن على المجوس الجزية لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم).[420]

وفي السنة 9 للهجرة وفد أهل الطائف على النبي ﷺ يريدون البيعة والإسلام فأبوا أن يحيّوه إلا تحية الجاهلية وطلبوا منه أن يدع اللات ثلاث سنين وأن يعفيهم من الصلاة[421] لكن النبي ﷺ أبى ذلك وبعد لأي أسلموا، فكتب لهم كتابًا يقول فيه:[422]

(إن لهم ذمة الله وإن واديهم حرام عضاهه وصيده وظلم فيه. وإن ما كان لهم من دين إلى أجل فبلغ أجله فإنه لياط مبرّأ من الله ورسوله وإن ما كان لهم من دين في رهن وراء عكاظ فإنه يقضى إلى رأسه ويلاط بعكاظ).

وفي رواية أخرى جاء:[423]

(قالوا وسأل وفد ثقيف رسول الله ﷺ أن يحرم لهم وجأ فكتب لهم: هذا كتاب من محمد رسول الله إلى المؤمنين أن عضاه وجأ وصيده لا يعضد فمن وجد يفعل ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ النبي. وهذا أمر النبي محمد بن عبد الله رسول الله. وكتب خالد ابن سعيد بأمر النبي بن عبد الله فلا يتعدبنه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد بن عبد الله)[424]

---

[419] المصدر نفسه، 367/6

[420] تاريخ الطبري، 145/2

[421] المصدرنفسه، 180/2

[422] العقد الفريد، 135/1

[423] الطبقات، 285/1

[424] تاريخ الطبري، 179/2

3. وفي هذه الرسائل وغيرها ألزم النبي ﷺ الإسلام أو الجزية من شروط معاهداته.

4. ولما استقرّ أمر المسلمين في المدينة، انصرف النبي ﷺ إلى نشر دعوة الإسلام فأسلمت القبائل على نطاق واسع، وأصبحت الجزيرة العربية أهم حواضر الجزيرة العربية.[425]

الدور الثالث

كتبت معظم رسائل العصر في السنتين الأخيرتين من العهد النبوي وخاصة بعد غزوة تبوك، ووردت بعضها في تاريخ الطبري في أخبار السنة التاسعة.[426]

بلغ النبي ﷺ في هذا الدور أعلى درجات القوة وبدأ يستفيد من مركزه الحربي والديني، ولم يرض بقبول الإسلام أو الجزية، بل أوجبت الزكاة على القبائل الحلفاء على أساس الإسلام، وبعث العمال أو الأمراء على الصدقات.[427]

ومن هذه الرسائل ردّه ﷺ على رسالة ملوك حمير التي أعلن فيها إسلامه الحارث بن عبد كلال:
(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر، أما بعد ذلكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم وخبر ما قبلكم وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين وإن الله قد هداكم بهدايته إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكوة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم نبيه وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وما سقت السماء وكل ما سقي بالغرب نصف العشر وفي الإبل في الأربعين ابنة وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر وفي كل خمس من الإبل شاة وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل أربعين من البقر بقرة وفي ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة فمن زاد خيرًا فهو خير له ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإن له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى حرّ أو عبد دينار وافٍ أو قيمته من المعافر أو عرضه ثيابًا فمن أدّى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدوّ لله

---

[425] تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 23-38

[426] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[427] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

ولرسوله أما بعد فإن رسول الله محمدا النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتتكم رسلي فأوصيكم بهم خيرًا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرة وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وبلغوها رسلي وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إليّ راضيًا أما بعد فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدّثني أنك أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فأبشّر بخير وآمرك بحمير خيرًا ولا تخونوا ولا تخذلوا فإن رسول الله مولى غنيكم وفقيركم وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهله وإنما هي زكاة يتزكى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل وإن مالكًا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرًا وإني قد بعثت إليكم من صالحي أهلي وأولي ديني وأولي علمهم فآمركم بهم خيرًا فإنه منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).[428]

ومن هذه الكتب كتابه إلى همدان[429] وكتابه إلى أكيدر[430] وكتابه إلى وائل بن حجر[431] وأهل حضرموت.[432]

نظرة في لغة هذه الرسائل وأسلوبها

تتميز الرسائل النبوية بمزايا خاصة ألخّصها فيما يلي:

1. **التعبير المجرد عن الأفكار والمعاني:** إن ما يتضح من مجمل رسائل النبي ﷺ أنها تهدف إلى الغرض الرئيسي دون أي مراعاة للمحسنات اللفظية أو الغلو في اختيارها. فإنه ﷺ لم يهتم إلا أن يوصل إلى الناس كلامه سهل اللفظ، واضح المعنى، جيد السبك، وأن يتحقق لها حسن الفهم وسلامة الإدراك لما تحمله من مقاصد سياسية ودينية واجتماعية.

هذا هو الغرض الأساسي الذي كان مطمع نظر النبي ﷺ عند كتابة هذه الرسائل، وتوجيهها وجهة خاصة، حتى أن رسائل ما تمتاز به من خصائص لغوية أسلوبية نتج عنها وأسهم في تعزيزها.[433]

2. **الإيجاز والبساطة:** إن رسائل النبي ﷺ كلها تشهد على أن النبي ﷺ كان يؤثر الإيجار واكتفى بأقل الألفاظ، ويتجنب من الصناعات اللفظية،[434] فلا يوجد في رسائله ﷺ أي شكل من أشكال

---

[428] الطبري، 191/2

[429] صبح الأعشى، 360/6

[430] الطبقات، 288/1

[431] مجمع الزوائد، رقم الحديث: 16006

[432] صبح الأعشى، 284/6

[433] الأدب العربي (حبيب يوسف مغنية)، ص 312

الصنعة والتكلف، مثل تسجيع الألفاظ، وتقسيم العبارات وإعمال التوازن والتقطيع فيها، وما إلى ذلك من ألوان البديع التي أخذت تغزو الكتابة في العصور التالية.[435]

3. **اللغة والتعبير:** لغة رسائل النبي ﷺ وتعبيرها أقرب إلى لغة المحادثة والتخاطب،[436] فهو يستخدم تعبير الكلمات في معانيها الوضعية، كما أن المعاني ذهنية، ورودت محمّلة بالدلالات نفسها التي كانت لها في أصل وضعها اللغوي، وهي لا تجري في صور فنية، ولا تحجبها عن الأذهان أساليب بيانية.[437]

ونذكر من رسائله الرسالة التي كتبها إلى بني زرعة وبني الربيعة من جهنية "إنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا في الدين والأهل ولأهل باديتهم من برّ منهم واتقى ما لحاضرتهم والله المستعان".[438]

4. **الأسلوب:** إن أسلوب رسائل النبي ﷺ أسلوب طبيعي عفوي، يبعد كل البعد عن الصور البيانية، التي تبهم مراد الكلام، وتصرف الذهن عن الغرض الأساسي، أو يعيق الفهم عن تدبر المعاني المقصودة وإدراك مراميها بسهولة وبدقة متناهية ووضوح تام.[439]

5. **مناسبتها لحال المخاطب:** كان النبي ﷺ دومًا يكلّم عامة الناس وخواصهم في لغة قريش، إلا أنه علّمه ربه وأدّبه، وآتاه جوامع الكلم وجمع إلى سهولة الحاضرة جزالة البادية فكان يخاطب أهل نجد وتهامة وقبائل اليمن بلغتهم.[440]

لذا تكثر في الرسائل النبوية كلمات تناسب حال المخاطب- كالعباهلة والتبعة والفريش والسيوب والوراط وعشرات غيرها من الألفاظ التي يقلّ أو يندر استعمالها في غير ذلك.

6. **وضع اللغة:** يوجد في الرسائل النبوية أوضاع لغوية خاصة ما لا يوجد في غير هذه الرسائل مثل:

ما بل (ال)بحر صوفة: من أبديات العرب أي أبدًا أي على الدوام أو إلى ما لا يجد من الزمن.

لم آثم مالكم: أي لم أجازكم على مالكم من أعمال تستوجب الجزاء.

---

[434] تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 37

[435] الأدب العربي (حبيب يوسف مغنية)، ص 312

[436] تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 37

[437] الأدب العربي (لمغنية)، ص 312

[438] المصدر نفسه، 270/1

[439] الأدب العربي (لمغنية)، ص 313

[440] صبح الأعشى، 260/2

إن لهم سعاية: أي صدقة.

وليقم فلان: أي ليتولّ الأمر أو ليقم بالصلاة في الناس وجمع الصدقات.

لا يحاقّه في ذلك أحد: أي لا يدّعي أن له حقًا فيه.

من اطلع أهل مقنا بخير: أي من أسدى إليهم معروفًا.

الليل مدّ والنهار شدّ: أي يمدّه الليل (بخير) ويشدّه النهار أي لا ينقص ذلك الخير شيء.

فلابن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتثم: أي أن يأكل ما أراد من غير أن يستأصل ويحمل معه.

وإن الله ورسوله جار على ذلك: أي حليف أو مناصر.

وأمثال تلك الأوضاع التي تكاد تنحصر في العهود النبوية.[441]

7. **جريانها:** تتابع العبارات في كثير منها بعطف أو غير عطف دون تكلف التعادل بينها أو صحف التقسيم فيها كقوله:

(إلى مسيلمة الكذاب- بلغني كتابك الكذب والافتراء على الله، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى).[442]

وقوله: (هذا ما حالف عليه نعيم بن مسعود --- حالفه على النصر والنصيحة ما كان أحد مكانه ما بل بحر صوفة وكتب علي)[443]

وهذا ما جعلها تنساب انسيابًا حرًا لا يعيق جريانها عوائق من أدوات الربط والوصل والزوائد اللفظية الأخرى إلا ما كان منها ضروريًا يسهم في وضوحها وسلامتها لغويًا ومعنويًا.[444]

خصائص الرسائل النبوية وأثرها على الرسائل العربية

كانت الرسائل أضعف فنون الأدب العربي قبل الإسلام وأقواها بعد ظهوره. وهي مدينة للإسلام بكيانها وبنيانها وعناصرها. فالنبي ﷺ سنّ فيها سننًا، عمل بها الصحابة ثم بعدهم المسلمون.

---

[441] تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 37

[442] الطبقات، 273/1

[443] تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 37-38

[444] الأدب العربي (لمغنية)، ص 313

نوّع النبي ﷺ الرسائل وخصّبها بأساليب عديدة في استفتاحها، وافتتاحها، وصدراتها، والسلام، والتحميد بعد السلام، والتشهد بعد التحميد، والتخلص إلى المقصود، وتحليتها بآي من القرآن الكريم، واختتامها بالسلام.

وفي التالي نتناول أهمّ خصائص الرسائل النبوية، التي أعطت للرسالة هيكلها والتي ظلّت فيما بعد مرجع علماء الأدباء والمسلمين:

1. **استفتاح الكتب بالبسملة:** كانت قريش قبل البعثة تكتب في أول كتبها أو رسائلها (باسمك اللهم) ولما جاء الإسلام أبطلها، واستفتح رسول الله ﷺ كتبه بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) وذلك بعد أن نزل قوله تعالى: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)[445] وصارت سنة بعده ﷺ.[446]

وروى ابن سعد في طبقاته، أن رسول الله ﷺ كان يكتب كما تكتب قريش (باسمك اللهم) حتى نزل عليه (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها)[447] فكتب (باسم الله)، حتى نزل (قل ادعوا الله أو الرحمن)[448] فكتب (بسم الله الرحمن) حتى نزل (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)[449] فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)[450]

وله- عليه السلام- أقوال كثيرة في أهمية البسملة، منها: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع)[451] أي ناقصة البركة.

2. **افتتاح الكتب:** لم يقتصر النبي ﷺ في افتتاح كتبه على أسلوب واحد، وإنما استخدم عدة أساليب. فكان قد يفتتح الكتاب بلفظ (من محمد رسول الله إلى فلان) وقد يفتتح بلفظ (هذا كتاب).

واستخدم هذين الأسلوبين في كتبه إلى أهل الإسلام وأهل الشرك كليهما، مثل:

- رسالته إلى خالد بن الوليد (أهل الإسلام):

---

[445] سورة النمل: 30

[446] صبح الأعشى، 211/6

[447] سورة هود: 41

[448] سورة الإسراء: 110

[449] سورة النمل: 30

[450] طبقات ابن سعد، 264/1

[451] كشف الحفاة، 959/2

(من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا ----)[452]

- رسالته ﷺ إلى هرقل (أهل الكفر):

(من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله ---)[453]

- وكرسالته ﷺ إلى قبيلة همدان من اليمن:

(هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار لمالك بن نمط ---)[454]

- كرسالته مع رفاعة بن زيد إلى قومه:

(هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ---)[455]

وأحيانًا افتتح بلفظ (سلّم أنت):

- ككتابه إلى المنذر بن ساوي:

(سلّم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإن من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ---)[456]

كما افتتح بلفظ (أما بعد) وهذا أسلوب يخلو من الابتداء والتصدير بالسلام والتحميد:

- ككتابه إلى أهل نجران:

قال بعد البسملة (أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ---)[457]

3. **صدارة الكتب:** كان رسول الله ﷺ يأتي في صدور الكتب بالسلام. فكان يقول في خطاب المسلم (سلام عليك)[458] كما قال لخالد بن الوليد:

(من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ---)[459]

---

[452] البداية والنهاية، 98/5

[453] تاريخ ابن خلدون، 1266/2

[454] صبح الأعشى، 1260/6

[455] سيرة ابن هشام، 296/5

[456] تاريخ الطبري، 145/2

[457] صبح الأعشى، 367/6

[458] المصدر نفسه، 352/6

وربما قال: (السلام على من آمن بالله ورسوله)[460] كما كتب إلى بني نهد:

(من محمد رسول الله إلى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله ---)[461]

وفي خطاب الكافر، كان يقول: (سلام على من اتبع الهدى)[462] كرسالته إلى كسر أبرويز ملك الفرس:

(من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ----)[463]

أو كرسالته إلى مسيلمة الكذاب أو إلى النجاشي:

وربما أسقط السلام من صدر الكتاب[464] كرسالته إلى صاحب مصر:

(من محمد رسول الله إلى صاحب مصر أما بعد فإن الله أرسلني رسولًا وأنزل عليّ قرآنًا ---)[465]

4. **التحميد بعد السلام:** كان قد يأتي ﷺ في صدور الكتب بالتحميد بعد السلام. فيقول: (فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو)[466] ككتابه إلى خالد بن الوليد[467] أو إلى المنذر بن ساوي.[468]

وربما ترك التحميد ككتابه إلى بني نهد[469] (وقد مرّت الأمثلة)

5. **التشهد بعد التحميد:** كان النبي ﷺ قد يأتي بعد التحميد بالتشهد أيضًا كرسالته إلى المنذر بن ساوي:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد ---)[470]

وقد لا يأتي به، ككتابه إلى خالد بن الوليد.[471]

---

[459] البداية والنهاية، 98/5
[460] صبح الأعشى، 352/6
[461] المثل السائر، 166/1
[462] صبح الأعشى، 352/6
[463] البداية والنهاية، 306/6
[464] صبح الأعشى، 362/6
[465] المصدر نفسه، 364/6
[466] المصدر نفسه، 352/6
[467] البداية والنهاية، 98/5
[468] تاريخ الطبري، 145/2
[469] المثل السائر، 166/1
[470] عيون الأثر، 352/2
[471] صبح الأعشى، 352/6

6. **التخلص إلى المقصود:** كان النبي ﷺ يتخلص من صدر الكتاب إلى المقصود تارة بـ(أما بعد) ككتابه إلى فروة بن عمرو:

(من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو أما بعد، فقد قدم علينا رسولك ---)[472]

وقد مرّت أمثلة غير هذا.

وتارة قصد المقصود بغير (أما بعد) ككتابه إلى طهقة النهدي وقومه:

(من محمد رسول الله إلى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله ---)[473]

7. **الاقتباس من القرآن:** كما مرّ عن تأثر النبي ﷺ بالقرآن واقتباسه منه في جميع أساليب كلامه ﷺ من الأمثال والقصة والخطبة لذا لا نجد رسالة صدرت منه إلا وفيها آية من آي الذكر الحكيم فمثلًا رسالته إلى هرقل:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين و(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[474]

ورسالته إلى النجاشي:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلّم أنت فإني أحمد إليك الله (الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن)[475] وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله (وكلمته ألقاها إلى مريم)[476] البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفرًا معه من

---

[472] صبح الأعشى، 354/6

[473] المثل السائر، 166/1

[474] سورى آل عمران: 64

[475] سورة الحشر: 23

[476] سورة النساء: 171

المسلمين فإذا جاءك فأقرّهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي (والسلام على من اتبع الهدى)[477]

8. **تعبيره عن نفسه عليه السلام:** كان يعبّر عن نفسه ﷺ في أثناء كتبه بلفظ الإفراد مثل (أنا) و(لي) و(جائني) و(وفد عليّ) وما أشبه ذلك وربما أتى بلفظ الجمع مثل (بلغنا) و(جاءنا) ونحو ذلك.[478]

9. **خطابه المكتوب عليه:** يخطاب المكتوب إليه عند الإفراد بكاف الخطاب، مثل (لك) و(عليك) وتاء المخاطب مثل (أنت قلت كذا وفعلت كذا) وعند التثنية بلفظها مثل (أنتما) و(لكما) و(عليكما) وعند الجمع بلفظه مثل (أنتم) و(لكم) و(عليكم) وما أشبه ذلك.[479]

10. **اختتام كتبه بالسلام:** كان يختم كتبه بـ(والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) تارة وربما اقتصر على (والسلام على من اتبع الهدى)[480]

---

[477] سورة طه: 47

[478] صبح الأعشى، 6/351-352

[479] المصدر نفسه

[480] المصدر نفسه، ص 352

أثر الحديث في الرسائل

كان الرسول ﷺ أسوة حسنة للصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في جميع شؤون حياتهم.

فنرى الخلفاء الراشدين بعده ﷺ ساروا على منواله- عليه السلام- في كتابة الرسائل، ولم يحيدوا عن سننه مثلما فعلوا في خطبهم الكثيرة التي اقتفوا فيها أثر المصطفى ﷺ.[481]

فأبو بكر الصديق- رضي الله عنه- يقتفي أثر الرسول ﷺ في رسالته. والرسائل التي صدرت عنه تفتح بلفظ (من أبي بكر خليفة رسول الله إلى فلان) كما أنه- رضي الله عنه- كان يأتي في صدور كتبه بالسلام، ويعقب السلام بالتحميد ويتخلص إلى المقصود بـ(أما بعد) ويختتم كتابه (بالسلام).

كما أنه- رضي الله- سار على خطى هدي رسول الله ﷺ في خطابه (المكتوب إليه) وخاطب الواحد بـ(الكاف) و(تاء المخاطب) والاثنين بـ(التثنية) والجماعة بـ(الجمع) وعنونتها (من أبي بكر خليفة رسول) في الجانب الأيمن ثم (إلى فلان الفلاني) في الجانب الأيسر على ما يقتضيه الترتيب المقدم. ككتابه إلى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ.

- (من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على الإسلام أو رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأقرّ بما جاء به وأكفر من أبى وأجاهده.

---

[481] دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، ص 310

أما بعد فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا لينذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين ---)[482]

كذا كان خالد بن الوليد شديد التأثر بأسلوب النبي ﷺ فأسلوبه في خطابه إلى خليفة الرسول- أبي بكر رضي الله عنه- وإلى غيره يقلّد أسلوب الرسول ﷺ تمام التقليد.

- كتاب أبي بكر إلى خالد ومن معه باليمامة:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أبي خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بالإحسان.

سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فالحمد لله الذي أنجز وعده ونصر دينه وأعزّ وليّه وأذلّ عدوه ---)[483]

- كتاب خالد إلى أبي بكر بخبر الفتح في أجنادين:

(بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، من خالد بن الوليد سيف الله المسلول على المشركين. سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإني أخبرك، أيها الصديق، أنا التقينا نحن والمشركون ---)[484]

- كتاب خالد إلى رؤساء أهل فارس، لما غلب على أحد جانبي السواد:

(بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس:

أما بعد فالحمد لله الذي حلّ نظامكم، ووهّن كيدكم، وفرّق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرًا لكم. فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوز إلى غيركم. وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب، على أيدي قوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة)[485]

ثم جاء الخليفة الثاني العادل عمر الفاروق، ورتّب ديوان الرسائل الذي أسّسه رسول الله ﷺ.

ويلاحظ على رسائل الخليفة عمر- رضي الله عنه- أنها اقتفت أثر الرسول ﷺ في رسائله وعهوده.

---

[482] صبح الأعشى، 6/369-370

[483] مجموعة الوثاق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص 377

[484] المصدر نفسه، ص 394-395

[485] تاريخ الطبري، 2/321

بعد أن تولّى عمر الخلافة قيل: (يا خليفة خليفة رسول الله)، فقال عمر رضي الله عنه هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمّى أمير المؤمنين.[486]

فلما تلقّب بأمير المؤمنين أثبت هذا اللقب في كتبه، وزاد في ابتدائها لفظ (عبد الله) اسمه، فكان يكتب: (من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين). وباقي الكتاب كما مرّ في كتب النبي ﷺ والصديق بعده في التصدير والتعبير عن نفسه بلفظ (الإفراد) مثل (أنا ولي وعليّ) وعن المكتوب له بكاف الخطاب، مثل (ذلك وعليك) وتاء الخطاب مثل (قلت وفعلت) وتبعه الخلفاء على ذلك.[487]

كان عمر- رضي الله عنه- يبدأ رسالته بمثل بداية الرسول بالبسملة والحمد لله والثناء عليه ويختمها بالسلام، كرسالته إلى أمير الجيش النعمان بن مقرن:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلهم غيضة فإن رجلًا من المسلمين أحبّ إليّ من مئة ألف دينار والسلام عليك)[488]

وكان قد يحذف الحمد أيضًا، ككتابه الشهير إلى أبي موسى الأشعري لتوضيح مهمة القاضي المسلم:

(بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فاقهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع نكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يحاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا حرم حلالًا أو أحلّ حرامًا ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي إعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك ثم اعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعي حقًا غائبًا أو بينة أمدًا ينتهي إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء فإن

---

[486] المصدر نفسه، 569/2

[487] صبح الأعشى، 372/6

[488] تاريخ الطبري، 518/2

ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ في العذر. والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا في حد أو مجربًا عليه شهادة زور أو ظنينًا في ولاء أو قرابة فإن الله قد تولّى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشهوات ثم إياك والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بماء يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام عليك)[489]

كان عمر- رضي الله عنه- في جميع أعماله ورسائله لا يحيد عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قيد أنملة، بل يسير في ضوء الهدى القرآني وهدي النبي محمد ﷺ.[490]

من مراسلاته الكثيرة نقدّم مراسلته- رضي الله عنه- مع أمين الأمة أبي عبيدة بن الجرّاح كنموذج لنرى مدى اتباع هذين البطلين الإسلاميين لرسول الله ﷺ:

- كتاب أبي عبيدة ومعاذ بن جبل إلى عمر على خبر وفاة أبي بكر:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب. سلام عليك. فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم، وإنك يا عمر أصبحت وقد ولّيت أمر أمة محمد ﷺ، أحمرها وأسودها --- وإنا نذكّرك يوم تبلى فيه السرائر، وتكشف فيه العورات، وتظهر فيه المخبآت وتعيد فيه الوجود لملك قاهر قهرهم بجبروته، والناس له داخرون ---- والسلام ورحمة الله وبركاته)[491]

- كتاب عمر في جواب كتاب أبي عبيدة ومعاذ:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل، سلام عليكما. فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإني أوصيكما بتقوى الله، ---- وإني لا غنى لي عنكما ولا عن رأيكما ونصحكما. فتعاهداني رحمكما الله بكتابكما. والسلام عليكما ورحمة الله)[492]

---

[489] البيان والتبيين، 237/1

[490] دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، ص 311

[491] الوثائق، ص 459-460

[492] المصدر نفسه، ص 460-461

وقد خلّف لنا الخليفة الراشد من جراء عمله هذا في توسيع رقعة الدعوة الإسلامية وتوطيد البلاد المفتوحة فقهًا كثيرًا بسبب اجتهاده، بعد استقائه ما يلزم لكل قضية ومسألة من كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ. وعلى هذا الهدى الراشدي الكريم لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه- سار الفاتحون بعد عمر منظمون معاملة من يدخل في الإسلام ويضمنون له حقوقه في ضوء الرسائل والعهود التي خلّفها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[493]

والخليفة الثالث عثمان- رضي الله عنه- أيضًا يتبع أساليب النبي ﷺ في كتبه، ومن كتبه ما كتب إلى علي بن أبي طالب- كرّم الله وجهه- حين خرج علي- رضي الله عنه- إلى الينبع واختلف الناس على عثمان:

(أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وطمع في كل من كان يضعف عن الدفع عن نفسه، ولم يغلبك مثل مغلّب، فأقبل إليّ صديقًا كنت أو عدوًا ---)[494]

ولما صارت الخلافة إلى علي رضي الله عنه كانت الأحوال مضطربة، وأراد علي أن يسير بالحزم والعدل[495] لكن الظروف العصبية التي مرّت على العرب المسلمين دعت إلى أن توسّع من مجالها فتبيط بها دورًا كبيرًا فيما أخذ يشجر بينهم من خلافات حول عدد من الأمور من بينها سياسة عثمان المالية، والخلاف الذي نشب فيما بعد بين علي- رضي الله عنه- من جهة وأصحاب الجمل ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام من جهة أخرى، وما استتبع ذلك من أحداث جسام في خضمها مكاتبات تعدّدت أغراضها، وقيل كلام متشعب المناحي يوجّه اتهامًا أو يدفع اتهامًا.[496]

من تلك الكتب كلامه في معنى قتل عثمان بن عفان- رضي الله عنه-:

"لو أمرت به لكنت قاتلًا: أو نهيت عنه لكنت ناصرًا. غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه. ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني. وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساءه الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع. ولله حكم واقع في المستأثر والجازع".[497]

---

[493] دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، ص 311

[494] معجم البلدان، 5/449-450

[495] تاريخ الأدب العربي (عمر فروخ)، 307

[496] الأدب العربي (لمغنية)، ص 321-322

[497] نهج البلاغة، 1/75-76

يردّ علي رضي الله عنه أي شبهة تشير إلى أنّ له وراء هذا الحادث أو اشتراك بأمر قتل عثمان رضي الله عنه أو أنه قصّر في عونه ونصرته --- فهو كما يقول لم يأمر بقتل عثمان وإلا كان قائلًا، ولم ينه عن قتله أي لم يدافع عنه بسيفه ولم يأمر غيره بالقتال دونه وإلا كان ناصرًا له.[498]

ومن رسائله رسالة كتبها لمعاوية رضي الله عنه يدعوه فيها إلى بيعته وطاعته:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. أما بعد فإن بيعتي لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه فلم يكن لشاهد أن يختار ولا لغائب أن يردّ وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولّى ويصله جهنم وساءت مصيرًا وإن طلحة والبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحبّ الأمور إلى فيك العافية إلا أن تعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك وقد أكثرت في فتنة عثمان فادخل فيما دخل في الناس ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله فأما تلك التي تريدها يا معاوية فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان واعلم يا مغاوية أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله)[499]

وكان معاوية قد أرسل إلى الإمام علي يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على الذين أكلتهم الحرب ولم يبق منهم إلا حشاشات أنفس، ويخوّفه باستواء العدد في رجال الفريقين، ويفتخر بأنه من أمية وهو وهاشم من شجرة واحدة. فأجابه علي- رضي الله عنه:

(فأما طلبك الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعك أمس. وأما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت، ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة ومن أكله الباطل فإلى النار. وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشك مني على اليقين. وليس أهل الشام بأحرص

---

[498] الأدب العربي (لمغنية)، ص 322-323

[499] تاريخ دمشق، 128/59

على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق ---)[500]

يبدو واضحًا من هذه الرسائل وغيرها أن عليًا رضي الله عنه استفاد كثيرًا من بلاغة القرآن ومرافقة رسول الله ﷺ في حلّه وترحاله، لذا بلغ هذا المستوى الرفيع من البيان في صراحة القول، وبلاغة الأداء، وسلامة الذوق، وكان على ذلك يتحلّى بوسائل طبيعية من نير القول، وثقاف الدين، وسديد المنطق، وذرب اللسان، وحدة العاطفة[501] ما أهّله على التعبير عن أفكاره ومعانيه بأسلوب يلتحم به الكلام التحامًا معنى ومبنى، بل إن الألفاظ والتراكيب تتكشّف بسهولة ويسر عن ظلال معنوية واضحة الدلالة، مبرأة من التعقيد والغموض، على الرغم من الأبعاد القصّية التي تمتدّ إليها والعميق الذي تنفذ إليه.[502]

أسلوب الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية:

كان أسلوبهم على ما تقدّم من الكتب عن الخلفاء من الصحابة في التصدير والتعبير، إلا أنه يعبّر عن الخليفة بأمير المؤمنين، وربما عبّر عنه بلفظ الإفراد، مثل: (فعلت، وأفعل) وما أشبه ذلك. أما الخطاب المكتوب له، فبكاف الخطاب وتاء المخاطب، مثل (إنك أنت قلت كذا وفعلت كذا) وما أشبه ذلك. وعنوانها: (عن عبد الله فلان أمير المؤمنين).

ثم هي على أسلوبين:

- إما أن يفتح بلفظ (من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلا فلان)، كما كتب عبد الملك بن مروان، إلى الحجاج، وقد بلغه تعرّضه لأنس بن المالك- رضي الله عنه:

  (من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف.

  أما بعد، فإنك عبد علت بك الأمور فطغت ---)[503]

- أو يفتتح الكتاب بلفظ (أما بعد) ويقع الشروع منه في المقصد، كما كتب زيد بن معاوية إلى أهل المدينة النبوية، وقد بلغه خلافهم عليه:

  (أما بعد، فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ---)

---

[500] نهج البلاغة، 3/16-17

[501] الموجز في الأدب العربي، 1/372

[502] الموجز، 1/371

[503] صبح الأعشى، 6/376

أو كما كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة:

(أما بعد فإذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للرعية عندك)[504]

ولم يزل الأمر في المكاتبات في الدولة الأموية جاريًا على الطريق السابق المسنون، بلاغة طبيعية، وعناية بالغرض المنشود، إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك، فجود القراطيس وجلل الخطوط وفخم المكاتبات وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك إلا عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد فإنهما جريا في ذلك على طريقة السلف.

فلما كان آخر الدولة الأموية وتولّى الكتابة كتّاب لهم ثقافة فارسية، بجانب ثقافتهم العربية، اتخذت الرسالة العربية اتجاهًا جديدًا قائمًا على التفصيل والتطويل، وظهر فيها التألق، وكان رأس هؤلاء الكتّاب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وكان المثل يضرب ببلاغة إنشائه في الرسائل، فيقال: (فتحت الرسائل بعد الحميد وختمت بابن العميد)[505]

فكان أسلوبه يتألف من عناصر مختلفة، من عنصر الإطناب وإطالة التحميدات الذي استمدّه من الفرس، وعنصر المنطق والترتيب الذي استمدّه من الروح اليونانية، وعنصر التوضيح والتفصيل الذي أدّت إليه أحوال الدولة وتنظيمها الإداري والسياسي والمالي.[506]

مع قيام الدولة العباسية، ازداد الاختلاط بالفرس، وزاد معه التطويل والإطناب فبدأ الكتّاب يتقنّنون في التحميد والبسملة، وأمر الرشيد أن يكتب كتابة الصلاة على النبي بعد البسملة، والناس على دين ملوكهم، وكل من جاء بعد الرشيد كان يزيد في تلك الصيغ حتى تعقدت الرسائل، وصارت لها تقاليد لا ينبغي الخروج عليها، وقننت لها القوانين، وصارت علمًا تجب معرفته لمن أراد أن يكون كاتب إنشاء، وأصبح الترف في كتابة الرسائل كالترف في الحياة العباسية نفسها، إذ كانوا يتفننون في زركشة ملابسهم، ونمنمة عماراتهم، وتلوين آنيتهم[507] وانكمش الأسلوب المرسل وازدهر الأسلوب المقيد، وكثر الاستعارات والتشبيهات والكنايات

---

[504] المصدر نفسه، 377/6

[505] تاريخ آداب اللغة العربية (جرجي زيدان)، 307/1

[506] الموجز في الأدب العربي وتاريخه، 433/1

[507] الفنون الأدبية في العصر العباصي، ص 105

والإشارات والجناس والاقتباس والتضمين من القرآن والحديث النبوي والشعر والنثر بعامة، واقترب بذلك النثر من الشعر في الخيالات.[508]

إن العرب وإن أصابهم الهبوط في آخر الدولة الأموية وفي الدولة العباسية من ناحية الأسلوب، إذ استحبّوا الإطناب على الإيجاز، وآثروا التكلف والتصنع على البساطة والعفوية، غير أننا نرى أثر القرآن والحديث في كتبهم أثرًا واضحًا:

1. مع أن هناك فرقًا بين أسلوب النبي ﷺ وأسلوبهم من ناحية الإيجاز والإطناب، لكنهم أثبتوا بعضًا من أساليب الاستفتاح والصدارة، منها:

أ- الاستفتاح بالبسملة

ب- افتتاح أكثر كتبهم بلفظ (فلان بن فلان) وتارة بـ(أما بعد) وربما افتتحوها بغيرها من الحمد أو الدعاء.

إلا أنهم زادوا بعد اسم الخليفة لفظ (الإمام الفلاني) بلقب الخلافة، أو غيرها من الألقاب والكنى.

ت- التحميد والسلام

ث- فلما صارت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التحميد (وبسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله ﷺ)

الاقتباس من الحديث:

كان الرسول ﷺ في ذروة البلاغة، ولا شك أن أحاديثه الشريفة أيضًا في ذروة البلاغة. وإذا كان القرآن يمثل القمة البلاغية بإطلاق، فإن السنة النبوية تمثل قمة البيان البشري، إذ كان فيه فصاحة اللفظ، وجودة المعنى، وحسن الأداء، هو جوامع الحكم، وفيه روائع الحكم.

وقد قال الجاحظ في وصف كلامه ﷺ:

هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصفة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين) فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التقعير واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في مضع القصر وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة

---

[508] تطوّر الأساليب النثرية في الأدب العربي، ص 207-217

وشيد بالتأييد ويسّر بالتوفيق. وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، بين حسن الأفهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا ولا أصدق لفظًا ولا أعدل وزنًا ولا أجمل مذهبًا ولا أكرم مطلبًا ولا أحسن موقعًا ولا أسهل مخرجًا ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ.[509]

فكان طبيعيًا أن يستعقي الصحابة البلاغة الباهرة من هذا المنبع بجانب الرسول عليه السلام من بداية دعوته حتى لقاء ربه، إذ يكون الرسول ﷺ قد فهم كل جانب في الدين والحياة. ومن ذلك الخلفاء الراشدون هم أقرب الصحابة إلى الرسول ﷺ في الدين والتقوى وفي التعبير لفن القول.

فكان الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم اقتبسوا من كلام سيد المرسلين في جميع أنواع كلامهم خطبة كان أو رسالة. وللمثال نقدم بعض رسائل ما فيها أثر واضح من الحديث الشريف، ونشير إلى الأحاديث المقتبسة فيها:

- فمنها رسالة عمر- رضي الله عنه- إلى أبي موسى الأشعري:

(بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له من بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادّعى واليمن على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا حرم حلالًا أو أحل حرامًا ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك إن ترجع عنه فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي اعرف الأمثال والأشباه ----)[510]

دخول المصطلحات الإسلامية الجديدة فيها:

---

[509] البيان والتبيين، 221/1

[510] المصدر نفسه، 237/1

من تأثير الحديث النبوي في الأدب العربي، ومنه الكتب والرسائل، أنه دخلته المصطلحات الإسلامية الجديدة كالصلاة والزكاة والحج والجهاد والصدقة والمشرك والكافر، والفريضة والسنة والنافلة والحسنة والسيئة والنفاق وغيرها من الألفاظ الإسلامية والمصطلحات التي لا يعرفها العرب يمثل ما اصطلح عليه السلام وإن كانت عربية.

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1960م
3. ابن العماد الدمشقي: شذرات الذهب، دار ابن كثير، بيروت، 1399هـ
4. ابن الكلبي: كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، 1924م.
5. ابن حبان: كتاب الأمثال في الحديث النبوي (تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد)، الدار السلفية، بومبائ، الهند، 1987م
6. ابن حجر الأندلسي: جمهرة الأنساب في الجاهلية والإسلام (تحقيق: ليفي بروفنسال)، مطابع دار المعارف، مصر، 1948م
7. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان (تحقيق: دائرة المعارف النظامية)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1406هـ
8. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت
9. ابن دريد: جمهرة اللغة، دار الفكر، مصر، د.ت
10. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (تحقيق: محمد محيي الدين)، مطبعة السعادة، مصر، 1963م
11. ابن سيد الناس: عيون الأثر، مطبعة القدسي والسعادة، القاهرة، 1366هـ
12. ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، نشر البابي الحلبي، مصر، 1391هـ
13. ابن شاكر: فوات الوفيات (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1973م
14. ابن طولون: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (تحقيق: محمود أرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م
15. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (تحقيق: علي محمد البحاوي)، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1960م
16. ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وغيره، مكتبة المثنى، بغداد، 1967م
17. ابن عساكر: تاريخ دمشق الكبير (تهذيب: عبد القادر بدران)، دار المسيرة، بيروت، 1399هـ
18. ابن فارس: مجمل اللغة (تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان)، مؤسسة الرسالة، العراق، د.ت

19. ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء (تحقيق: أحمد محمد شاكر)، دار المعارف، مصر، 1386هـ
20. ابن قتيبة: أدب الكاتب (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، مطبعة السعادة، مصر، 1382هـ
21. ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن (تحقيق: سيد أحمد صقر)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1958م.
22. ابن قتيبة: عيون الأخبار، طبعة دار الكتب المصرية، سنة الطبع لم تذكر
23. ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد)، دار الجيل، بيروت، 1973م
24. ابن كثير: السيرة النبوية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1385هـ
25. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، سنة الطبع لم تذكر.
26. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق (تحقيق: روحية النحاس ورياض عبد الحميد ومحمد مطيع)، دار الفكر، دمشق، 1404هـ
27. ابن هشام: السيرة النبوية (تحقيق: مصطفى السقا والأبياري وعبد الحفيظ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1355هـ
28. أبو إسحاق القيرواني: زهر الآداب، دار الجيل، بيروت، 1972م
29. أبو البركات النسفي: المنار شرح كشف الأسرار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ
30. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام هارون)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، د.ت
31. أبو السعادات المبارك: النهاية في غريب الحديث والأثر (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ
32. أبو السعادات مبارك بن محمد الجزري: جامع الأصول من أحاديث الرسول، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، 1368هـ
33. أبو الفتح الموصلي: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م
34. أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني،(تحقيق: سمير جابر)، دار الفكر، بيروت، د.ت
35. أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر (تحقيق: كمال مصطفى)، مكتبة الخانجي، مصر، 1963م

36. أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد النثر (تحقيق: طه حسين)، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، 1938م
37. أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوي: مجمع الأمثال (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار المعرفة، بيروت، د.ت
38. أبو الفضل شهاب الدين الألوسي: روح المعاني، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، سنة الطبع لم تذكر
39. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: الروض الأنف، طبع الجمالية، مصر، 1332هـ
40. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: المستقصي في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م
41. أبو اليقظان عطية الجبوري: دراسات في التفسير ورجاله، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1971م
42. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: شعب الإيمان (تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ
43. أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي: المصنف في الأحاديث والآثار (تحقيق: كمال يوسف الحوت)، مكتبة الرشيد، الرياض، 1409هـ
44. أبو تمام: ديوان الحماسة، شرح: أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، سنة الطبع لم تذكر
45. أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1411هـ
46. أبو رشيد سعيد بن محمد النيسابوري: في التوحيد (تحقيق: محمد عبد الهادي أبو زيد)، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، سنة الطبع لم تذكر
47. أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م
48. أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب (تحقيق: محمد علي الهاشمي)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1401هـ

49. أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي: معجم السفر (تحقيق: عبد الله عمر البارودي)، المكتبة التجارية، مكة، د.ت
50. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 2000م
51. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين (تحقيق: عبد السلام هارون)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1367هـ
52. أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري: علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، مكتبة الفارابي، 1984م
53. أبو محجن: ديوان أبي محجن (صنعة أبي هلال العسكري)، المطبعة النموذجية، مصر، 1964م
54. أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، 1965م
55. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة (تحقيق: رياض زكي قاسم)، دار المعرفة، بيروت، د.ت
56. أبو نصر السراج الطوسي: اللمع (تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور)، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ت
57. أبو نعيم: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ
58. أبو هلال العسكري: الصناعتين في الكتابة والشعر (تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1952م
59. أبو هلال العسكري: جمهرة أمثال العرب (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش)، دار الفكر، 1988م
60. أحمد أبو سعيد: فن القصة، دار الشروق الجديد، بيروت، 1959م
61. أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1960م
62. أحمد إسكندري: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار صادر، بيروت، د.ت

63. أحمد السنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس: دائرة المعارف الإسلامية (مراجعة: محمد مهتدي)، د.ط.ت
64. أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م
65. أحمد بن الحسين البهقي: سنن البهقي الكبرى (تحقيق: محمد عبد القادر عطا)، مكتبة دار الباز، مكة، 1414ه
66. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت
67. أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت.
68. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي: المجتبى من السنن (تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406ه
69. أحمد بن عبد الحيم بن تيمية: فتاوى ابن تيمية (تحقيق: عبد الرحمن النجدي)، طبع الرياض، 1382ه
70. أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي: حجة الله البالغة في أسرار الأحاديث وعلل الأحكام، المطبعة الخيرية، مصر، 1322ه
71. أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، مصر، 1405ه
72. أحمد بن عبد الله العجلى: معرفة الثقات (تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي) مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1405ه
73. أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، طبع مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1368ه
74. أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407ه
75. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق: علي محمد البجاوي)، دار الجيل، بيروت، 1412ه
76. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، 1404ه

77. أحمد بن محمد الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت، 1962م
78. أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني: نخبة الفكر، المكتبة الفاروقية، د.ت
79. أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني: نزهة النظر شرح نخبة الفكر، المكتبة الفاروقية، د.ت
80. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت
81. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان، د.ت
82. أحمد حسن الزيات: في أصول الأدب، شركة الخزندار للتوزيع، السعودية، د.ت
83. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، يوليو 1933م
84. أحمدبن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: تقريب التهذيب (تحقيق: محمد عوامة)، دار الرشيد، سوريا، 1406هـ
85. إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة (تحقيق: شيخ محمد حسن آل ياسين)، عالم الكتب، بيروت، 1994م
86. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت
87. إسماعيل بن قاسم أبي العتاهية: ديوان أبي العتاهية، دار صادر، بيروت، 1964م
88. إسماعيل بن كثير، أبو الفداء، القرشي: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م
89. إسماعيل بن محمد العجلوبي: كشف الخفاء، مكتبة التراث العربي، حلب، د.ت
90. إسماعيل بن محمد القالي: الأمالي، دار الفكر، القاهرة، 1962م
91. الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، مكتبة البابي الحلبي، مصر، د.ت
92. الأصمعي: الأصمعيات (تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون)، دار المعارف، 1955م
93. الأصمعي: المفضليات، تصحيح: أبو بكر بن عمر داغستاني، مطبعة التقدم، القاهرة، سنة الطبع لم تذكر

94. الآلوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (تحقيق: محمد بهجة الأثري)، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، د.ت
95. الإمام القشيري: لطائف الإشارات (تحقيق: الدكتور إبراهيم السيوني)، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1983م
96. الآمدي: المؤتلف والمختلف (تصحيح ونشر: فريس كرندو)، مكتبة القدس، القاهرة، 1961م
97. أمية بن أبي الصلت حياته وشعره (تحقيق: الدكتور بهجة عبد الغفور الحديثي)، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الثانية، 1991م
98. الأمير بن محمد المدري: خمسون وصية ووصية لتكون خطيبًا ناجحًا، www.saaid.net، السعودية، ط.ت
99. أمين أحسن الإصلاحي، الشيخ: تدبر قرآن (تفسير تدبر القرآن)، تاج كمبني، باب تركمان، دلهي-6، 1989م
100. أنطوان القوّال (إعداد): عنزة وعبلة، منشورات جروس برس، لبنان، 1992م
101. أنيس المقدسي: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1974م
102. أيهم عباس حمودي: شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة 23 هجرية، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1406هـ
103. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (ترجمة: عبد الحليم النجار)، دار المعارف، بيروت، 1962م
104. بطرس بستاني: دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
105. بطرس بن يوسف البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1993م
106. البغدادي: خزانة الأدب (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م
107. البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1398هـ
108. الثعالبي: يتيمة الدهر، دار الفكر، بيروت، 1399هـ
109. ثعلب: مجالس ثعلب، دار الفكر، بيروت، د.ت
110. جابر قميحة: أدب الخلفاء الراشدين، دار الكتاب المصري، د.ت
111. الجاحظ: كتاب الحيوان (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر، القاهر، 1363هـ

112. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992م
113. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م
114. جلال الدين السيوطي: ألفية الحديث (تحقيق: أحمد شاكر)، طبع عيس البابي الحلبي، القاهرة، 1353هـ
115. جمال الدين أبو الحسن يوسف بن تغري الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتاب، بيروت، د.
116. جمال الدين القفطي: إنباه الرواة على أبناء النحاة (تحقيق: محمد أبو الفضل)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1973م
117. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار)، دار العلم للملايين، بيروت، 1386هـ
118. حاجي خليفة: كشف الظنون، منشورات مكتبة المثيني، بيروت، د.ت
119. حارث بن حلزة: ديوان حارث، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م
120. حبيب بن أوس: ديوان أبي تمام (شرح: محيي الدين)، طبع نظارة المعارف، د.ت
121. حبيب يوسف مغنية: الأدب العربي (من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2002م
122. الحسن بن مسعود البغوي: شرح السنة (تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ
123. حسن شاذلي فرهود وآخرون: البلاغة والنقد، دار المعارف، السعودية العربية، 1401هـ
124. الحصري: زهر الآداب (تحقيق: زكي مبارك)، المكتبة التجارية، القاهرة، 1344هـ
125. حنا فاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، 1411هـ
126. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد (تحقيق: مصطفى عبد القادر)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ
127. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين (تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت

128. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م
129. دانشگاه پنجاب، لاهور: دائرة المعارف الإسلامية (بالأردوية)، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، 1966م
130. ديوان طرفة بن العبد (تحقيق: دريد الخطيب ولطفي الصقال)، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1395هـ
131. الراغب الأصفهاني: مفردات القرآن (تحقيق: نديم مرعشلي)، المكتبة المرتضوية، د.ت
132. رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي: قفو الأثر في صفوة علوم الأثر (تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1408هـ
133. رودلف: الأمثال العربية القديمة (ترجمة: رمضان عبد التواب)،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م
134. الزبيدي: طبقات اللغويين والنحويين (تحقيق: محمد أبو الفضل)، دار المعارف، مصر، د.ت
135. الزمخشري: أساس البلاغة، اسم المطبع لم يذكر، مصر، 1973م
136. الزمخشري: تفسير الكشاف، دار الفكر، بيروت، 1397هـ
137. السخاوي: الضوء اللامع، دار الحياة، مصر، 1354هـ
138. سعيد الشرطوني: أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، مكتبة لبنان، 1992م.
139. سعيد بن علي: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1417هـ
140. السكري: شرح أشعار الهذليين (تحقيق: عبد الستار فراج)، العروبة، القاهرة، 1384هـ
141. سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الأوسط (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد)، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ
142. سليمان بن الأشعث أبو داؤود السجستاني الأزدي: سنن أبي داؤود (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، ط،ت
143. سمير محمد حسين: الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، 1984م
144. سيبويه: الكتاب (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، عالم الكتاب، بيروت، 1966م

145. سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، 2003م
146. سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، القاهرة، 2001م
147. سيد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، 1403هـ
148. السيوطي: الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار (تحقيق: علي حسين البواب)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1411هـ
149. السيوطي: بغية الوعاة (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاء، مصر، 1384هـ
150. الشاه ولي الله الدهلوي: حجة الله البالغة، المكتبة الرشيدية، دلهي، 1372هـ
151. شرف يتيه على الزمان: الرسائل النبوية الشريفة، د.ط.ت
152. شعبان محمد مرسي: الفنون الأدبية في العصر العباسي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1995م
153. شعر ابن ميادة (جمع وتحقيق: حنا جميل حداد)، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1402هـ
154. شعر الأحوص الأنصاري (جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال)، وزارة الثقافة، القاهرة، 1390هـ
155. شمس الدين بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحقيق: إحسان عباس)، دار الفكر، القاهرة، 1364هـ
156. شمس الدين عبد الرحمن الذهبي: تذكرة الحفاظ، طبعة الهند، الهند، 1356هـ
157. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ
158. شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشهي: المستطرف في كل فن مستظرف (تحقيق: د. مفيد محمد قميحة)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م
159. شهاب الدين ياقوت الحموي: إرشاد الأريب، مطبعة هندية، مصر، 1923م
160. شوقي ضيف: العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، 1963م
161. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، 1982م
162. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه، دار المعارف، مصر، 1960م

163. صالح آدم بيلو: من قضايا الأدب الإسلامي، دار المنارة للنشر، جدة، 1405هـ
164. صبحي الصالح، الدكتور: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، أغسطس، 1977م
165. صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، انتشارات جهان، طهران، إيران، 1381هـ
166. الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب قاموس المحيط على طريقة المصباحالمنير وأساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1974م
167. طه حسين: في الأدب الجاهلي، دار المعارف، بيروت، 1927م
168. عبد الباسط بدر: نظرية الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، 1405هـ
169. عبد الجليل شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار القلم، بيروت، 1982م
170. عبد الحميد الفراهي، الإمام: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (سورة الذاريات)، مطبعة معارف، أعظم كره، سنة الطبع لم تذكر
171. عبد الحميد الفراهي، الإمام: تفسير نظام القرآن وتأويل بالفرقان (سورة البقرة)، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، الطبعة الأولى، 2000م
172. عبد الحميد الفراهي، الإمام: جمهرة البلاغة، مطبعة معارف، أعظم كره، الهند، 1360هـ
173. عبد الحميد الفراهي، الإمام: رسائل الإمام الفراهي في علوم القرآن، الدائرة الحميدية، مدرسة الإصلاح، أعظم كره، الطبعة الثانية، 1991م
174. عبد الحميد الفراهي، الإمام: فاتحة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، مطبعة إصلاح، سراي مير، 1357هـ
175. عبد الحميد الفراهي، الإمام: مفردات القرآن (1) مطبعة إصلاح، أعظم كره، الهند، 1358هـ
176. عبد الحميد الفراهي، الإمام: مفردات القرآن (2) (تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي)، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2002م
177. عبد الخالق الشهير بابن الخواجه: مختارات شعراء العرب، المطبعة العامرة بشارع المغربلين، 1360هـ

178. عبد الرحمن المصطاوي (إعداد): مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية، دار المعرفة، بيروت، 2002م
179. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (تحقيق: فؤاد علي منصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م
180. عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: تدريب الراوي (تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت
181. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: طبقات المفسرين (تحقيق: علي محمد عمر)، مكتبة وهبة، القاهرة، 1396هـ
182. عبد الرحمن بن علي أبو الفرج: صفة الصفوة (تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس)، دار المعرفة، بيروت، 1399هـ
183. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت
184. عبد الرحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار البردي للنشر والتوزيع، السعودية، د.ت
185. عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ
186. عبد العزيز الميمني: الطرائف الأدبية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م.
187. عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت
188. عبد الكريم السمعاني: الأنساب (تقديم: عبد الله البارودي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ
189. عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي المصري: في التعريب والمعرب (تحقيق: إبراهيم السامرائي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ
190. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: سنن الدارمي (تحقيق: فواز أحمد زملي)، دار الكتاب العربي، 1407هـ
191. عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (تحقيق: مصطفة السقا)، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ

192. عبد الله بن محمد: قرى الضيف (تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور)، أضواء السلف، الرياض، 1997م
193. عبد الله بن يوسف الزيلعي: نصب الراية لأحاديث الهداية (تحقيق: محمد يوسف البنوري)، دار الحديث، مصر، 1357هـ
194. عبد الله خورشيد البري، الدكتور: القرآن وعلومه في مصر، دار المعارف، مصر، 1969م
195. عبد المجيد محمود: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، مكتبة البيان، الطائف، د.ت
196. عدنان علي رضا: الأدب الإسلامي: إنسانيته وعالميته، دار النحوي، السعودية، 1987م
197. عز الدين ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1400هـ
198. عز الدين أبو الحسن بن الأثير الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة القاهرة، 1386هـ
199. عز الدين إسماعيل وآخرون: البلاغة، طبع وزارة التربية، مصر، 1396هـ
200. عزيزة: القصة والرواية، دار الفكر، بيروت، د.ت
201. علي بن أحمد أبو الحسن النيسابوري: أسباب النزول، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، الباكستان، 1959م
202. علي بن أحمد المهائمي: تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، مطبعة بولاق، مصر.
203. علي بن أحمد بن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، 1404هـ
204. علي بن حسام الدين المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م
205. علي بن عمر الدارقطني البغدادي: سنن الدارمي (تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني)، دار المعرفة، بيروت، 1386هـ
206. علي بن محمد البزودي الحنفي: أصول البزودي، مطبعة جاويد، كراتشي، باكستان، د.ت
207. علي بن محمد البزودي الحنفي: كنزل الوصول إلى معرفة الأصول، مطبعة جاويد، كراتشي، باكستان، د.ت
208. علي بن هبة الله: الإكمال في رفع الارتياب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ

209. عمر الدسوقي: النابغة الذبياني، دار الفكر العربي، الطبعة السادسة، 1975م
210. عمر بن حسن الزير: القصص في الحديث النبوي، المكتبة السلفية، القاهرة، 1398هـ
211. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت
212. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ
213. غازي طليمات وعرفان الأشقر: الأدب الجاهلي، دار الفكر، دمشق، 2001م
214. الغندجاني: فرحة الأديب (تحقيق: محمد علي سلطاني)، دار قتيبة، دمشق، 1401هـ
215. فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، ميدان الجامع الأزهير، مصر، الطبعة الأولى
216. فهيم مصطفى هارون وآخرون (إخراج): المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1380هـ
217. فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت
218. الفيروزابادي: القاموس المحيط (إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت
219. فيض الحسن السهارنفوري: الفيضي (شرح ديوان الحماسة)، مطبع نول كشور، لكناؤ، 1294هـ
220. القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد: غريب الحديث (تحقيق: محمد عبد المعيد)، دار الكتاب العربي، بيروت، 1396هـ
221. القرشي: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام (تحقيق: علي محمد البجاوي)، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، 1967م
222. الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، طبعة معارف عمومية، بيروت، 1594م
223. الكرماني: الكواكب الدراري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت
224. لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، 2002م
225. لويس شيخو: شعراء النصرانية بعد الإسلام، دار الفكر، بيروت، 1921م
226. مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي: موطأ الإمام مالك (تحقيق: تقي الدين الندوي)، دار القلم، دمشق، 1413هـ

227. مأمون فريز جرار: خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة، جدة، 1408هـ
228. المبرد: الكامل في اللغة والأدب (تحقيق: زكي مبارك)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1936م
229. محمد أبو زهرة: الخطابة: أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، 1934م
230. محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ
231. محمد الرضي (جمع): نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب، منشورات دار الهجرة، قم، إيران، 1412هـ
232. محمد باقر الخوانساري: روضات الجنات (تحقيق: محمد أسد الله)، مكتبة إسماعيليان، طهران، إيران
233. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح (تحقيق: محمود خاطر)، مكتبة لبنان، بيروت، 1415هـ
234. محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء (تحقيق: شعيب الرنؤوط وحسين الأسد)، موسوعة الرسالة، بيروت، 1406هـ
235. محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: تفسير القرطبي (تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني)، دار الشعب، القاهرة، 1372هـ
236. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري: الأدب المفرد (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409هـ
237. محمد بن إسماعيل أبو عيد الله البخاري الدعفي: الجامع الصحيح (تحقيق: د. مصطفى ديب البغا)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ
238. محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت
239. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني)، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ

240. محمد بن بهادر، بدر الدين، الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الحلبي، 1376هـ
241. محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والمولك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ
242. محمد بن حبان البستي أبو حاتم: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ
243. محمد بن حبان: الثقات (تحقيق: السيد شرف الدين)، دار الفكر، دمشق، 1396هـ
244. محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ط.ت
245. محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء (تحقيق: محمود محمد شاكر)، دار المدني، جدة، د.ط.ت
246. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوي: المستدرك على الصحيحين (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ
247. محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة الطبع لم تذكر
248. محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي (تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون)، د.ت
249. محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم: الفهرست (شرح وتعليق: يوسف علي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
250. محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، السعودية، د.ت
251. محمد بن محمد، أبو السعود العمادي: تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1990م.
252. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت
253. محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجة (تحقيق: فؤاد عبد الباقي)، دار الفكر، بيروت، د.ط.ت

254. محمد حسين الذهبي، الدكتور: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، 14 شارع الجمهورية مصر، الطبعة الثانية، 1976م
255. محمد حميد الله (جمع): مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، 1987م
256. محمد خير رمضان يوسف: تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ
257. محمد سليمان: حدث الإسلام في الإسلام، مطبعة جريدة مصر الحرة، 1355هـ
258. محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، دار القلم، بيروت، 1390هـ
259. محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، بيروت، 1401هـ
260. محمد عجاج: السنة قبل التدوين، طبع أم القرى للطباعة والنشر، السعودية، 1408هـ
261. محمد عناية الله أسد السبحاني: البرهان في نظام القرآن، دار الكتب، بشاور، الباكستان، ط1، 1994م
262. محمد واضح رشيد الحسني الندوي: تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، دار ابن كثير، بيروت، 2002م
263. محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، بيروت، د.ت
264. محمدبن محمد أبو شهبة: أعلام المحدثين، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، د.ت
265. محمود جار الله الزمخشري: الكشاف، دار المعرفة، بيروت، سنة الطبع لم تذكر
266. محمود حسين: دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م
267. محمود طحان: تيسير علوم الحديث، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان، د.ت
268. مختارات ابن الشجري، شرح: محمود حسن زناتي، دار الكتب العربية، بيروت، 1980م
269. المرزباني: معجم الشعراء (تحقيق: عبد الستار أحمد)، مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م
270. المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1372هـ
271. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم (تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت

272. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العربية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2003م
273. المفضل بن سلمة: الفاخر (تحقيق: عبد العليم الطحاوي)، وزارة الثقافة، القاهرة، 1380هـ
274. مقدمة حول الأمثال النبوية، الشبكة الإسلامية: www.islamweb.net
275. المكتبة الكاثوليكية: المنجد في الأعلام، دار المشرق، بيروت، 1980م
276. مؤسسة أعمال الموسوعة: الموسوعة العربية العالمية، الرياض، د.ت
277. نذير مكتبي: خصائص الخطبة والخطيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1409هـ
278. نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، بيروت، 1392م
279. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، 1412هـ
280. النويري: نهاية الأرب، دار الكتاب، القاهرة، د.ت
281. هشام بن محمد الكلبي: الأصنام (تحقيق: أحمد زكي باشا)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م
282. ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت
283. ياقوت: معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت
284. يحيى الجبّوري: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ

الختام

الحمد لله الذي بلّغنا هذه النهاية ولم نكن قادرين على أن نبلغ الغاية ما لم يوفّقنا الرب تعالى، وما لم يرافقنا المشرف الكريم في كل خطوة مني أخطوها في كتابة البحث أو إعداده أو ترتيبه أو ذكر المراجع فله الشكر مني.

بدأت هذا البحث من كلمة الأدب التي عرفتها العرب منذ فجر تاريخها ولو تطوّر معناها عبر القرون حتى وصلت هذه الكلمة إلى المعنى الاصطلاحي ومن هنا إلى الأدب الإسلامي المصطلح الأدبي الجديد الذي لم يكن للعرب عهد به منذ أن نضج أدبهم واكتمل.

ثم تحوّلنا إلى القرآن الكريم الذي هو وحي رباني جليل ومصون من أي تغيير وتحريف. إنه وجّه أثرًا بالغًا في الأدب العربي فحوّله ظهرًا لبطن وجاء بأشياء بديعة لم تكن تعرفها العرب الأقحاح وتلك مفرداته ومصطلحاته وتعابيره وأساليبه وأصنافه، كل في روعتها وجمالها الأدبي السحّار الأخّاذ بالعقول والألباب.

ثم خضنا في الحديث النبوي الشريف الذي هو صورة متطورة لكلمة "الحديث" العربية القديمة المذكورة كثيرًا في الشعر العربي، ومن هنا ذكرنا أقسامه المختلفة من متواتر ومرسل وغريب وصحيح وقوي حتى بلغنا غايتها المنشودة أي أثر الحديث النبوي في النثر العربي.

والواقع أن النبي العربي الكريم الذي كان خلاصة العرب العرباء وأعربهم وأبلغهم قد ترك أثرًا جميلًا في النثر العربي وإلا فقد كان النثر من قبله نثرًا لا معنى له فوجّهه الحديث النبوي الشريف إلى غاية وهدف، وهذا من أجل تأثره بالقرآن الكريم الكتاب الرباني العزيز.

أثّر الحديث النبوي كثيرًا ومتنوعًا في النثر العربي ولكن حدّدنا حديثنا في الأربعة؛ الخطابة والقصة والمثل والرسالة.

فقد استخدم الرسول الكريم ﷺ من خلال تبليغ دعوته ورسالة ربه كل هذه الوسائل والأسباب فتارة قام على الجبل وأخرى قعد بين ظهراني الناس وثالثة برز للصحابة الكرام في المسجد المبني لكي يلقي خطابًا بليغًا. ولقد جمعت هذه الخطب وأمثالها في مختلف مجموعات الخطب العربية بما فيها البيان والتبيين وجمهرة الخطب. والحق أنه أبدع في كل مرة قام في الناس خطيبًا أو ناصحًا أو واعظًا. وذكرنا كل هذه الإبداعات في هذه الرسالة الموجزة.

وهكذا فقد اختار الرسول العربي ﷺ القصة ومختلف أنواعها لتبليغ رسالة ربه الجليل فنوّعها الرسول ﷺ وشتّتها وجدّدها حتى جاء بأشياء بديعة في هذا المجال ذكرناها في الرسالة المتواضعة.

وفي مجال الأمثال تارة نحت مثلًا جديدًا وأخرى طوّر معنى المثل القديم وثالثةً استخدم المثل الميّت استخدامُه في الأدب العربي فكأنه خدم المثل العربي خدمة لا تستهان.

وأما الرسائل فكأن الرسول العربي أثار ثورة وأحيى الرسائل من جديد بل أبدع فيها لأن العرب لم يستخدموا هذا القدر الكبير من الرسائل في وقت من الأوقات وفي زمن من الأزمان. فقد أرسل الرسول العربي ﷺ رسائل عديدة إلى الأشراف والحكام والملوك يدعوهم فيها إلى السلام وإلى الفلاح والفوز العظيم.

ذكرنا هذا كله في أربعة أبواب هذه الرسالة الوجيزة المتواضعة مستخدمًا كافة المصادر والمراجع المتوفرة لنا سائلًا الله جلّ جلاله أن يوفقنا للمزيد من خدمة الأدب العربي، وعليه التكلان.